بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

صُوَرُة المُنَافِق فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

دراسة الدلالات الصوتية والصرفية

سورة التوبة نموذجا

مذكرة الماجستير

في اللغة والدراسات القرآنية

الطالب : البخاري السِّباعي

إشراف الأستاذ: الدكتور محمد زعراط

السنة الجامعية :1426هـ/1427هـ

الموافق:2005م/2006م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾[سورة النساء:145].

وقال حذيفة بن اليمان : ﴿ **كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي**...﴾[رواه البخاري في كتاب المناقب ،رقم:3338]

الإهداء

إلى الرحمة المهداة والسراج المنير . .

إلى من بعثه الله رحمة للعالمين . .

ليبشر المؤمنين ، ويجاهد الكافرين والمنافقين . .

أهدي – على استحياء – هذا العمل المتواضع ، وهو جُهد المقل، عسى أن أكون من أهل شفاعته ﷺ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [سورة عبس:34-36]

ثم أهدي هذا الجهد –أيضا – إلى والدي الكريمين . .

وإلى من غذّى فكري ووجداني، مجدد الفكر الإسلامي الحديث: الشيخ محمد الغزالي –رحمه الله تعالى–

وإلى روح الشيخ أحمد الأطرش السنوسي –رحمه الله تعالى–

وإلى الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكري الذي فتح مشروع الدراسات القرآنية؛ فهو بهذا السبق حاز التفضيلا .

وإلى زوجتي وأبنائي: عبد الكريم، هبة الله، نور الهدى . .

وإلى كل من له فضل عليَّ . . .

شكر وتقدير

في مستهل هذا البحث يحتم عليَّ واجب الوفاء والاعتراف بالجميل وردّ الفضل لأهله لأعبر عن خالص شكري وفائق تقديري لأساتذتي الأجلاء وفي مقدمتهم أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور محمد زعراط..

وإلى جميع الأصدقاء المخلصين والأصحاب الأوفياء..

وإلى كل من أسدى إليَّ معروفا من قريب أو بعيد ..

وجزاهم الله عني خير الجزاء.

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن القرآن المبين هو معجزة الإسلام الكبرى، وحجة الرسول العظمى، فقد عجز أهل الفصاحة والبيان ممن نزل فيهم القرآن، أن يأتوا بمثله، ولا بعشر سور من مثله، ولا بآية من مثله، وما ذلك إلا لسرّ إعجازه، وسحر بيانه..

وقد انبرى العلماء قديما وحديثا لاستكشاف حقيقة هذا الإعجاز ومكمنه، فما استقروا فيه على رأي، وما أجمعوا فيه على هدي، وما استقام لهم فيه دليل، ولا استنار لهم فيه سبيل..

وظلَّ العلماء يطرقون باب الإعجاز في القرآن، فما انفتح منه إلا اليسير، وما أشرف منه إلا على القليل، فولجه من الأولين : الجاحظ(ت255هـ) في بيانه وتبيينه، والرماني(ت384هـ)والخطابي(ت388هـ) في إعجازهما، والجرجاني(ت417هـ) في دلائله وأسراره، والزمخشري(ت538هـ) في كشافه، وكل من جاء بعد الجرجاني فهو من عياله..

و في هذا العصر ظهرت دراسات حديثة، تستقي من نتاج الأولين وتصوغ منها مادة لمنهجية حديثة في التعامل مع النصوص الأدبية، فهي تنطلق من

أن القرآن لا يخرج عن كونه نصا أدبيا رفيعا ـــرغم قدسيته ـــ ، فقد جاء من جنس لسان العرب في ألفاظه، وجرى على سنن العرب في كلامها[1] .

فمن هؤلاء المحدثين من يرى أن إعجاز القرآن أو بعضه، يكمن في الجمال الفني، الذي يظهر في كل آيات القرآن، وأن الباحثين في البلاغة وفي إعجاز القرآن لم يولوا هذا الجانب عنايتهم، فقد شغلهم الجدل العقيم في مباحث "اللفظ والمعنى" وأيهما يكمن فيه الإعجاز.[2]

ودراسة هذا الجانب (أعني الجانب الفني في القرآن) هو أحد الأسباب التي حملتني على اختيار هذا الموضوع :**صورة المنافق في القرآن الكريم**(دراسة الدلالات الصوتية والصرفية، سورة التوبة نموذجاً).

إنّ كلما تلوت القرآن الكريم وتدبرت معانيه، وجدته يعرض السلوك الإنساني في نماذج مختلفة، ويصوره في قوالب عجيبة، تغوص في أعماق النفس الإنسانية، وتظهر ما فيها من خير، لتكثيره ومحاكاته، أو ما فيها من شر لتقليله واجتنابه، فيراها القارئ لكتاب الله عزوجل صورا حية، يصدق وجودها في كل زمان ومكان.

وسبب آخر يتعلّق بفئة المنافقين؛ فهم أخطر النماذج الإنسانية التي تحدّث عنها القرآن، فقد خصّهم بما يقرب من ثلاثمائة وستين آية؛ وصنفهم ضمن أسوأ

---

1)ألّف أحمد بن فارس (ت**395**هـــ) كتابا في فقه اللغة عنونه بـــ: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، وقد جرى في تأليفه بإيراد الشواهد من كلام العرب شعرا أو نثرا ثم يذكر نظير ذلك في كتاب الله ﷻ ، وقد قال في مقدمة كتابه:"ولـــو أنـــه لم يعلم توسع العرب في مخاطباتها لعيّ بكثير من علم محكم الكتاب والسنة"،ينظر:ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، المكتبة السلفية، القاهرة، **1328**هـــ/**1910**. ص**3**.

2)ينظر: سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط**7** ،**1402**هـــ/**1982**، ص**27**-**29**.

النماذج الإنسانية التي تحدث عنها، ويكفي دلالة على ذلك أن بشرهم بالعذاب الأليم والدرك الأسفل من النار،قال عزوجل:

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:138]

وقال أيضا :

﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾[النساء:145].

أمّا سبب اقتصاري على سورة التوبة فمردّه إلى كونها أكثر سور القرآن تصويراً للمنافقين و هي في الوقت نفسه، من آخر ما نزل.

وقد تناولت الموضوع في مستويين من مستويات الدراسة اللغوية الحديثة وهما: (الصوتي، والصرفي)، وذلك لتقاربهما، ولقلة من أفردهما بالبحث في القرآن كله أو في بعض سوره[1]..

وبعد هذا كله فإنّي لا أدعي تفردا في هذه الدراسة، ولا سبقا لأحد، ولا بدعا في الموضوع، فإنّ أول من خَبَر المنافقين وعُني بشأنهم هو الصحابي الجليل صاحب سرّ رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فقد تخصص بعلم أوصاف المنافقين، مما جعل كبار الصحابة يستفتونه في أمرهم، فقد كان عمر بن الخطاب يسأله عن المنافقين، وينظر إليه عند موت من مات منهم، فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر[2].

---

1)صدرت رسالة دكتوراه في التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، للدكتور عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، وقد طبعها بعنوان: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت،ط:**1423**هـ/**2002**.

2)ينظر: ابن عبد البر(**463**هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط**1** ،**1415**هـ/**1995**م ،ج**1**ص**393_394**

وقد أفرد المنافقين بالتأليف جماعةٌ من المتقدمين والمحدثين، فمن المتقدمين: الحارث بن أبي أسامة المدائني(ت215هـ) له كتاب: أخبار المنافقين، ذكر ابن نديم أنه " كتاب فيه تسمية المنافقين ومن نزل فيه منهم ومن غيرهم "[1]، ولأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي(ت301هـ)، كتاب وسمه بـ: صفة النفاق وذم المنافقين، ولأبي نعيم الأصبهاني(ت430هـ) كتاب وسمه بـ: صفة النفاق ونعت المنافقين من السنن المأثورة عن رسول الله ﷺ.

ويبدو أن هذه الكتب اعتمدت في دراستها للمنافقين على ما في الأحاديث النبوية من أخبارهم وأوصافهم، دون العناية الخاصة بمدارسة الآيات والسور التي نزلت في المنافقين، أو الوقوف عند الأساليب والدلالات..

ومن المحدثين الذين تناولوا موضوع المنافقين بالدراسة:

-الدكتور عبد الفتاح لاشين، له كتاب مطبوع عنوانه: لغة المنافقين في القرآن.

-و لأحمد حسن فرحات،كتاب:"الذين في قلوبهم مرض"،

-وألّف الدكتور عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني عن ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ.

-وكتب منذر الأسعد عن براءة الصحابة من النفاق، وكتب أخرى لم يتسنّ لي الاطلاع على بعضها..

إنه على الرغم مما كتب في موضوع المنافقين، فإني لم أقف على كتاب أو بحث في الموضوع يتناوله بالأسلوب والمنهج الذي اتبعته في هذه الرسالة المتواضعة.

---

1) ابن نديم(ت385هـ) ، الفهرست، دار المعرفة، بيروت،1978-1398، ج1ص147.

لقد اعتمدت على المنهج الوصفي الإحصائي الاستقرائي، كما اعتمدت في أحيان كثيرة على المنهج التحليلي، مقتصرا في أغلب الحالات على الآيات التي فيها تصوير للمنافقين، دون أن أغفل الآيات الأخرى؛ لأن سورة التوبة هي في مجملها تصوير دقيق للمنافقين، وهي ترصد بخط متوازي النماذج الإنسانية الأخرى، وتبرز مواقفها المتباينة..

وقد وجدت صعوبة في دراسة الموضوع، بهذه **المنهجية الحديثة**، لعدم وفرة الدراسات القرآنية في هذا المجال، فالبحث فيها مازال فتيا، وفي أدراجه الأولى، وهو لا يزال مثار جدل كبير، بين من يحظره بإطلاق، فلا يقبل إلا ما كان على خطى الدارسين القدامى، وبين من يجيزه بإطلاق، فيتعامل مع النص القرآني كأي نص لغوي آخر، ويراه قابلا لأي قراءة، بعيدا عن مراعاة الجانب العقدي فيه أو كونه نصا إلهيا، وليس نصا بشريا، والذي أرجحه هو عدم الوقوف لزاما في أحد الموقفين، فإن القرآن ليس نصا لغويا فحسب، بل هو وحي من عند الله، وهو ما يمدُّه بالقدسية، ويلزم التعامل معه بحذر، دون إغفال كونه قابلا للتأويل ولمختلف القراءات، من غير تطويعه للأهواء الوضيعة والآراء الغريبة، ودراسته بما يليق به من أساليب الدراسة، دون الحجر على الأساليب أو الجمود على المناهج..

وقد أفادتني كثيرا مطالعة بعض كتب المحدثين الذين تناولوا **الجانب الفني في الدراسة القرآنية**، مثل: كتب سيد قطب (التصوير الفني في القرآن، مشاهد القيامة في القرآن، وفي ظلال القرآن)، وكتب عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ): (التفسير البياني للقرآن الكريم ، الإعجاز البياني للقرآن)، وكتاب: الإعجاز الفني في القرآن، لعمر السلامي، ودراسة أحمد أبو زيد في التناسب

البياني في القرآن وبعض الدراسات التطبيقية الأخرى مثل :الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، لعبد الحميد هنداوي، وكتب أخرى..

وكانت عمدتي بالموازاة مع ذلك كتب التفاسير التي تقوم على المنهج اللغوي أو البياني، مثل: تفسير الكشاف للزمخشري(ت538هـ)، والمحرر الوجيز لابن عطية(ت542هـ)، والبحر المحيط لأبي حيان(ت745هـ)، والتفسير الكبير للرازي(ت604هـ)، وروح المعاني للآلوسي(ت1270هـ) ، والتحرير والتنوير لابن عاشور، وكتب أخرى في اللغة والنحو والصرف، وكتب في مناهج البحث، وغيرها من المصادر والمراجع، فقد استفدت منها جميعا، فضمّنت هذا البحث نقولا من بعضها، وأشرت إلى ذلك في مظانه، واستفدت من بعضها الآخر معاني وأفكارا، أعانتني كثيرا في رسم حدود البحث وضبط معالمه.

وقد جاء البحث في ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة وفهارس للآيات والأحاديث والمراجع، وفهرس للموضوعات، على النحو الآتي :

-**مقدمة:** فقد عرضت فيها بيان أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة فيه، والمنهجية المتبعة، و الصعوبات المعترضة، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها..

- ***أما الفصل الأول***، فقد كان بعنوان: ***المنافقون في القرآن الكريم من خلال سورة التوبة***، *وفيه مبحثان:*

  - الأول: عرضت فيه مفهوم النفاق، في لغة العرب واصطلاح الشرع، وبيان ظروف نشأته، والآراء في ذلك، مستخلصا من هذا المبحث كله أنّ النفاق الذي أعلن القرآن الحرب عليه وتوعد أهله بالدرك الأسفل من النار، إنما هو نفاق العقيدة،

وليس نفاق العمل، وأنه ظاهرة مستمرة متكررة متجددة إلى قيام الساعة وليس ظاهرة خاصة بالزمن الأول ..

- الثاني: عرضت فيه المراحل الزمنية لنزول سورة التوبة، حسب وقائع أحداث غزوة تبوك، من خلال كتب السيرة، وما كتب في أسباب النزول، وقد مثلت للآيات حسب الأحداث وترتيبها الزمني بتمثيل بياني..

وخلصت في الأخير إلى أن النفاق لم يواجه بحزم وقوة وشدة إلا بنزول سورة التوبة، فهي آخر سور القرآن نزولا وأكثرُها ذكرا لصور المنافقين وخبائثهم.

- ***وأما الفصل الثاني فهو بعنوان: صور المنافقين من خلال سورة التوبة، فقد عنيت فيه بدراسة الدلالات الصوتية***، وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: **دلالات الإيقاع في مستوى الأصوات** :أبرزت فيه مفهوم الإيقاع ودلالاته على مستوى الأصوات الصوامت والصوائت، وذلك بإحصاء عدد تواتر كل صوت منها في السورة كلها، والتمثيل لذلك بجداول مستقلة.
- المبحث الثاني: **القيمة الدلالية للأصوات** : حاولت فيه إبراز القيم الدلالية للأصوات، على مستوى الحرف، والكلمة والجملة..

وقد خلصت من هذا الفصل بأن الأصوات لها دلالات بارزة في تصوير النماذج الإنسانية، ويعتبر الإيقاع أكثر القيم الصوتية التي وظفها القرآن في سورة التوبة، لتصوير نموذج المنافقين.

أما الفصل الثالث فهو : صور المنافقين من خلال سورة التوبة، تناول دراسة الدلالات الصرفية، وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: **الوحدات الصرفية لسورة التوبة**.تناولت فيه دراسة : دلالات الحركة، ودلالات الحروف الزوائد، ودلالات حروف المعاني، ودلالات اللواحق التصريفية، ودلالات السوابق التصريفية، ودلالات الكلمات الجامدة.
- المبحث الثاني في : **مباني التقسيم** ..فقد تناولت فيه دلالات مباني الأسماء ودلالات مباني الأفعال.

ولقد خلصت من هذا الفصل بأن الدلالات الصرفية في سورة التوبة، قامت بوظيفة تصويرية للمنافقين، على مستوى الوحدات، و على مستوى مباني الأسماء و مباني الأفعال .

أما الخاتمة فقد جاءت لبيان أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

- ***ثم ذيّلت البحث بأهم الفهارس، وفيها:***
  - الأول: فهرس الآيات.
  - الثاني: فهرس الأحاديث.
  - الثالث: فهرس لأهم المصادر والمراجع والدرويات، وقد رتبتها ترتيبا أبجديا، حسب أسماء المؤلفين، جاعلا المصادر أولا، ثم المراجع والدوريات.

الفصل الأول

المنافقون في القرآن الكريم

سورة التوبة نموذجا

أولا ـــ مفهوم النفاق ونشأته

ثانيا ـــ المراحل الزمنية لنزول سورة التوبة

أولا:ــ مفهوم النفاق ونشأته

تمهيد:

إنه لا يمكن الوقوف على صور المنافقين في سورة التوبة تحقيقا وتدقيقا عند الأساليب والدلالات، ما لم يقف الدارس على مفهوم النفاق، وبيان أسباب نشأته وتطور حركته من خلال القرآن الكريم كله ؛ فإن رسم صورة متكاملة للمنافقين لا يمكن أن تكون من خلال سورة واحدة بمعزل عن سائر السور، وإن كانت سورة التوبة قد ضمَّت أغلب الصور، وما ذكر في غيرها، وإن اختلفت صوره، وتباعدت سياقاته، فهو تصوير لحركة النفاق في مختلف مراحل الدعوة، وفي جميع فترات الوحي، ومع ذلك فقد ذكرت السورة في مواضع كثيرة منها ما لم تذكره السور الأخرى، ولذلك اقتضى المقام الحديث عن مفهوم النفاق وبيان نشأته وتقديم لأحداث غزوة تبوك التي نزلت سورة التوبة بمناسبتها.

1ــ مفهوم النفاق:

كلمة النفاق من المصطلحات العربية التي أثراها القرآن فأضاف إلى ألفاظها معاني خاصة بها، لم تعرفها العرب، ولم تستعملها في خطابها بالمفهوم، الذي جاء به القرآن، كما قال ابن فارس[1]:" فكان مما جاء في الإسلام ــ ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق، وأن العرب إنما عرفت المؤمن من الأمان والإيمان وهو

---

1)ابن فارس هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب القزويني، أحد أئمة اللغة العربية في القرن الرابع للهجرة، توفي سنة 395هـ في الري، من مؤلفاته: مقاييس اللغة،الفصيح، تمام الفصيح، جامع التأويل في تفسير القرآن،والصاحبي في فقه اللغة، وغير ذلك من المؤلفات، للزيادة ينظر : جمال الدين القفطي (ت 624هـ)، إنباه الرواة على أنباء النحاة، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1424هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالإطلاق مؤمنا، وكذلك الإسلام والمسلم، إنما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء ، وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر، فأما المنافق فاسم جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نافقاء اليربوع "[1]، وذلك على سبيل النقل[2]، والاتساع الذي هو من خصائص اللغة العربية، ومن المعاني التي يعدل بها عن الحقيقة إلى المجاز.[3]

وقد نص ابن منظور(ت711هـ) على إسلامية هذا المصطلح، حيث قال: " وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله في اللغة معروفا "[4]. وقد تبعه في ذلك بعض الباحثين المحدثين ممن كتبوا في موضوع النفاق.[5]

---

1) ابن فارس (ت395هـ)،أبو الحسين أحمد، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، القاهرة ط 1328–1910، ص 45 وما بعدها و ومثل ذلك أيضا ألفاظ :الصلاة والزكاة والصيام ونحوها من الألفاظ التي أعطاها القرآن معان جديدة، لم يعهدها الاستعمال العربي لهذه الكلمات قبل ذلك.

2)ينظر : د.تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط، أولى، 1413–1993، ظاهرة النقل الوظيفي والنقل المعجمي، وكيف يتم نقل معنى اللفظ من قسم إلى قسم آخر.من ص 39إلى ص55 وينظر أيضا: السيوطي(ت911هـ)،جلال الدين، المزهر في علوم اللغة و أنواعها، دار الكتب العلمية،بيروت،1998، طأولى، تحقيق : فؤاد علي منصور.ج1ص238

3)ينظر: ابن جني(ت392هـ) أبو الفتح عثمان، الخصائص، دار الكتاب العربي،بيروت،(د.ت) تحقيق : محمد علي النجار، ج 2 ص 442ومابعدها. وينظر:ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله (ت751هـ)، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ص10

4)ابن منظور(ت711هـ)،جمال الدين الأنصاري محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،1995،مادة :نفق، ج10 ص357 و ما بعدها وينظر أيضا:ابن الأثير الجزري(ت606هـ)النهاية في غريب الحديث، المكتبة العلمية، بيروت، ج5 ص97

5)منهم: د.عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني،ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، دار القلم، دمشق،ط1،1993–1414 ج1ص52، وينظر أيضا:د.عبد الفتاح لاشين، لغة المنافقين في القرآن، دار الرائد العربي،بيروت،ط1 1405–1985،ج1ص12

إن النفاق في أصله اللغوي يعود إلى معان مختلفة وإن كانت كلها متقاربة، وذلك حسب الاشتقاق اللغوي الذي تُؤوّل به، وقد اختلف في ذلك على عدة وجوه، مرجعها إلى وجهين هما:

الأول: أنه من النَّفَق وهو السَّرَب في الأرض[1] ومنه قول الله ﷻ:

﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[سورة الأنعام:35]، فيكون معنى المنافق أنه: الذي يتستر بالإسلام كما يتستر الرجل بالسرب [2].

الثاني: أنه مشتق من نافق اليربوع أي دخل نافقائه، والنَافِقَاء هو أحد منفذي جحر اليربوع حيث يرققه ولا ينفذه، فإذا أوتي من جهة القاصعاء[3] ـــ وهي المنفذ الآخر لجحره ـــ ضرب النافقاء برأسه وخرج منها، والفرق بين المنفذين أن النافقاء يرققها اليربوع ولكنه لا ينفذها بخلاف القاصعاء فإنه "يحفر حفيرة ثم يسد بابها بترابها، ويسمى ذلك التراب الدّامّاء"[4].

---

1) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق :مادة نفق، ج10 ص357 وذكر أنه "سرب في الأرض مشتق إلى موضع آخر"، وعزاه إلى أبي عبيدة وفي القاموس المحيط : "والنفق محركة سرب في الأرض له مخلص إلى مكان " ينظر: الفيروزآبادي (ت817هـ)، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت، ج 3ص 286.

2)ينظر :د.الميداني،ظاهرة النفاق، ج1ص52، ود.عبد الفتاح لاشين، لغة المنافقين في القرآن، مرجع سابق ج1ص12.

3)قال الأصمعي : "القاصعاء، إنما قيل له ذلك لأن اليربوع يخرج تراب الجحر ثم يسد به فم الآخر من قولهم :قصع الكلم بالدم، إذا امتلأ به." ينظر،ابن منظور، لسان العرب، ج10ص357.

4)ابن منظور، المصدر نفسه، ج10 ص357.ويسمى تراب النافقاء :الراهطاء.وينظر أيضا:الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج3ص286، وينظر: الزمخشري(ت538هـ)جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت،لبنان،تحقيق عبد الرحيم محمود،ص468 مادة :نفق.

فيكون مأخذ النفاق الاصطلاحي، من كون المنافق يضع لنفسه طريقين:"إظهار الإسلام، وإضمار الكفر، فمن أيهما طلبته خرج من الآخر."[1]

ويحتمل أن يكون المأخذ من كون المنافق "يضمر الكفر في باطنه، فإذا فتشته رمى عنه ذلك الكفر، وتمسك بالإسلام."[2]

ويحتمل أن يكون المأخذ من كون المنافق يظهر الإسلام ويخرج منه سرا، كاليربوع إذا أخذت عليه المواضع خرج من جحر النافقاء[3].

وكلمة النفاق من حيث أصل الاشتقاق تحتمل الوجهين، والدلالة الشرعية للكلمة لا تعارضهما، فالمنافق يظهر غير ما يخفي، ويدخل بكفره وقد أظهر الإسلام، ويخرج بكفره وقد أبدى الإيمان، تقية وفرارا من القتل، فلا يعرف طالبه له مدخلا ولا مخرجا، احتيالا منه وخداعا، ما قال ﷻ[4]: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾[سورة المائدة: 61] .

---

1) د.عبد الفتاح لاشين : لغة المنافقين في القرآن، ج1ص12.

2) المرجع السابق،ج1ص13.

3)ينظر: النحاس(ت338هـ)،أبو جعفر أحمد بن محمد بن اسماعيل، معاني القرآن الكريم، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1 1409هـ، وينظر: محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، مكتبة جدة،عالم الكتب،ط1، 1406هـ/1986، ج 2 ص224.وينظر أيضا: الفيروزآبادي (ت817هـ)، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، ط:1390ـ1970، تحقيق : عبد العليم الطحاوي. ج4 ص105 .

4)جاء في تفسير البيضاوي : أنها نزلت في يهود نافقوا رسول الله ﷺ أو في عامة المنافقين ومعنى: ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾[المائدة:61] أي يخرجون من عندك كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك" ينظر: تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت، 1996-1416هـ تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة،ج2 ص 344.

ولذلك جاء عن الحسن قال: " كان يقال النفاق اختلاف السِّرّ والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج "[1]. وإن كان الظاهر أن المعنيين من حيث الاشتقاق متقاربان، إلا أن ابن منظور(ت711هـ) ينفي مرجعية اشتقاق كلمة النفاق من النَّفَق، ويرى أنها من النافقاء، حيث يقول:" وهو مأخوذ من النافقاء لا من النَّفَق"[2]، والغريب أنه حكى قبل ذلك عن أبي عبيد[3] أنها من النَّفَق[4] ومع نفيه لصلاحية نسبة النفاق لهذا الاشتقاق، فقد فسَّر السَّرَب بأنه: "الذي يستتر فيه."[5] وعلل وجه الشبه بين الاستعمال الشرعي والأصل اللغوي بأن المنافق يستر كفره [6].

ومادة (نَفَق) المتكونة من النون والفاء والقاف هي أصل واحد لمعان مختلفة،ولكنها متقاربة، تتضمن كلّها معنى مشتركا بينها جميعا، وهو معنى الخروج و الإخراج، وقد نص القرطبي(ت671هـ) على هذا المعنى في معرض تفسيره لقوله ﷻ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[سورة البقرة:3]، حيث قال : "قوله ﷻ : ﴿يُنفِقُونَ﴾ ينفقون يخرجون، والإنفاق: إخراج المال من اليد، ومنه نفق البيع: أي خرج من يد البائع إلى المشتري، ونفقت الدابة: خرجت روحها، ومنه النافقاء لجحر اليربوع الذي يخرج منه إذا أخذ من جهة أخرى، ومنه المنافق؛

---

1)الفريابي(ت301هـ)أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن، صفة المنافق، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت ـ ط أولى،1405هـ، تحقيق : بدر البدر، ج1 ص61

2)ابن منظور: لسان العرب، ج10ص357

3)أبوعبيد هو: القاسم بن سلام البغدادي اللغوي الفقيه توفي سنة 224هـ، ينظر: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ)، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ/1984، ج8/ص283.

4)ينظر: المصدر السابق.

5) المصدر نفسه.

6) المصدر نفسه.

لأنه يخرج من الإيمان أو يخرج الإيمان من قلبه ونيفق السراويل معروفة وهو مخرج الرجل منها ..."[1]

ويتضح مما سبق من معاني النفاق أنه يدور على معنيين:

الأول: معنى عام، وهو الذي يشمل جميع الاستعمالات للفظ النفاق،وأن فيه ظاهرا جليا، وباطنا خفيا، ومخالفة الباطن للظاهر[2]، دافع المكر والحيلة والخديعة، كما قال ابن رجب: "والذي فسره به أهل العلم المعتبرون أن النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر وإظهار الخير وإبطان خلافه.."[3]، فهو يتضمن معنى "ستر الشيئ وإظهار خلافه، فمن ستر شيئا وأظهر خلافه فهو منافق فيه، وليس هذا من الكفر الديني ولا النفاق الشرعي في شيئ."[4]، وهذا المعنى العام هو الذي جاءت به الأحاديث الكثيرة التي تصف بعض الأعمال التي لا تخرج صاحبها من الملة ـــ رغم قبحها في الشرع ـــ فتصفها بصفة النفاق وتسمي أصحابها منافقين.

وهذا المعنى العام يسميه العلماء: نفاق العمل أو النفاق الأصغر؛ لأنهم يقسمون النفاق إلى قسمين [5]:

---

1) القرطبي،محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت671هـ):الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة،1372 ط ثانية، أحمد عبد العليم البردوني.ج1/ص178.

2) ينظر:المباركفوري(ت1353هـ)، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج7ص322ـــ323.

3) ابن رجب الحنبلي(ت795هـ):جامع العلوم والحكم،دار الهدى، عين مليلة،الجزائر،تحقيق:شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، ج2 ص 481.

4)د.سميح غنيم، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، 1998.ج 2، ص 245.

5)ينظر: ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي(ت1176هـ)، الفوز الكبير في أصول التفسير، دار البشائر الإسلامية (د.ت)، ترجمه من الفارسية : سلمان الحسيني الندوي،وينظر أيضا:ابن رجب، المصدر السابق، ج2 ص 481.

النفاق الأصغر وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانيةً صالحةً، ويبطن ما يخالف ذلك"[1].

والثاني: النفاق الأكبر، وهو المعنى الخاص للنفاق، الذي عناه القرآن وحمل على أصحابه، وصور أخلاقهم وأعمالهم، ورسم شخصياتهم وكشف خبايا نفوسهم وفضح مكرهم وخداعهم. وهو" أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد النبي ﷺ، ونزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار."[2]

ومادة النفاق في القرآن تكرر ذكرها بهذا المعنى الخاص كثيرا، حيث بلغت عدد السور التي جاء فيها ذكر النفاق أو المنافقين، ووصف أحداثهم ومواقفهم ثلاث عشرة سورة من السور المدنية البالغ عددها ثلاثين، أي بنسبة تفوق ثلث السور المدنية، وبلغت الآيات التي صورت النفاق والمنافقين أكثر من ثلاثمائة آية[3]، أما كلمة النفاق، فقد وردت باسم المصدر تعريفا وتنكيرا ثلاث مرات، كلها في سورة التوبة:

الأولى: في قوله ﷻ: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة:77]

---

1)ينظر: ابن رجب، المصدر نفسه، ج2 ص 481..

2) المصدر السابق، ج2 ص 481.

3) ينظر:د.عبد الفتاح لاشين، لغة المنافقين في القرآن، ج1ص13 .

الثانية: في قوله ﷻ: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٩٧﴾ [التوبة:97]

والثالثة: في قوله ﷻ: ﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ١٠١﴾[التوبة:101]، ولم ترد هذه الكلمة بصيغة الفعل إلا في موضعين:أحدهما: في سورة آل عمران وهو قوله ﷻ: ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۖ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧﴾ [آل عمران:167]والثاني: في سورة الحشر، وذلك في قوله ﷻ:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدٗا أَبَدٗا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١﴾ [الحشر:11]

وما يمكن ملاحظته أن فعل النفاق في الموضعين متعلق بالزمن الماضي، وفيه دلالة نفسية بالغة من أن النفاق استكنَّ في نفوس هذه الطائفة، وأنهم اتخذوا النفـــاق منهجا لهم حتى صار صبغة فيهم، والصيغة توحي أيضا بأن لهذه الطائفة سوابق في النفاق، وأن ما يصفهم به القرآن من أقوال وأفعال بعد إيراد هذه الصيغة، إنما هو تأكيد للمنهج الذي اتخذته هذه الطائفة ووطنت أنفسها عليه، وليس أمرا طارئا، ولا أحداثا عارضة، وليست أقوالهم تصدر عن عفوية ولا أفعالهم عن حسن نية، مما يمكن أن يصدر مثلها عن بعض المؤمنين، عن غير قصد، كقصة كعب بـــن

مالك أحد الثلاثة الذين خلفوا[1]، وقصة حاطب بن أبي بلتعة[2]، وقصة مالك بن الدخشن[3]، وغيرها مما يدل كله على أن النفاق الذي تحدث القرآن عنه، كان ظاهرة متأصلة في بعض النفوس، و لم يلجأ القرآن إلى معالجتها، وفضح أصحابها، إلا لما هو متأصل فيها.

وجاءت كلمة النفاق بصيغة اسم الفاعل المؤنث، في خمس مواضع، أما الأول والثاني ففي سورة التوبة في قوله ﷻ: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم

---

1) ينظر قصتهم كاملة في :البخاري(ت256هـ)،أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، المكتبة الثقافية، بيروت(د.ت)، كتاب المغازي، حديث410، ج6ص19ـ25، وينظر: مسلم بن الحجاج، أبو الحسين(ت261هـ)، صحيح مسلم،دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب التوبة، ج4ص 2121ـ2127.

2)حاطب بن أبي بلتعة هو: "عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي المكي حليف بني أسد بن عبد العزى بن قصي،من مشاهير المهاجرين شهد بدرا والمشاهد وكان رسول رسول الله ﷺ إلى المقوقس صاحب مصر،وكان تاجرا في الطعام له عبيد وكان من الرماة الموصوفين...روى الليث عن أبي الزبير عن جابر أن عبدا لحاطب شكا حاطبا فقال يا نبي الله ليدخلن النار قال:﴿ كذبت لا يدخلها أبدا وقد شهد بدرا والحديبية ﴾أخرجه:أحمد في مسنده،ج6ص326ررقم:27090، وينظر: الذهبي (ت748هـ)، محمد بن أحمد بن عثمان، أبوعبد الله، سير أعلام النبلاء،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 9، 1413، ج 2 ص 43. وينظر: قصة بعثه كتابا إلى قريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ وما نزل فيه من الوحي في: صحيح البخاري، ج4 ص 143ـ144 وصحيح مسلم، ج 4 ص1941ـ1942

3)مالك بن الدخشن أو الدخشم، قال ابن حجر(ت852هـ) : "قال أبو عمر لا يصح عنه النفاق فقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه."ينظر: ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة،دار الجيل، بيروت،1992-1412هـ طأولى،تحقيق:علي ممد البجاوي، ج 5ص74، ولعل الذي حمل ابن حجر وابن عبد البر من تبرئة مالك بن الدخشن من النفاق ما جاء في بعض الروايات أنه عن مقاتل بن سليمان قال :" دعا اليهود منهم أصبغ ورافع ابنا حرملة وهما من رؤوسهم عبد الله بن أبي ومالك بن دخشم إلى اليهودية وزينا لهم ترك الإسلام حتى أرادوا أن يظهروا الكفر فأنزل الله ﷻ هذه الآية يحذر من اتباع اليهود ويبين عداوتهم لهم"ينظر :ابن حجر العسقلاني (ت852هـ)،العجاب في بيان الأسباب،دار ابن الجوزي، الدمام،1997،ط أولى، تحقيق،عبد الحكيم محمد الأنيس،ج: 2 ص: 740

وذهب إلى ذلك ابن عبد البر أيضا لما ذكره في التمهيد " فقال رجل منهم فأين مالك بن الدخشم لا أراه أتى فقال رجل آخر منهم ذلك منافق لا يحب الله ولا رسوله فقال رسول الله ﷺ لا تقل ذلك ألا تراه قد قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ؟فقال الرجل: الله ورسوله أعلم أما نحن يا رسول الله فما نرى مودته ونصيحته ووجهه إلا إلى المنافقين قال رسول اللهﷺ : ﴿ فإن الله قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بها وجه الله والدار الآخرة﴾ ينظر: ابن عبد البر(ت463هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1401-1981، تحقيق سعيد أحمد أعراب ج: 10 ص: 158-159

مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٦٧ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ٦٨ ﴾[التوبة:17-18]

الثالث: في سورة الأحزاب، وذلك في قوله ﷻ:

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٣﴾ [الأحزاب:73]

الرابع: في سورة الفتح، قال ﷻ:

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦﴾[الفتح:6]

الخامس: في سورة الحديد، وهو قوله ﷻ:

﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤﴾ [الحديد:13-14]

ويبدو ـــ من خلال هذه الآيات ـــ أن حركة النفاق لم تخل مـــن دور للمرأة، وأنه بإمكان التعبير القرآني عدم التنصيص على الإناث والاكتفاء بـــذكر صيغة جمع المذكر، وتدخل فيه الإناث على وجه التغليب كما في بقية الآيـــات الأخرى التي وصفت أعمال المنافقين، ولكن القرآن نص على هـــذا الطـــرف النسوي في حركة النفاق، تنبيها للمؤمنين على خطره، وتحذيرا لهم من كيـــده، وإن كانت التفاسير وكتب السنة[1] ذكرت أسماء المنافقين الذين اشتهر صيتهم في عهد التنزيل القرآني[2]، فلا يكاد الباحث أن يقف على تسمية امـــرأة واحـــدة منهم، رغم تأكيد القرآن على وجود المنافقات ـــ كما رأينا ـــ وهذا يدل بكل تأكيد على خفاء هذا الطرف من المنافقين، مما يجعلهم أخطر من غيرهم. ويدل أيضا على وجود النفاق في الجنسين، كما أنه يعتبر شرعا ظاهرة مستمرة إلى يوم القيامة، كما أشارت إلى ذلك بعض الأحاديث الصحيحة،في ما يكون في آخر

---

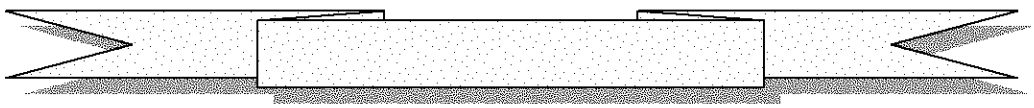
1)روى الطبراني في مسند حذيفة تسمية أصحاب العقبة، وأصحاب العقبة هم الذين هموا بقتل الرسول ﷺ وهو مقبل من غـــزوة تبوك بالعقبة، كانوا اثني عشر رجلا، أرادوا أن يزاحموه فيها فيلقوه منها فأطلع الله رسوله على مرادهم، فأمر حذيفة فرجع إليهم فضرب وجوه رواحلهم ففزعوا ورجعوا مخذولين، وأعلم رسول الله ﷺ حذيفة وعمارا بأسمائهم وما كانوا هموا به. ينظر: الطـــبراني (ت360هـــ)، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، مكتبـــة العلـــوم والحكـــم، الموصـــل، ط2، 1983/1404، تحقيق:حمدي بن عبد المجيد السلفي،ج3 ص 166 . وجاء في تفسير القرطبي أنهم كانوا سبعين، أنزل الله أسماءهم ثم نـــسخ تلـــك الأسماء من القرآن رأفة منه ورحمة لأن أولادهم كانوا مسلمين، والناس يعير بعضهم بعضا،" ينظر : تفسير القرطبي (ت671هـــ)، ج8 ص196. وفي رواية لأحمد : أن رسول الله ﷺ خطب خطبة سمى فيها ستة وثلاثين رجلا وصفهم بالنفاق وأمرهم بالخروج من المسجد. ينظر:أحمد بن حنبل(ت241هـــ)،مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ت)، ج5 ص273.

2) ذكر ابن نديم(ت385هـــ) أن الحارث بن أبي أسامة المدائني(ت215هـــ) له كتاب: أخبار المنافقين، وذكر أنه " كتـــاب فيـــه تسمية المنافقين ومن نزل فيه منهم ومن غيرهم " ينظر:ابـــن نـــديم، الفهرســـت، دار المعرفـــة،بيروت،1978-1398(147/1) وينظر:ابن حجر الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت974هـــ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان، دار الكتاب العـــربي، القـــاهرة، بيروت، 1407هـــ(109/1)، وينظر : د.الميداني، ظاهرة النفاق، ج2ص511-531 .

الزمان من الفتن، من ذلك حديث الدجال في صحيح مسلم وفيه: ﴿ ...فَيَأْتِي سِبْخَةَ الْجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ وَقَالَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ﴾[1]

وأما كلمة النفاق بصيغة اسم الفاعل المذكر، فقد جاء تكرارها تسعا وعشرين مرة في إحدى عشرة سورة، وهي: آل عمران:167 والنساء:(64-88-138-140-142-145)، الأنفال:49، التوبة:(64-67-68-73-101)، العنكبوت:11، الأحزاب: (1-12-24-48-60-73)، الفتح:6، الحديد:13، الحشر:11، المنافقون:(1-7-8)، التحريم:9.

والحديث عن النفاق والمنافقين في القرآن الكريم، يتجاوز الحدود المعجمية لكلمة النفاق، فقد يأتي في القرآن ــ في مواضع عديدة ــ حديث عنهم بصيغ مختلفة، دون أن تكون ــ بالضرورة ــ كلمة النفاق أو مشتقاتها حاضرة، بل يوجد في بعض المواضع حديث عن النفاق والمنافقين بإسهاب بليغ، وتصوير بديع، فيفهم الجميع أن النفاق والمنافقين هم المقصود من هذا التصوير أو ذاك الإسهاب، ويكفيك إدراكا لهذا المعنى أن تقرأ سورة التوبة، لتقف على أكثر النماذج ذكرا، بالوصف البليغ والتصوير الدقيق، ولتجد نفسك قد ارتسمت في ذهنك، صورة المنافقين، تلك المجموعة الشاذة من الناس، في أفكارها وتصوراتها، الشاذة في عقيدتها وسلوكها، الشاذة في تكوينها النفسي والخلقي، وهو ما تسعى هذه الدراسة المتواضعة الوقوف عليه فيما يأتي من فصول.



1) صحيح مسلم، ج 4 ص2266.

2-نشأة النفاق:

يرى بعض الباحثين المعاصرين أن حركة النفاق ذات بعـــدين: نفـــسي واجتماعي[1]، ويتمثل البعد النفسي:" في أن عددا من الناس، على مدار التاريخ يسوقهم تكوينهم النفسي ـــ الذي هو حصيلة المؤثرات البيئية والوراثيةـــــ إلى اتخاذ (موقفين) إزاء القضية الواحدة أحدهما ظاهر والآخر باطن، فيعلنون غير ما يكتمون، ويقولون غير ما يفعلون، ويدفعهم الخوف الذي يتصورونه جاثما عليهم في كل لحظة، إلى تغطية بواطنهم بأستار ظاهرية يختبئون خلفها علَّها تحميهم من الانكشاف وهم إذا ما خلوا إلى نفوسهم، وشعروا أنهم غدوا بمنأى عما يخيفهم، دفعوا الأستار جانبا وظهروا على حقيقتهم."[2]

والظاهر أنه يعتبر الجبن والخوف الدافع لبعض الفئات من الناس إلى سلوك النفاق، وبعد طول الممارسة يصير"ظاهرة مرضية، يسميها علماء النفس (انفصام الشخصية)، حيث تنقطع الخيوط بين الظاهر والباطن، وتزول عوامل الارتباط في كيان الإنسان، وتتفكك الذات المتوحدة إلى شخصيتين أو أكثر.."[3]

وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حيث اعتبر النفاق مظهرا لخلق بشري، لا يظهر فقط في الوضع الذي يخاف فيه الشخص من صراع قوتين، وإنما هـــي "طبيعة التختل واللاوضوح تطفو على سطح النفس الإنسانية كلما واجه المنافق شخصا أو عملا، ولو لم تكن في المواجهة مـــسؤولية الـــرأي أو الانتمـــاء أو

---

1)يراجع:د.عماد الدين خليل،دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، دار النفائس،ط 10، 1986،ص363 وما بعـــدها. و د.عبـــد الكريم غلاب، صراع المذهب والعقيدة في القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط1،1973، ص239 وما بعدها.

2)عماد الدين خليل،دراسة في السيرة، ص363

3)المرجع نفسه، ص363-364

الاختيار."[1] ويرى أن النفاق ينشأ من الصراع بين الشجاعة والجبن، "الشجاعة في مواجهة الرأي بالقبول أو الرفض، وفي مواجهة الشخص بالحب والبغضاء مثلا، والجبن في مواجهة الرأي أو الشخص بالحقيقة الداخلية للمنافق نفسه، فالنفاق إذن مرض نفسي كما يوجد في عصر النبوة وفي البيئة العربية يوجد في عصرنا وما بينهما وما قبل النبوة، وفي بيئتنا الإقليمية والاجتماعية وفي البيئات الأخرى "[2]

إن مما يؤيد هذا التفسير النفسي لظاهرة النفاق، أن السور التي تحدثت عن النفاق والمنافقين كلها مدنية ماعدا سورة العنكبوت ـــ وإن روى المفسرون أن الآيات التي تحدثت فيها عن المنافقين هي مدنية[3].

ولا شك أن النفاق ظهرت معالمه وعرفت أعيانه في المدينة دون مكة وقد بحث المفسرون في علّة ذلك، رغم ما قيل في بعض الآيات المكية أنها نزلت في المنافقين[4] وقرروا أن مرد ذلك إلى أن المسلمين في مكة لم يكن لهم من القوة والنفوذ في حالة "تستدعي وجود فئة من الناس ترهبهم أو ترجو خيرهم، فتتملقهم وتتزلف إليهم في الظاهر، وتتآمر عليهم وتكيد لهم وتمكر بهم في الخفاء"[5]، فقد كان أهل مكة، وزعماؤها خاصة، يناوئون النبي جهارا،

---

1) د.عبد الكريم غلاب، صراع المذهب والعقيدة في القرآن، ص239

2)المرجع السابق، ص22–23

3)أبدى د.محمد عزة دروزة شكه في كونها مدنية "استلهاما مما سبقها وما لحق بها من الآيات"، ينظر كتابه: سيرة الرسول ﷺ، صور مقتبسة من القرآن الكريم، طبع عيسى بابي الحلبي وشركاؤه،1384–1965، ج2ص73

4)ينظر: ابن حجر، (ت852هـ)، فتح الباري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1405هـ/1985،ج8 ص615.

5)د. محمد عزة دروزة، سيرة الرسول ﷺ، المرجع السابق،ج2 ص73–74، وينظر أيضا : عبد الفتاح لاشين، لغة المنافقين في القرآن، ج1ص11

ويتناولون من استطاعوا من المسلمين بالأذى الشديد، ويقاومون الدعوة بكل وسيلة دون ما تحرز أو تحفظ، وكانت القوة لهم حتى اضطر المسلمون إلى الهجرة فرارا بدينهم إلى الحبشة أولا، ثم إلى المدينة ثانيا "[1].

وعدم وجود القوة يعني عدم وجود السلطة المتمثلة في الدولة أو العصبة والشوكة على طريقة النظام العربي القديم، وهو سبب كاف لعدم ظهور حركة النفاق في مكة بالوجه الذي ظهرت عليه في المدينة،وكما قال سيد قطب:" الإسلام في مكة لم تكن له دولة و لم تكن له قوة، بل لم تكن له عصبة يخشاها أهل مكة فينافقونها."[2]

إن هذا الرأي مبني على فرضية أن النفاق لم يوجد في مكة على الإطلاق، لكن يعترض هذا الرأي إشكال، وهو أن سورة العنكبوت وهي من السور المكية، جاءت فيها إشارة صريحة تذكر المنافقين وتصور بعض سلوكهم، قال ﷻ: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾[العنكبوت1-6]

---

1) المرجع السابق، ج1ص11.

2)سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط9، 1400-1980،ج1 ص31.

وقال ﷻ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾[العنكبوت:10-11]

ومع أن بعض المفسرين روى بأن الآيات المذكورة مدنية[1]، فقد شكك في ذلك محمد عزة دروزة، ثم جزم بأن حركة النفاق هي من حركات العهد المدني وأحداثه، في إشارة إلى نفي وجودها بمكة[2]، ومع احترامنا لهذا الرأي فإننا نشكك معه في كون هذه الآيات مدنية لمجرد أن جاء فيها حديث عن المنافقين، ولكن لا نجزم بأن النفاق لم يظهر إلا في المدينة، وقد يصعب على البعض فهم وجود النفاق في مكة ولكننا نرى أنه مادام لم يصح الجزم بنفي وجوده في مكة، فإننا غير ملزمين بأي تأويل إلا ما جاء به سياق الآيات في سورة العنكبوت، وما ورد في تاريخ النزول من روايات، فقد قال بأن آياتها كلها مكية: الحسن وعكرمة وعطاء وجابر، وفي أحد قولي ابن عباس و قتادة ويحيى بن سلام أنها مكية إلا عشر آيات من أولها فإنها نزلت بالمدينة في شأن من كان من المسلمين بمكة، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: نزلت بين مكة والمدينة[3]، وإن ترجحت

---

1) ينظر: السيوطي (ت911هـ)، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن،المكتبة الثقافية، بيروت،1973،ج1 ص16، ذكر من السور المكية التي فيها آيات مدنية سورة العنكبوت، قال:العنكبوت استثني من أولها إلى :﴿ وليعلمن المنافقين﴾ لما أخرجه ابن جرير في سبب نزولها." وينظر،الثعالبي (ت875هـ)،عبد الرحمن بن محمد أبو زيدالجزائري، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،ج،3 ص188

2) ينظر: د.محمد عزة دروزة، سيرة الرسول ﷺ ، ج2 ص73.

3)ينظر:القرطبي(ت671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ج13ص323.

هذه الروايات فإن السورة كلها مكية، وهو ما رجحه علي بن جابر الحربي[1]، ولا مانع من وجود النفاق في مكة لأن دوافع النفاق ليست بالضرورة أن تكون دائما هي الخوف والرهبة من القوة، فقد يكون دافع النفاق الرغبة والطمع، وإذا أردنا أن نفهم طائفة المؤمنين في مكة على فرض أن سورة العنكبوت كلها مكية،أو مكية كلها إلا آيات منها، فإننا سنجد طائفة من الناس أعجبت بالإسلام باعتباره ثورة اجتماعية يتساوى فيها السادة والعبيد والأغنياء والفقراء، فهم يطمعون في الاستفادة من خير هذه الثورة ولكنهم غير مستعدين أن يضحوا بأنفسهم أو ما اعتنقوه من عقائد وجدوا عليها آباءهم من قبل، فهم يظهرون للمؤمنين الإيمان تحسبا لانتصارهم في يوم ما، فيحسبون في عدادهم، دون أن يبذلوا أي تضحية تعود عليهم في حاضرهم بخسران مكانتهم بين قومهم وعشيرتهم أو ضياع أموالهم، ويؤيد هذا التوجيه ما حكاه عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني من أنه: " روي ما يتضمن أن هذا النص نزل بشأن فريق أسلموا بمكة، وكان حالهم مع المشركين حال من لا يصبر على الأذى الذي يتعرض له من قبلهم، فكانوا إذا لحقهم أذى من المشركين تأثروا بالأذى فأعطوهم ما يريدون منهم في الباطن، وحافظوا على انتمائهم للإسلام في الظاهر، و لم يهاجروا في سبيل الله إلى دار الإسلام مع أنهم أمروا بالهجرة يومئذ."[2]

وأما دوافع استبقاء هؤلاء انتماءهم للإسلام ظاهرا مع كفرهم باطنا، فهي في نظر الميداني تتمثل في أمور منها:

---

1)ينظر:د. علي بن جابر الحربي، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1991 ص334-336.

2)الميداني، ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، ج2 ص148.

-" أن لا يوصموا بالارتداد عن الإسلام بعد دخولهم فيه.

- أن يكونوا محسوبين مع المسلمين إذا انتصروا واستقرت لهم دولة في المدينة، وأخذت تتسع.

- أن يكونوا في حالة سلم وأمن من قبل دولة الكفر في مكة، ودولة الإسلام في المدينة." [1]

ونظير آيات سورة العنكبوت، ما جاء في سورة الحج، وإن كانت من السور المدنية، وهو قوله ﷻ:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [العنكبوت:10-11] ومثل هذه الآيات ما جاء في سورة الحج، وهو قوله ﷻ:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾[الحج:11].

روى البخاري[2]عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية أنه قال:﴿ كان الرجل يقدم المدينة فيسلم فإن ولدت امرأته غلاما ونُتجت خيلُه قال هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته و لم تُنتَج خيْلُه قال هذا دين سَوْء ﴾

---

1) المرجع السابق، ج 2 ص150

2) صحيح البخاري، ج6 ص180ــ181.

ويروى في سبب نزولها[1] أيضا أن رجلا من اليهود أسلم، فذهب بصره وماله فتشاءم بالإسلام، فقال: لم أصب من ديني هذا خيرا، ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فنزلت:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾[الحج:11].

فهذه الآية تحكي صفة نموذج إنساني، " صفة الإنسان المضطرب الدين، الضعيف اليقين، الذي لم تثبت في الحق قدمه، ولا استمرت عليه مريرته، فأوهى شبهة تعرض له ينقاد معها، ويفارق دينه لها، تشبيها بالقائم على حرف مهواة. فأدنى عارض يزلقه، وأضعف دافع يطرحه "[2]. ولذلك يمكننا اعتبار ما جاء ذكره من تسمية المنافقين ورصدٍ لبعض أوصافهم إنما هو تصوير لنموذج إنساني، حسب طريقة القرآن في تصوير النماذج الإنسانية، والدلالة اللغوية لكلمة النفاق تجعلنا في حلٍّ من ضرورة فهم النفاق بالمعنى الشرعي الذي عُرِف به أصحابه في المدينة بعد ذلك[3].

ومع ما ذهبنا إليه من اعتبار الحديث عن النفاق والمنافقين، هو تصوير لنموذج إنساني، فإنه بإمكاننا أن نذهب إلى رأي آخر، قريب من هذا، وإن

---

1)ينظر: جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم، بيروت،ص148.

2)الشريف الرضي(ت406هـ)، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى بابي الحلبي ط:أولى 1955، تحقيق : محمد عبد الغني حسن، ص237، وينظر هذا المعنى أيضا عند : ابن قتيبة (ت276هـ)،أبو محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى بابي الحلبي، ط أولى، تحقيق : السيد أحمد صقر، ص27.

3) ينظر :د. علي ابن جابر الحربي، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، ص 336.

اختلف عنه في التوجيه، وهو أنه لا مانع من عدِّ النفاق ظاهرة مكية قبل أن تكون مدنية، وذلك لاعتبارات منها: ما جاء في سبب نزول قوله ﷻ:﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨ ﴾[النساء:88].

قال الثعالبي(ت876هـ): "واختلف في هؤلاء المنافقين فقال ابن عباس هم قوم كانوا بمكة أظهروا الإيمان لأصحاب النبي ﷺ في كتب بعثوا بها إلى المدينة ثم خرجوا مسافرين إلى الشام وأعطتهم قريش بضاعات وقالوا لهم أنتم لا تخافون أصحاب محمد لأنكم تخدعونهم بإظهار الإيمان فاتصل خبرهم بالمدينة فاختلف المؤمنون فيهم فقالت فرقة نخرج إليهم فإنهم منافقون وقالت فرقة بل هم مؤمنون لا سبيل لنا إليهم فنزلت الآية وعن مجاهد نحوه "[1].

فقد دلَّت هذه الرواية على أن المنافقين كانوا موجودين في مكة أيضا، والظاهر أنهم طائفة من التجار النفعيين الذين لا تهمهم إلا مصالحهم المادية، فاستعملوا أسلوب النفاق، تأمينا لتجارتهم من أن يعترضها المسلمون في طريقها إلى الشام، باعتبار أنهم مسلمون في الظاهر:

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ﴾[البقرة:14]

وتأمينا لأنفسهم وأموالهم في مكة، فهم مع المشركين وموالين لهم:

﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴾[البقرة:14]

وبذلك ينالون الأمن من الجانبين، ولكن الحكيم الخبير لم يترك لهم مجالا للعبث

---

1) الثعالبي (ت876هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1 ص 398

بعقيدة التوحيد، فالتوحيد الخالص لا يقبل المساومة ولا اللبس ولا الضبابية والغموض والتذبذب والتردد ؛ ولذلك وضع القرآن هذه الطائفة من الناس على المحك، وفي الموقف الذي لا يقبل أي تأويل؛ فأوجب القرآن الهجرة؛ كما دلَّت على ذلك الآيات التي تحثُّ الذين أظهروا الإسلام في مكة أن يهاجروا إلى المدينة بعد أن هاجر إليها الرسول ﷺ، وتعتبر ذلك واجبا لا يجوز التخلف عنه، بل تشير آيات كثيرة إلى أن صدق الإيمان وصحته، لا يكون إلا بالهجرة، وفي آيات أخرى توبيخ صريح للذين لم يهاجروا، وليس لهم ما يمنعهم، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله ﷻ في سورة النساء: ﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُواْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ٩٠ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ٩١﴾[النساء:88-91]

وقوله أيضا:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾[النساء:97-99]

وقوله في سورة الأنفال:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ ﴾[الأنفال:72].

ولذلك كلّه لا يمكننا الجزم أن كل آيات سورة العنكبوت مكية؛ فإنه لا مانع من احتمال وجود منافقين في مكة، وفي الوقت نفسه تنـــزل آيات في المدينة، تصور سلوكهم، وتبين شأنهم.

أما في المدينة فقد اضطر كثير من مرضى النفوس لمصانعة الإسلام بعد أن صارت له قوة يحسب حسابها كل أحد ـــ خاصة بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين انتصارا عظيما.

وقد وجد نفر من الكبراء أنفسهم مضطرين إلى التظاهر باعتناق الدين الذي دخل فيه أهلهم وشيعتهم، ليحفظوا مصالحهم ومقامهم الموروث، وفي مقدمة

هؤلاء "عبد الله بن أبي بن سلول[1]، فكان قومه قد نظموا له الخرز ليتوجوه ثم يملكوه عليهم فجاءهم الله ﷻ برسوله ﷺ وهم على ذلك فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن، ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكا فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام دخل فيه كارها مصرا على نفاق وضغن"[2].

ومن الباحثين المحدثين من جعل ظاهرة النفاق تضرب عروقها في التاريخ الغابر، فلم يقف عند الحدود الإنسانية، بل تجاوزها إلى اعتبار أن أول المنافقين كان إبليس أخزاه الله ! وأنه بسبب عناصر التشابه بينه وبين الملائكة استطاع أن يندس في صفوفهم ويشاركهم في عباداتهم، ويعمل مثل أعمالهم، ويصعد السماء مثلهم، بدليل وجوده ضمنهم لما أمروا بالسجود لآدم، وهو من الجن وليس من الملائكة، و أراد الله ﷻ أن يكشف ما في نفس إبليس من الكفر بتوحيد الإلهية، فأمر الملائكة بالسجود لآدم، وكان إبليس من بينهم فرفض الانقياد، وروجع في ذلك إلا أنه لم يتراجع معلنا كبره وكفره[3] قال ﷻ في سورة (ص):

---

1) قال ابن حجر(ت852هـ) : "مال بعض أهل الحديث إلى تصحيح إسلام عبد الله بن أبي لكون النبي ﷺ صلى عليه." ولكنه علق على من صحح إسلامه بأنه:" ذهل عن الوارد من الآيات والأحاديث المصرحة في حقه بما ينافي ذلك" وبأنه محجوج بإجماع من قبله على نقيض ماقال وإطباقهم على ترك ذكره في كتب الصحابة مع شهرته وذكر من هو دونه في الشرف والشهرة بأضعاف مضاعفة " ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج 8 ص336. و سلول هو" بفتح المهملة وضم اللام وسكون الواو بعدها لام هو اسم امرأة وهي والدة عبد الله المذكور وهي خزاعية وأما هو فمن الخزرج أحد قبيلتي الأنصار وابن سلول يقرأ بالرفع لأنه صفة عبد الله لا صفة أبيه"، ينظر : فتح الباري، ج8 ص337.

2)عبد الملك بن هشام (ت213هـ) السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت،1411هـ، ط أولى، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ج3ص128، وينظر: سيد قطب، المرجع السابق. ولفظ البخاري: "قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اعْفُ عَنْهُ وَاصْفَحْ عَنْهُ فَوَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ لَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبُحَيْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُوهُ بِالْعِصَابَةِ فَلَمَّا أَبَى اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ شَرِقَ بِذَلِكَ فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ فَعَفَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ." (ينظر: صحيح البخاري، ج6 ص80ـ82)

3) الميداني، ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، ج2ص492-496

﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة ص:73-74].

وبعد أن طرد إبليس من رحمة الله:"مهر إبليس أسلوب النفاق، فسعى هو وجنوده لابسين أقنعة النفاق لإغراء وإغواء بني آدم.." [1]

إن وصف إبليس بالنفاق فيه شيء من التجوز ؛ لأن إبليس لم يخف كفره بتوحيد الإلهية، بل أعلن ذلك صراحة، وتمرد على أمر الله، واستكبر، كما وصفه الحق ﷻ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة:34] وفي سورة (ص) الآية السابقة: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [سورة ص:74]، وفي سورة الإسراء: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء:27].

وقد كان من رأي إبليس، أنه يجوز السجود لغير الله، ولا يكون هذا إلا لمن كان في مثل خلقته، فهو المخلوق من نار.

وقد حكى القرطبي أن إبليس "كان رئيس ملائكة السماء الدنيا وكان له سلطانها وسلطان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما وكان يسوس ما بين السماء والأرض فرأى لنفسه بذلك شرفا وعظمة فذلك الـــذي دعاه إلى الكفر فعصى الله فمسخه شيطانا رجيما فإذا كانت خطيئة الرجـــل في

1)المرجع نفسه،ج2 ص497

كبر فلا ترجه وإن كانت خطيئته في معصية فارجه وكانت خطيئة آدم عليه السلام معصية وخطيئة إبليس كبرا"[1]

وجاء في تفسير معنى قوله ﷻ: ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة:34] أي وصار من الكافرين بسبب امتناعه كما قال ﷻ: ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾[هود:43]وقال ﷻ: ﴿ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة:35]

وقال الشاعر[2]:

بِتَيهاءَ قَفرٍ وَالمَطِيُّ كَأَنَّها قَطا الحَزنِ قَد كانَت فِراخاً بُيوضُها[3]

أي قد صارت وقال ابن فورك[4]: تقديره وقد كان في علم الله من الكافرين[5]، ورجح القرطبي هذا الرأي، واستدل لصحته[6] بما جاء في صحيح البخاري:« **وإنَّما الأعمال بالخواتيم**»[1]

---

1)القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج1 ص395

2)هو "عمرو بن الأحمر بن العمرد بن تميم بن ربعة بن حرام الباهلي أبو الخطاب قال المرزباني :مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام الراوي وغزا في مغازي الروم وأصيب بإحدى عينيه هناك ونزل الشام وتوفي على عهد عثمان بعد ان بلغ سنا عالية وهو صحيح الكلام كثير الغريب... وقال أبو الفرج: كان من شعراء الجاهلية المعدودين ثم أسلم وقال في الإسلام شعرا كثيرا ومدح الخلفاء الذين ادركهم وخالد بن الوليد وكان في جيشه بالشام ولم يلق أبا بكر ومدح عمر فمن دونه الى عبد الملك بن مروان وكذا قال وهو مخالف قول المرزباني انه مات في عهد عثمان فالله أعلم" ينظر: ابن حجر، الإصابة، ج5ص108ـــ109 وقد عمر طويلا وتوفي حوالي 65هـ، ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت،ط8، 1989، ج5 ص72

3)البيت ضمن أبيات له منها : (ينظر : ابن منظور، لسان العرب، ج 7 ص 186)

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة** صحيح السرى والعيس تجري عروضها

بتيهاء قفر و المطي كأنها ** قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

وروحة دنيا بين حين رحتها** أسير عسيرا أو عروضا أروضها

4)ابن فورك هو :

5) ينظر:ابن كثير،(ت774هـ) اسماعيل بن عمر أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، 1401هـ، ج1 ص 79

6) ينظر : القرطبي(ت671هـ)، المصدر السابق، ج1 ص296 –297

فإذا صح هذا المعنى، فإن إبليس لم يكن كافرا متسترا بالإيمان، حتى يصدق عليه وصف النفاق بالمعنى الاصطلاحي، وإنما الكفر طرأ عليه بعد الإيمان، وقد سبق في علم الله أنه سيكون من الكافرين، كما جاء في تأويل الآية.

واستكمالا للحديث عن نشأة النفاق فقد جاءت في القرآن آيات كثيرة في مواطن عدة تشير إلى أن النفاق كان موجودا في أمم من قبل، وذلك في معرض الحديث عن المنافقين أو عند توجيه خطاب التوبيخ والتقريع لهم.

فمن هذه الآيات ما جاء في سورة العنكبوت: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت:2-3].

وقوله ﷻ: ﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ۝٦١ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ۝٦٢ ﴾ [الأحزاب:60-62].

وهذه الآيات وغيرها، رغم تواترها، لا توقفنا إلا على حقيقة واحدة جليّة وهي أن حركة النفاق لم تظهر في أمة من الأمم، بالصورة التي ظهرت عليها، في أمة خاتم الرسل، ذلك بأن أتباع دين التوحيد عبر التاريخ لم تكن لهم دولة تخشى سلطتها، وقوة ترهب سطوتها، إلا دولة داود وسليمان عليهما السلام، والمجتمع الذي أقامه موسى عليه السلام، أما غير هذين النموذجين، فلم يعرف تاريخ

---

1)صحيح البخاري، كتاب القدر، باب : الأعمال بالخواتيم، ج9 ص 222 ــ223.

التوحيد، دولة قوية، يضطر أعداؤها لمصانعتها ونفاقها، خوفًا أو طمعًا، والقرآن الكريم سجل هذه المحطات في حياة الأمم، وسجل النماذج الإنسانية التي ظهرت صورتها، في كل مجتمع من هذه المجتمعات.

وإذا أردنا ـــ من خلال القرآن الكريم ـــ استكشاف ظاهرة النفاق وأساليب المنافقين في الأمم السابقة، فسنجدها أوضح ما تكون، في ما حكاه القرآن عن أخلاق اليهود، وأخبار بني إسرائيل مع أنبيائهم.

إنه ليس من العبث، ولا من باب الصدفة أن نجد تطابقا يكاد يكون كليا، بين ما ذكره القرآن عن بني إسرائيل قديما، وعن المنافقين في عهد التنزيل القرآني. وليس غريبا أن يوجد في هذه الأمة ما وجد في بني إسرائيل، من مؤمن وكافر ومنافق، فقد قال ابن مسعود ﷺ: "أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل سَمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير أني لا أدري أتعبدون العجل أم لا"[1]

لعل هذا الحديث يريد لفت الأفهام إلى ما جاء في القرآن من أبعاد نفسية واجتماعية في سرد قصص الأولين، وأخلاق الماضين وأحداثهم. و لم تغب هذه الأبعاد من القصص القرآني منذ العهد المكي[2]، إلا أنها كانت أبرز ظهورا وأكثر شيوعا في القصص عن بني إسرائيل، وربما يعود السبب في ذلك إلى أن بني

---

1) البغوي (ت516هـ)، الحسين بن مسعود البغوي أبو محمد، معالم التنزيل، دار المعرفة، بيروت،ط2، 1407، تحقيق:خالد العك ومروان سوار، ج 2 ص309. والحديث أخرجه الطبراني في الكبير بلفظ : "أنتم أشبه الأمم ببني إسرائيل لتركبن طريقتهم حذو القذة بالقذة حتى لا يكون فيهم شيء إلا مثله حتى إن القوم لتمر عليهم المرأة فيقوم إليها بعضهم فيجامعها ثم يرجع إلى أصحابه يضحك إليهم ويضحكون إليه" ينظر: الطبراني(ت360هـ)، المعجم الكبير، ج10ص39، قال الهيثمي: "وفيه من لم أعرفه "ينظر: الهيثمي، مجمع الزوائد، ج7ص261.

2)ينظر :د.محمد التومي،المجتمع الإنساني في القرآن الكريم،ط 2،الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس،الجزائر، 1990، ص71 وما بعدها.

إسرائيل كانوا يمثلون المجتمع الإسلامي، خلال عصور مختلفة، ولأنهم أكثر الأمم شبها في الطبيعة الإجتماعية والعقدية، بالأمة الخاتمة.

لقد ذكر القرآن عن اليهود أنهم كانوا يكذبون، قال ﷻ: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [آل عمران:78] [1].

وفي المقابل وصف القرآن المنافقين بالكذب[2]، دون أن يغفل وصفهم بأنهم إخوان أهل الكتاب، فهم إخوانهم في الأخلاق القبيحة والنفوس المريضة والسلوك المعوج، وإن لم يكونوا إخوانهم في العقيدة والنسب، قال ﷻ:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ ﴾[الحشر:11].

وقال ﷻ في المنافقين:

---

1)ومثلها الآية التي قبلهاوهي قوله عزوجل:« ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » [آل عمران:75]والآيات في هذا المعنى كثيرة، ينظر :د.صلاح عبد الفتاح الخالدي،الشخصية اليهودية من خلال القرآن، شركة الشهاب،الجزائر،ط أولى،1407-1987 ص196-198

2) لاحظ بعض الباحثين أن المنافقين على الرغم من وصفهم بالكذب إلا أنه لم يثبت عنهم أبدا أنهم كذبوا على النبي عليه الصلاة والسلام فبلغوا عنه نصا مختلقا، واعتبر ذلك شهادة يقينية على عدالة الصحابة، "فالوحي محفوظ ــ كتابا وسنة ــ فلا الصحابة يكذبون، ولا المنافقون قادرون على الكذب في هذا الميدان تحديدا." ينظر : منذر الأسعد، براءة الصحابة من النفاق، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1417-1997، ص35-36

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون:1]

إن الكذب هو أس النفاق ـــ كما جاء عن الحسن قال: "كان يقال النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل والمدخل والمخرج وكان يقال أس النفاق الذي يبنى عليه النفاق الكذب"[1]، وفي الحديث المشهور أن من علامات المنافق: "إذا حدث كذب "[2]

وجاء في القرآن عن اليهود أنهم ينقضون العهود، وقد جمعتهم مع المنافقين آية واحدة، دلالة على شدة التطابق بين منافقي أمة بني إسرائيل قديما، و منافقي هذه الأمة في الزمن النبوي. قال ﷻ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ

---

1)الفريابي، صفة المنافق، ج 1 ص: 61

2) نص الحديث في الصحيحين وغيرهما عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:﴿ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ﴾،قال النووي : هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك. وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ، ولا هو منافق يخلد في النار ؛ فإن إخوة يوسف ﷺ جمعوا هذه الخصال. وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله. وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال ، ولكن اختلف العلماء في معناه. فالذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار : أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق ، وصاحبها شبيه بالمنافق في هذه الخصال، ومتخلق بأخلاقهم. فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه ، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال ، ويكون نفاقه في حق من حدثه ، ووعده ، وائتمنه ، وخاصمه ، وعاهده من الناس ، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يبطن الكفر. ولم يرد النبي ﷺ بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار" ينظر:النووي(ت676 هـ)أبو زكرياء يحيى بن شرف الدين، شرح النووي على صحيح مسلم،دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط2، 1392هـ،ج2 ص47.

وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [المائدة:41].

واليهود منذ أن عرفهم التاريخ، عرفوا بنقض العهود والمواثيق، ومخالفة أوامر الله ونواهيه [1]، ولأجل ذلك استحقوا مقت الله وغضبه، قال الله ﷻ:

﴿ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾. ﴾[النساء:154-155].

وقال ﷻ:﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ...﴾[المائدة:12-13].

وقال ﷻ في المنافقين:﴿ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞۖ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴿١٥﴾ ﴾[الأحزاب:13-15].

---

1)ينظر : د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن،مرجع سابق ص241

وهناك صفات أخرى كثيرة يشترك فيها اليهود والمنافقون، حسب التصوير القرآني لأوصاف الطائفتين، كالخيانة والمكر والخداع والسفه والجبن والحرص على الحياة، كل ذلك وغيره مما يعني أن منبت النفاق وأصله، يرجع إلى اليهود وطبائعهم، ويؤيد هذا الفرض أن القبائل التي اشتهر فيها النفاق[1]، كانت مجاورة لليهود بالمدينة[2] ومحالفة لها[3]، وقد كانت ردحا من الزمن، تحت سيطرة اليهود، وفي ظل ملكهم، يؤدون الخراج لهم وقد لاقوهم من الذلة والهوان، ما يشعر بالخزي والعار[4].

---

1)مثل قبيلة عبد الله بن أبي بن سلول : بنو عمرو بن عوف. ينظر: الشكل رقم 01.

2)كانت تسمى يثرب قبل مجيئ الرسول ﷺ وللمدينة تسعة وعشرون اسما وهي المدينة وطيبة وطابة والمسكينة والعذراء والجابرة والمحبة والمحببة والمحبورة ويثرب والناجية والموفية وأكالة البلدان والمباركة والمحفوفة والمسلمة والمجنة والقدسية والعاصمة والمرزوقة والشافية والحبيرة والمحبوبة والمرحومة وجابرة والمختارة والمحرمة والقاصمة وطابا " ينظر : ابن عساكر (ت571هـ)،الأربعين البلدانية،دار الفكر المعاصر،دار الفكر، بيروت،دمشق،1413هـ، ط أولى، تحقيق :مركز جمعة الماجد، قسم التحقيق،ج 5ص 83.

3) يكفي للدلالة على ذلك أن رأس المنافقين في زمن الرسول ﷺ عبد الله بن أبي بن سلول كان حليفا لليهود، فقد نافح عنهم في غزوة بني قينقاع، لما عزم الرسول ﷺ قتلهم حين غدروا بالعهد الذي كان بينهم وبينه، فقد جاء عبد الله بن أبي يقول للرسول ﷺ : يا محمد أحسن في موالي، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ ، فكرر ابن أبي مقالته : أحسن في موالي، فأعرض عنه الرسول ﷺ ، فأدخل يده في جيب درعه، فتغير لون النبي وقال له :﴿ أرسلني، وغضب حتى رأوا لوجهه ظللا، ثم أعاد أمره وهو مغضب : أرسلني ويحك ! قال ابن أبي : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي، أربعمائة حاسر وثلاث مائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة ؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فقال رسول الله ﷺ : هم لك، على أن يخرجوا من المدينة ولا يجاورونا بها﴾.ينظر: محمد الغزالي، فقه السيرة، ص 241، وينظر أيضا : ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله (ت751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (د.ت)، ج3ص126-127، وينظر أيضا : صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة والنشر، القاهرة، وشركة الشهاب، الجزائر،1408- 1987، ص281

4) فمن ذلك ما روي أن اليهود والأوس والخزرج، كانوا تحت حكم ملك يهودي يقال له الفيطون، وكانت له فيهم سنة ألا تزوج امرأة منهم إلا أدخلت عليه قبل زوجها حتى يكون هو الذي يفتضها،إلى أن ثارت غيرة رجل من الخزرج، فاختبأ له من بين النساء، في ليلة عرس زفاف أخته، وطعنه بخنجر،ثم فر إلى الشام مستجيرا ومستنصرا بأحد ملوك غسان، يقال له أبو جبيلة، فعاهده أن لا يقرب امرأة ولا يمس طيبا ولا يشرب خمرا حتى يسير إلى المدينة ويذل من بها من اليهود، فأنجز وعده، وأنفذ عزمه، فاستأصل أشراف اليهود وزعمائها في ليلة واحدة، ومنذ ذلك العهد صارت" الأوس والخزرج من يومئذ أعز أهل المدينة وقمعوا اليهود وسار ذكرهم وصار لهم الأموال والآكام" ينظر : ابن عساكر، المصدر السابق،ج 5 ص85.

لقد كان للشخصية اليهودية ـــ بلا ريب ـــ الأثر البالغ في الشخصية العربية، المتمثلة في القبائل المجاورة لليهود، أو الخاضعة لسيطرتها، وذلك بحكم خضوع المغلوب للغالب، وبحكم الجوار والعشرة، فالشخصية اليهودية [1] التي رأينا ـــ سابقا ـــ بعض خصائصها، من خلال القرآن الكريم، لم تتغير عبر التاريخ، قبل موسى عليه السلام وبعده، ويمكننا الجزم أن هذه الشخصية المنافقة المعقدة لم تتضح معالمها، و لم تنكشف خبائثها إلا بما صوره القرآن من محطات مخزية في تاريخ اليهود، توقفك آيات القرآن على سجل لليهود حافل بالمكر والخداع والنفاق ونقض العهود وقتل الأنبياء، وسفك الدماء والإفساد في الأرض[2].

وإذا كانت الشخصية اليهودية تمثل الهرم الأعلى والنموذج الدنيئ للنفاق والمنافقين؛ فإن « الصورة التي رسمها القرآن لشخصية المنافق صورة دقيقة حية تنطبق بدقة على نمط معين من الناس يوجدون في جميع المجتمعات الإنسانية، ونحن نستطيع أن نعرفهم بوضوح بهذه السمات التي يتميزون بها..»[3].

وإذا كان النفاق ظاهرة اجتماعية، كما وجد في مجتمع المدينة، يوجد في أي مجتمع آخر، توافرت فيه الشروط نفسها، وهو ظاهرة نفسية، يتهيأ لها بعض الناس، وتندفع أنفسهم طواعية إلى سلوك النفاق ؛ فإنة لا غرابة أن نجد القرآن الكريم قد رصد هذه الظاهرة منذ أول نشأة للدولة الإسلامية، بداية من العام

---

1)ينظر لمعرفة المزيد عن الشخصية اليهودية :د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن الكريم، مرجع سابق.وينظر :سيد قطب،معركتنا مع اليهود، دار الشروق،ط الخامسة،1402–1982، ص20–38

2) ينظر : محمد عزة دروزة، سيرة الرسول ﷺ ، صور مقتبسة من القرآن الكريم، وتحليلات ودراسات قرآنية، مطبعة عيسى بابي الحلبي وشركاؤه، ط ثانية، 1384–1965، ج 2 ص 166–212

(3) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ط6،1997، ص247.

الأول الهجري، ونزول أول الآيات المنفرة من سلوك النفاق في سورة العنكبوت، وظل الوحي يترل، يرصد الظاهرة، ويعالج أسبابها علاجا نفسيا، يتحدث بالتعريض تارة، وبالتصريح أخرى، يستر مرة، ويفضح أخرى، يرفق أحيانا ويدعو إلى التوبة، ويعنف أحيانا ويتوعد بالعذاب في الدنيا والأخرى، إلى آخر ما نزل من القرآن[1].

وبإمكاننا تتبع الآيات التي نزلت في النفاق والمنافقين، ورصد أبرز الصور التي تعرضت لها، وذلك من خلال هذه البيانات الإحصائية ، حسب ترتيب نزول السور[2] وتسلسل الأحداث .

الجدول الإحصائي:

الأحداث	التاريخ الهجري	السورة	عدد الآيات	رقم الآيات
بدايات النفاق	1	العنكبوت	2	10و11
تعريف النفاق وطائفة من صفات المنافقين	1	البقرة	13	8إلى20
منافقو اليهود	1	البقرة	8	75إلى 82
تحويل القبلة	1	البقرة	4	142إلى145
صفات فريق من المنافقين	1	البقرة	4	204إلى207
سخريتهم من أهل بدر	2	الأنفال	7	49إلى55
نفاق اليهود	2	آل عمران	7	69إلى 75

1) آخر سورة نزلت هي سورة التوبة، كما جاء في صحيح البخاري، ينظر : صحيح البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407-1987، تحقيق :مصطفى ديب البغا، ج4 ص1709.

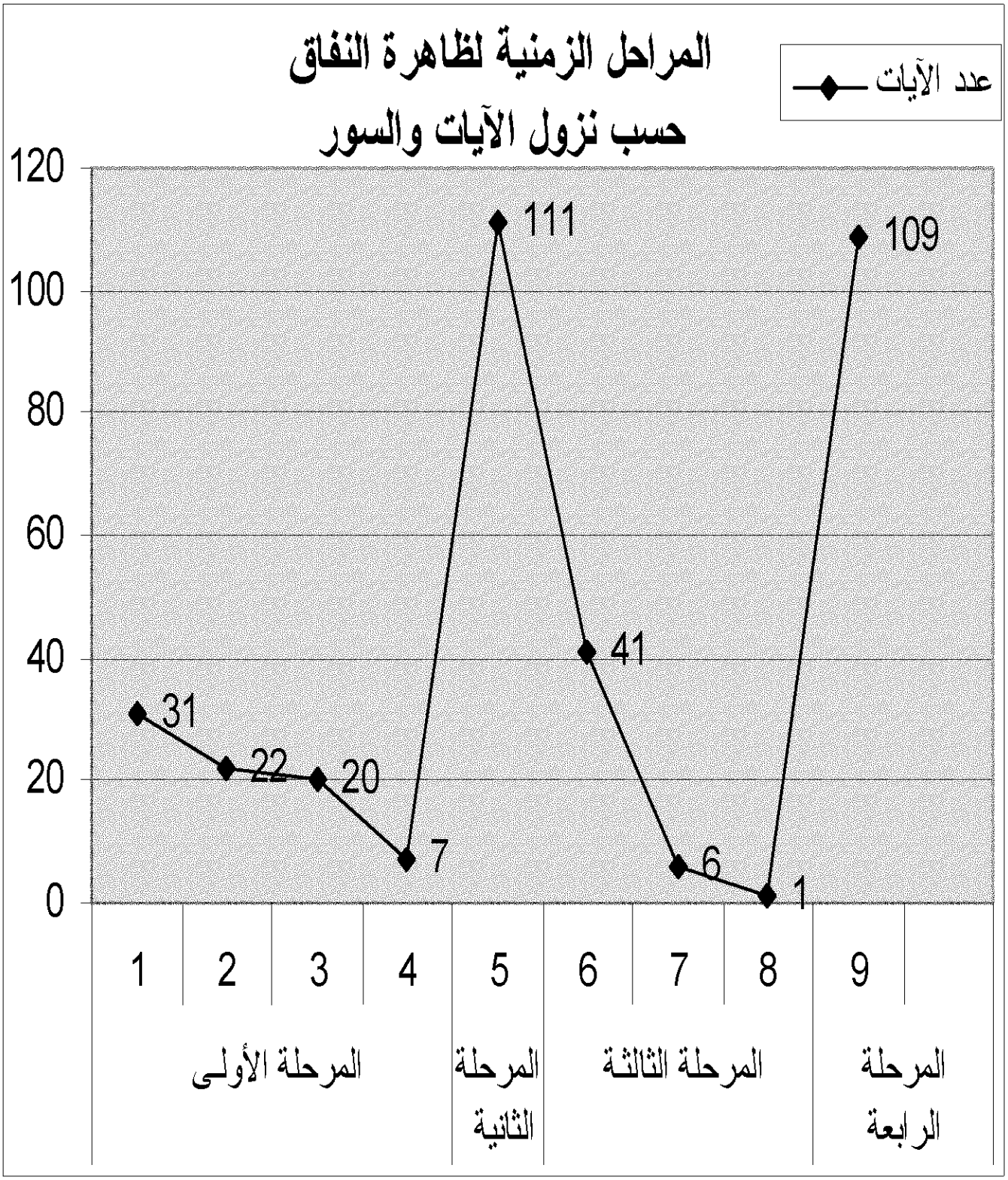
2) ينظر : عبد المتعال االصعيدي، النظم الفني في القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة،(د.ت)، ص 9-15 وقد اعتمدت أيضا في ترتيب نزول السور على كتب علوم القرآن وكتب أسباب النزول، وكتب السير، وكتب التفسير

في أمر بني قينقاع	2	المائدة	8	51إلى 58
النهي عن اتخاذ المنافقين بطانة	3	آل عمران	3	118إلى 120
في غزوة أحد (ظواهر سلوكية)	3	آل عمران	1	122
في غزوة أحد (ظواهر سلوكية)	3	آل عمران	7	152إلى 158
غزوة أحد (مواقف مخزية)	3	آل عمران	4	165إلى 168
غزوة أحد _كيفية التعامل معهم	3	آل عمران	4	176إلى 179
بمناسبة مقتل كعب بن الأشرف	3	النساء	1	60
في أمر بني النضير	4	الحشر	7	11إلى 17
بمناسبة غزوة الأحزاب	5	الأحزاب	1	1
بمناسبة غزوة الأحزاب	5	الأحزاب	15	10إلى24
إثر الزواج بزينب بنت جحش	5	الأحزاب	5	36إلى40
إثر الزواج بزينب بنت جحش	5	الأحزاب	1	48
إثر الزواج بزينب بنت جحش	5	الأحزاب	2	57إلى58

إثر الزواج بزينب بنت جحش	5	الأحزاب	3	60إلى 62
غزوة الأحزاب	5	الأحزاب	2	69و73
رفضهم التحاكم لله ورسوله	5	النور	8	47إلى 54
سوء أدبهم في مجلس الرسول	5	النور	3	62إلى 64
إكراه الإماء على البغاء	5	النور	1	33
إعراضهم وصدودهم عن حكم الله	5	النساء	10	61الى 70
عند القتال (ظواهر وسلوك)	5	النساء	14	71إلى 84
كيف يكون التعامل مع المنافقين	5	النساء	4	88إلى 91
خيانتهم وتسببهم في اتهام الأبرياء	5	النساء	13	105إلى 117
المذبذبون من المنافقين وبعض صفاتهم	5	النساء	12	136إلى 147
إثر غزو بني قريظة	5	محمد	17	16إلى 32
إثر غزوة بني المصطلق	6	المنافقون	8	1إلى 8
حادثة الإفك	6	النور	1	11
صلح الحديبية	6	الفتح	1	6

صلح الحديبية	6	الفتح	1	10
يسارعون في الكفر	6	المائدة	2	41إلى42
تولي الكافرين واتباع الهوى	6	المائدة	7	48إلى 54
المنافقون من اليهود	6	المائدة	6	57إلى62
محادّهم لله ورسوله	6	المجادلة	6	5إلى10
اتخاذ اليهود أولياء	6	المجادلة	9	14إلى22
بمناسبة غزوة خيبر	7	الفتح	6	11إلى16
الأمر بمجاهدة الكفار والمنافقين	8	التحريم	1	9
غزوة تبوك (تصوير دقيق للمنافقين ومواقفهم)	9	التوبة	109	38إلى127
مجموع الآيات			348	

ويمكننا تحديد المراحل الزمنية لظاهرة النفاق وتمثيلها بالبيان الآتي:



يظهر هذا البيان المراحل الزمنية لظاهرة النفاق، وذلك حسب رصد القرآن لها، حيث تبدو المرحلة الأولى أنها تمتد من السنة الأولى إلى السنة الرابعة، فقد كشفت الآيات أمر المنافقين منذ بوادر نفاقهم الأولى، وذلك لعلاج المرض من أعراضه الأولى، لينفع العلاج بعد ذلك، فبدأت بتعريف النفاق وتقبيح أمره بضرب مثل لنماذج المنافقين من اليهود والإخبار بأسرارهم، ثم رصدت أمرهم بمناسبة غزوة بدر وسخريتهم من المؤمنين، ثم في غزوة أحد وتصوير مواقفهم المخزية، فمازالت بهم الآيات إلى أن خف أمرهم في السنة الرابعة فرصدوا بسبع آيات بمناسبة غزوة بني النضير. والملاحظ حسب الرصد القرآني أن النفاق في هذه المرحلة ذو نزعة يهودية، وإنتاج (بني إسرائيل) في أغلب مظاهره.

وفي المرحلة الثانية خلال السنة الخامسة، وهي السنة التي وقعت فيها غزوة الأحزاب، وشرعت فيها بعض الأحكام التي كانت من أعمال الجاهلية كالتبني، ولذلك نجد الخطاب في هذه المرحلة يشتد فيرصد المنافقين بسلسلة من الآيات، بكثافة ولهجة قوية، ثم ينخفض ويخفف من الخطاب حتى يصل إلى أدنى مستوياته في المرحلة الثالثة التي تمتد من السادسة إلى السنة الثامنة مرورا بصلح الحديبية وغزوة خيبر وحادثة الإفك، ويفسر هذا التغير في الخطاب هو طبيعة النفاق نفسه، بوصفه مرضا خبيثا خطيرا، ينشط وينتعش كلما قلّت جرعات الدواء، أو قلّت أسباب المناعة، ويختفي كلمّا قويت الجرعات، فكذلك كان المنافقون في كل مرحلة، يشتد أمرهم حين يسكت الوحي عنهم، فإذا حَمَل عليهم وكشف مكائدهم، انحسر أمرهم، وخفي كيدهم، فمازال بهم الوحي كذلك إلى المرحلة الرابعة، حيث لم تنفع تلك الجرعات العلاجية، فالمرض بلغ مرحلة يحتاج فيها إلى استئصال كلي، وقد قامت بذلك سورة التوبة، فلم تبق منهم أحدا و لم تذر.

ثانيا: المراحل الزمنية لنزول سورة التوبة

تمهيد:

هذه السورة الكريمة من السور المدنية التي تُعنى بجانب التشريع، وهي من أواخر ما نزل على رسول اللهﷺ، فقد روى البخاري عن البراء بن عازب أن آخر سورة نزلت براءة [1]، وقد ذكر الحافظ ابن كثير[2] أن أول هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ عند مرجعه من غزوة تبوك، وبعث أبا بكر الصديق أميراً على الحج تلك السنة، ليقيم للناس مناسكهم، فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغاً عن رسول الله صلى الله ما فيها من الأحكام.

ولقد نزلت في السنة التاسعة من الهجرة[3]، وهي السنة التي خرج فيها رسول الله ﷺ لغزو الروم، واشتهرت بين الغزوات النبوية بـــ "غزوة تبوك" وكانت في حرٍّ شديد، وسفر بعيد، حين طابت الثمار، وأخلد الناس إلى نعيم الحياة، فكانت ابتلاء لإيمان المؤمنين، وامتحاناً لصدقهم وإخلاصهم لدين الله، وتمييزاً بينهم وبين المنافقين.

---

1) صحيح البخاري، كتاب التفسير،باب:قوله : (براءةمن الله ورسوله...) ج3 ص123.

2) ينظر : ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3 ص356-357

3) أغلب الرواة والمفسرين على أن الغزوة كانت في شهر رجب من السنة التاسعة للهجرة، وهي توافق شهر أكتوبر 630 من التاريخ المسيحي. ويرى ابن عاشور أن غزوة تبوك كانت في" نحو شهر أغسطس أو اشتنبر وهو وقت طيب البسر والرطب، وكانت سنة تسع وكانت في رجب ونزل فيها قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ ﴾[التوبة: 81]. ثم كانت حجّة أبي بكر في ذي القعدة من تلك السنة، سنة تسع، وذلك يوافق دجنبر. وكان حجّ رسول الله ﷺ حجّة الوداع في ذي الحجّة من سنة عشر فيوافق نحو شهر دجنبر أيضاً."ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية،والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، تونس، 1984، ج6 ص65.

إن سورة التوبة كغيرها من سور القرآن لها هيكل خاص يتألف من مطلع وجسم وخاتمة، وهي تنتمي إلى السور التي تتناول موضوعات مختلفة [1]، ولكنها مع ذلك تجمع بين الوحدة والاختلاف في الموضوعات التي تتناولها[2]، فهي تطرق موضوعات شتى، ولكنها في الأخير تصب في موضوع واحد، وهو موضوع الإخلاص لهذا الدين وأمته، ويتفرع عنه هدفان أساسيان[3] ـــ إلى جانب الأحكام الأخرى – وهما:

أولاً: بيان التشريع الإسلامي في معاملة المشركين، وأهل الكتاب، والمنافقين.

ثانياً: إظهار ما كانت عليه النفوس حينما استنفرهم الرسول لغزو الروم.

إنه من المفيد لنا في هذه الدراسة أن نستكشف المراحل الزمنية التي نزلت فيها هذه السورة ؛ فإن ذلك يعيننا على فهم كثير من صور المنافقين التي جاءت فيها، في سياقات مختلفة.

ومن المفيد أيضا أن نتتبع سياق السورة، قبل استكشاف مراحل نزولها، فإن السورة افتتحت ببيان فيه حسم وشدة على المشركين الذين نقضوا ما أبرموه من عهود مع أمة التوحيد وخانوا الثقة التي منحها لهم المجتمع المسلم، و لم

1) ينظر : بكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، ص 209.

2) ينبغي التنبيه هنا إلى أن كل سور القرآن الكريم تتميز بالوحدة الموضوعية، وإن تعرضت بشكل هامشي إلى موضوعات شتى باعتبارها خادمة للموضوع الأصل الذي انبت عليه السورة، وبهذه الخاصية سبق النظم القرآني كل النظريات الأدبية الحديثة، وعنه أخذت نظرية وحدة القصيدة في الأدب العربي خاصة والأدب العالمي عامة. ينظر : أنور الجندي، خصائص الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، لبنان، والقاهرة، (د.ت)، ص 129.

3) ينظر : محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1 ص810ـــ811

تخل هذه الافتتاحية مع شدتها من لين وإغراء للمشركين بالتوبة واللحاق بركب الإيمان [1].

وفي إطار هذا الخط نفسه، الذي رسمته السورة في افتتاحيتها، نلحظ تعريضا بطائفة من الناس التحقت بالصف الإسلامي، ولكنها لم تخلص له كل الإخلاص، و لم تعطه ولاءها الكامل[2]، وطائفة أخرى خلطت بين الأولويات، مما جعلها تضع قضية العقيدة وقضايا فرعية هامشية في مقام واحد [3]، وطائفة أخرى من أهل الكتاب (يهود ونصارى) لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا تحرم ما حرم الله ورسوله ولا تدين دين الحق، وإن زعمت ذلك، فأما يهود فقد كانت بينها وبين المسلمين عهود ومواثيق، ولكنها لم تراع شيئا من ذلك، وقد تخلص المسلمون من كيد هذه الطائفة، بعد سلسلة من الغزوات و الوقائع بدأت بإجلاء بني قينقاع [4] وانتهت بغزوة خيبر[5]، و لم تعد لليهود تلك القوة الاقتصادية والسياسية التي يخشى جانبها.

وأما أهل الكتاب من النصارى ـــ وهم المعنيون في هذه السورة [6] ـــ فلم تكن لهم علاقة مباشرة بالمجتمع المسلم، و لم يكن الوحي الإلهي يتحدث

---

1)وذلك بدعوتهم إلى التوبة تصريحا وتلميحا كما في الآيات :3 و5و11و15و18و 27 من سورة التوبة.

2) كما يتضح ذلك من قراءة الآية 16 والآية 23 –24من سورة التوبة.

3) كما هو مفهوم من الآية : 19سورة التوبة.

4)روايات السيرة تذكر أن أولى وقائع التنكيل باليهود كانت قتل يهودي اسمه أبو عفك كان شاعرا يهجو النبي ويحرض قومه عليه فنذر سالم بن عمير من الأنصار أن يقتله أو يموت دونه وتربص به حتى واتته فرصة فدخل عليه وهو في بيته فقتله.ينظر : محمد عزوة دروزة، سيرة الرسول ﷺ ، ج2 ص190.

5) بدأت سلسلة التنكيل باليهود بإجلاء بني قينقاع ثم بنو النضيرثم القضاء على بني قريظة ثم فتح خيبر. ينظر :المرجع نفسه، ج2 ص 212

6) وهو رأي مروي عن مجاهد، ينظر : الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج10 ص163.

عندهم بالشدة التي كان يتحدث بها عن اليهود في سور أخرى[1]، ولولا أن دولة الروم[2]التي كانت تمثلهم قد همّت بمحاربة الدولة الاسلامية الناشئة، معتبرة إياها خطرا على سلطانها في جزيرة العرب، ما كان للمسلمين أن يعلنوا الحرب عليهم، ﴿ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التوبة:29].

لقد جاءت غزوة تبوك تكملة لسلسلة من الصدامات المسلحة التي بدأت من قبل، منذ النصف الثاني من العهد المدني[3]، فكلما شعر المسلمون بخطر صليبي يهددهم تصدوا له، فقد ذكرت الروايات سلسلة من الوقائع التي فيها عدوان أو محاولة عدوان[4] من بعض النصارى، والتي جعلت النبي ﷺ يتصدى لهم فيها.

وقد بدأت هذه الوقائع منذ السنة الخامسة للهجرة، في دومة الجندل التي تجمعت فيها جنود النصارى واعتدت على قوافل المسلمين، فخرج لهم رسول الله ﷺ، ففروا من وجهه و لم يقع قتال[5]، ثم سرية بقيادة زيد بن حارثة في السنة السادسة إلى جماعة من بني جذام الذين اعتدوا على دحية الكلبي رسول رسول الله ﷺ إلى قيصر[6] ثم سرية بقيادة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل [7]

---

1) ينظر: سورة البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الإسراء، الجاثية، الحشر، الصف، في آيات كثيرة منها.

2) بطريق مباشر أو غير مباشر، فقد كان غالبية سكان مشارف الشام نصارى تابعين لنفوذ دولة الروم البيزنطية، ولذلك وقع صدام مسلح معهم بإيعاز من دولة الروم ضد المسلمين.

3) ينظر : د.دروزة، سيرة الرسول ﷺ ، ج2 ص 255.

4) يمكن تسمية ذلك بلغة العصر : الحرب الوقائية وهي التي يتم فيها إعلان الحرب لاستباق العدوان الخارجي، ومباغتة العدو قبل أن يقوم بعدوانه. وقد شنت الولايات المتحدة الأمريكية حربها على أفغانستان والعراق بعد أحداث 11سبتمبر 2001، تحت ذرائع مختلفة، تجمعها فلسفة الحرب الوقائية. ينظر في هذا المعنى: طارق فوزي، إسرائيل دولة الدمار الشامل (الخطر والمواجهة)، دار الأحمدي للنشر،القاهرة، ط1، 2003، ص106ــ109ــ124

5) ينظر : المباركفوري، الرحيق المختوم، ص353

6) ينظر :المباكفوري، المرجع نفسه ، ص423

7) ينظر : المرجع نفسه ، ص395

وقد أسلم قوم على يديه، ومن لم يسلم صالحه على الجزية، ثم كانت سرية بقيادة كعب بن عمير[1] إلى ذات أطلح من أرض الشام، ومن ذلك سرية بقيادة زيد بن حارثة إلى مؤتة ؛ لأن عاملها قتل الحارث بن عمير رسول رسـول الله ﷺ إلى ملك بصرى، واعتبر المسلمون ذلك إهانة شديدة، " فاعتزموا على القـصاص لرجلهم، وعلى زلزلة الوالي الأثيم الذي صنع ما صنع لحساب الرومـان " [2]، فكان قوام جيشها ثلاثة آلاف، قتل فيها قائد السرية ثم خلفه جعفر بن أبي طالب فقتل ثم عبد الله بن رواحة فقتل، ثم استلم الراية خالد بن الوليد، وتمكن بحنكته العسكرية الانفلات بالجيش الإسلامي، بعد أن أوقع في العدو خسائر بالغة. ومن ذلك سرية بقيادة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل، لتأديب قضاعة لما همت بغزو المدينة [3].

لقد كانت غزوة تبوك تدخل فيما يـصطلح علـيهم اليـوم بـالحرب الدفاعية[4]، إنها حرب شريفة ؛ لأن فلسفتها تقوم على الدفاع عن حرية العقيدة والأعراض والنفوس، وهذا العامل هو أبرز العوامل في غزوة تبوك، التي تحدثت سورة التوبة عنها، وقد أعطت السورة الحجج الدينية المقنعة في ضرورة مقاتلـة

---

1) ينظر :المرجع نفسه ، ص458

2) محمد الغزالي، فقه السيرة، ص 365.

3) ينظر :د/ دروزة، سيرة الرسول ﷺ ، ج2 ص 254-255

4)يرى سيد قطب في الظلال أن الجهاد في الاسلام لم يشرع للدفاع فقط عن بلاد الاسلام أو عـن حريـة العقيـدة أو نـصرة المظلومين، بل شرع الجهاد لتكون الحاكمية العليا لشريعة الاسلام، وكل قوة تقف ضد هذه الارادة، يجب قتالها حتى تحطمهـا أو تقهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة لتعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها، واتهم الـذين يصفون الجهاد بأنه شرع للدفاع فقط، بأنه المهزومون روحيا وعقليا تحت ضغط الواقع اليائس، وأنه إن كان لا بد من اسـتعمال كلمة الدفاع فلتكن للدفاع عن الانسان ذاته ضد جميع العوامل التي تقيد حريته وتعوق حركته من معتقدات وتصورات أو مـن أنظمة سياسية. ينظر : سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 3 ص1433ـــ1452 وج3 ص1581.

أهل الكتاب من النصارى، ويكفي لمقاتلتهم أنهم لا يختلفون كثيرا عن المشركين، حيث إنهم يستوون معهم في كونهم:

- لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

- لا يحرمون ما حرم الله ورسوله.

- لا يدينون دين الحق[1].

- ويتألهون على الله ﷻ ، ويزعمون له الولد، فيقولون: المسيح ابن الله – ﷻ – كما قالت اليهود: عزير ابن الله. فهم بهذه المقولة لا يختلفون تمام الاختلاف عن المشركين في جعلهم لله ندا، يتخذونه إلها مع الله سبحانه، كما أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﷻ [2]

- أنهم يحاربون الدين الحق بإشاعة الأراجيف، واختلاق الأكاذيب، ليطفؤوا نوره.

ومع هذه المفاسد العقائدية والكيدية، فهم قوم لا أخلاق لهم، وليسوا أهلا أن تكون لهم الغلبة في الأرض، لأنهم يأكلون أموال الناس بالباطل، ولا يدعون دعوة الحق تنتشر، وأنهم يكترون الأموال الضخمة، ولا ينفقون منها شيئا في سبيل الله ﷻ.

---

1) المعنى :"لايطيعون طاعة الحق" ــ قاله أبو عبيدة، وقال النحاس: أي طاعة الاسلام، وكل مطيع ملكا فهو دائن له، يقال : دان فلان لفلان " ينظر: النحاس، معاني القرآن، ص443.

2) هذا ما يمكن فهمه من قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ سورة التوبة :30–31

كانت هذه هي الحجج والمبررات الواقعية لغزوة تبوك، وهي بمثابة تكوين نفسي للمسلمين وإعدادهم لمحاربة أهل الكتاب من النصارى، رغم بعد الشقة، وقوة العدو.

وجاء عرض السورة للهدف الثاني ـــ وهو ما يمثل جسم السورة ـــ بشرح الحالات النفسية للصف الإسلامي حين استنفرهم رسول الله ﷺ لغزو الروم، وقد تحدثت الآيات عن المتثاقلين منهم والمتخلفين، والمثبطين، وكشفت الغطاء عن فتن المنافقين، باعتبارهم الخطر الدائم على الإسلام والمسلمين، وفضحت أساليب نفاقهم، وألوان فتنتهم وتخذيلهم للمؤمنين، حتى لم تدع لهم ستراً إلا هتكته، ولا دخيلة إلا كشفتها، وتركتهم بعد هذا الكشف والإيضاح تكاد تلمسهم أيدي المؤمنين، وقد استغرق الحديث عنهم معظم السورة بدءاً من: قوله ﷻ:

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة:41].

إلى قولـــــــــــه ﷻ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾[التوبة:127]

ولهذا سماها بعض الصحابة "الفاضحة" لأنها فضحت المنافقين وكـــشفت أسرارهم، قال سعيد بن جبير: سألت ابن عباس عن سورة براءة فقال: تلـــك

الفاضحة، ما زال يترل: ومنهم ومنهم حتى خفنا ألا تدع أحـــدا[1]، وسموهـــا الحافرة، لأنها حفرت عن قلوب المنافقين[2]، وروي عن حذيفة بن اليمان أنـــه قال: إنكم تسمونها سورة التوبة، وإنما هي سورة العذاب، والله ما تركت أحداً من المنافقين إلا نالت منه." [3] وقال ابن عمر: كنا ندعوها المقشقـــشة، قـــال الحارث بن يزيد: كانت تدعى المبعثرة، ويقال لها المثيرة، ويقال لها: البَحوث."[4]

قال الزمخشري(ت538هـــ): " لها عدة أسماء: براءة والتوبة، والمقشقشة، والمبعثرة، والمشردة والمخزية، والفاضحة، والمثيرة، والحافرة، والمنكلة، والمدمدمة، وسورة العذاب، قال: لأن فيها التوبة على المؤمنين، وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه، وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنـــها وتثيرهـــا وتحفـــر عنـــها، وتفضحهم، وتنكلهم، وتشرد بهم، وتخزيهم، وتدمدم عليهم "[5]

ولعل هذا هو السر في عدم وجود البسملة فيها[6] قال ابن عباس: سألت علي بن أبي طلب لِم لَمْ يُكتب في براءة ﴿بســـمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ؟ قـــال:

---

1) ينظر : تفسير القرطبي، ج 8 ص 61

2) ينظر : ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2001،تحقيـــق : عبـــد السلام عبد الشافي محمد، ج 3 ص3.

3)النحاس، معاني القرآن، ص 437.

4) المصدر السابق.

5)الزمخشري(ت538هـــ)جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف، دار الفكر، ط 1399-1979، ج2ص171.

6) ضعَّف ابن عطية الأندلسي القول باختلاف الصحابة رضي الله عليهم في أمر البسملة في سورة التوبة، وأنهم حـــاروا : هـــل التوبة والأنفال سورة واحدة أم سورتان، وقال :"وهذا القول يضعفه النظر أن يختلف في كتاب الله هكذا " وغاية الأمـــر أنهـــم لم يكتبوا البسملة لأن رسول الله ﷺ لم يأمرهم بذلك، وهو ما تفيده رواية عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال : كان رسول الله ﷺ يأمرنا بوضع بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة، ولم يأمرنا في هذا بشيئ، فلذلك لم نضعه نحن "ينظر : المصدر السابق.

لأن {بسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ} أمان وبشارة، وبراءة نزلت بالسيف، ونبذ العهود فلذلك لم تبدأ بالأمان [1].

وبالجملة فإن هذه السورة الكريمة قد تناولت حزب المنافقين، الذين هم أشد خطراً من المشركين، ففضحتهم وكشفت أسرارهم ومخازيهم، وظلت تقذفهم بالحمم حتى لم تُبق منهم ديارا، وسجلت السورة مواقفهم الكيدية والساخرة والتآمرية[2]، تسجيلا لا يقبل ريبة ولا يتهم بالظنة، ولا يترك سترا لأحد من المنافقين إلا هتكه.

والملاحظ أن سورة التوبة في دراستها للمنافقين، والبحث عنهم، وكشف أسرارهم، لا تسيرعلى وتيرة واحدة، ولا بأسلوب واحد، والقارئ لها بتمعن، يدرك هذه الحقيقة،ومع ذلك فهي ترسم صور المنافقين، حسب التسلسل الزمني، والحدث التاريخي، ترصدهم خطوة بخطوة، قبل غزوة تبوك، وفي الطريق إليها، وفي طريق العودة، وبعد العودة [3].

لقد كان للسورة مع المنافقين في كل خطوة من خطواتهم محطة من المحطات الكاشفة المصورة الفاضحة، إنها السورة الحاسمة، حسم مع آخر معاقل أعداء الإسلام، وأشدهم خطرا، الذين كانوا يكيدون للدعوة بالجهر تارة، و

---

1) قال ابن عطية : "يعزى هذا القول للمبرد وهو لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه "، ينظر :المصدر نفسه.

2) ينظر:د.محمد عزة دروزة،سيرة الرسول ﷺ، ج2 ص95 –109.

3) لقد مال ابن عاشور في تفسيره لسورة التوبة في عدة مواضع إلى أنها نزلت كلها بعد غزوة تبوك، ينظر : ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10 ص 62 وص 151وص153 وص163 إلا أن ظاهر بعض آيات السورة يؤذن بأن السورة نزلت عبر مراحل، ولذلك قال ابن عاشور في تفسير قوله تعالى: (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم) قال :" يؤذن بأن الآية نزلت قبل الرجوع من غزوة تبوك فإنّ حلفهم إنّما كان بعد الرجوع وذلك حين استشعروا أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام ظانٌّ كذبَهم في أعذارهم."ينظر : ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص 209.

بالسر أخرى، وهم آمنون من العقاب، لأنهم في الظاهر مسلمون، بل هم يحسبون في عداد أصحاب رسول الله ﷺ، وكيف يقتل الرسول أصحابه [1].

إنه يتبين لكل متدبر في السورة أنها نزلت على مراحل، كل مرحلة منها تدلي لأخرى، فهي لا تختلف عنها في الموضوع، ولكنها تسير حسب الترتيب الزمني، والأحداث التاريخية للغزوة ومواقف المنافقين.

قال سيد قطب:" ومن مراجعة نصوص السورة مراجعة موضوعية ؛ ومراجعة ما جاء في الروايات المأثورة عن أسباب النزول وملابساته ؛ ومراجعة أحداث السيرة النبوية كذلك.. يتبين أن السورة بجملتها نزلت في العام التاسع من الهجرة.. ولكنها لم تنزل دفعة واحدة.. ومع أننا لا نملك الجزم بالمواقيت الدقيقة التي نزلت فيها مقاطع السورة في خلال العام التاسع، إلا أنه يمكن الترجيح بأنها نزلت في ثلاث مراحل.. المرحلة الأولى منها كانت قبل غزوة تبوك في شهر رجب من هذا العام. والمرحلة الثانية كانت في أثناء الاستعداد لهذه الغزوة ثم في ثناياها. والمرحلة الثالثة كانت بعد العودة منها. أما مقدمات السورة من أولها إلى نهاية الآية الثامنة والعشرين[2] منها فقد نزلت متأخرة في نهاية السنة التاسعة قبيل موسم الحج في ذي القعدة أو في ذي الحجة.. وهذا – على الإجمال – هو كل ما يمكن ترجيحه والاطمئنان إليه "[3]

---

1) لقد قالها رسول الله ﷺ حين أظهر بعض المنافقين نفاقهم :﴿ لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ﴾أخرجه البخاري،صحيح البخاري،ج4 ص1863

2) وهو قول سليمان بن موسى الشامي و ما تذكره الروايات أن عدد الآيات التي أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يقرأها على الناس في موسم الحج، عند جمرة العقبة يوم النحر، هي أربعون، وقيل ثلاثون، وقيل عشرون، وفي بعض الروايات عشر آيات، وفي بعضها تسع آيات، ذكرها النقاش " ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3 ص6.

3) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3ص1564.

وما توصل إليه سيد قطب من كون السورة نزلت عبر مراحل، ليس بدعا في ذلك، فقد نقل القرطبي أن القشيري أبو نصر عبد الرحيم قال: "هذه السورة نزلت في غزوة تبوك ونزلت بعدها."[1]

وقال ابن عاشور: " وفسّر كثير من المفسّرين بعض آيات هذه السورة بما يقتضي أنّها نزلت أوزاعاً في أوقات متباعدة، كما سيأتي، ولعلّ مراد من قال إنّها نزلت غير متفرقة: أنّه يعني إنها لم يتخلّلها ابتداء نزول سورة أخرى."[2] ولم يستبعد أن يكون نزول السورة دفعة واحدة، ورجح أنّ ثلاث عشرة آية من أولها إلى قوله ﷻ: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [التوبة: 13] نزلت متتابعة." [3]

وقال المباركفوري: " نزلت آيات كثيرة من سورة براءة حول موضوع الغزوة، نزل بعضها قبل الخروج، وبعضها بعد الخروج - وهو في السفر - وبعض آخر منها بعد الرجوع إلى المدينة."[4]

ولهذا المعنى يرى بعض الباحثين أن: " هناك نوع من التقديم والتأخير ملحوظ على وجه الخصوص في القصص القرآني، كأن يقدم جزء من القصة على غيره، وحقه التأخير، وذلك لأسباب تشريعية أو اعتبارية."[5]

---

1) تفسير القرطبي، ج8، ص68.

2) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج10 ص97

3) ينظر :المرجع نفسه.ج10ص97-98

4)صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ، ص 519

5)د.العربي قلايلية، التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية، دراسة دلالية، رسالة دكتوراه،جامعة وهران2001، ص240

وحسب تقسيم سيد قطب لمقاطع السورة وفق ما تضمنته من موضوعات ؛ فإن المقطع الأول منها، يبدأ من أولها إلى ختام الآية الثامنة والعشرين، ويتضمن تحديد العلاقات النهائية بين المعسكر الإسلامي والمشركين عامة في الجزيرة ؛ مع إبراز الأسباب الواقعية والتاريخية والعقيدية التي يقوم عليها هذا التحديد، بالأسلوب القرآني الموحي المؤثر، وفي تعبيرات قوية الإيقاع حاسمة الدلالة، عميقة التأثير.[1]

أما المقطع الثاني في السورة، فإنه يبدأ من الآية التاسعة والعشرين إلى الآية الخامسة والثلاثين فهو يتضمن " تحديدا للعلاقات النهائية كذلك بين المجتمع المسلم وأهل الكتاب عامة ؛ مع بيان الأسباب العقيدية والتاريخية والواقعية التي تحتم هذا التحديد ؛ وتكشف كذلك عن طبيعة الإسلام وحقيقته المستقلة ؛ وعن انحراف أهل الكتاب عن دين الله الصحيح عقيدة وسلوكا ؛ بما يجعلهم – في اعتبار الإسلام – ليسوا على دين الله الذي نزله لهم ؛ والذي به صاروا أهل كتاب.

وظاهر كذلك من الأسلوب القرآني في هذا المقطع أنه مواجهة لما كان في النفوس يومذاك من تهيب وتردد في مواجهة أهل الكتاب عامة – أو الغالبية العظمى منهم – بهذا اللون من العلاقات التي تنص عليها الآية الأولى في المقطع.. وحقيقة إن المقصود – كان – بالمواجهة ابتداء هم الروم وحلفاؤهم من نصارى العرب في الشام وما وراءها ؛ وهذا وحده كان يكفي للتردد والتهيب ؛ لما كان

1)ينظر : سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3 ص1564–1565

للروم من بأس وسمعة تاريخية بين أهل الجزيرة.. ولكن النص عام في أهل الكتاب عامة ؛ ممن تنطبق عليهم الأوصاف الواردة في الآية "[1].

المقطع الثالث يبدأ من الآية الثامنة والثلاثين إلى الآية إحدى وأربعين، و" يبدأ بالنعي على المتثاقلين الذين دعوا إلى التجهز للغزوة فتثاقلوا إلى الأرض وتكاسلوا عن النفير.. وهؤلاء ليسوا كلهم من المنافقين، مما يشي بمشقة هذه الخطوة، وهذه الغزوة، على النفوس في ذلك الحين.."[2]

ثم يجيء المقطع الرابع وهو يبدأ من الآية الثانية والأربعين إلى الآية الثامنة والستين[3] "وهو أطول مقاطعها، وهو يستغرق أكثر من نصفها - في فضح المنافقين وأفاعيلهم في المجتمع المسلم، ووصف أحوالهم النفسية والعملية، ومواقفهم في غزوة تبوك وقبلها وفي أثنائها وما تلاها، وكشف حقيقة نواياهم وحيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصف، وإيذاء رسول الله ﷺ والخلص من المؤمنين. يصاحب هذا الكشف تحذير الخلصاء من المؤمنين من كيد المنافقين، وتحديد العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء، والمفاصلة بين الفريقين وتمييز كل منهما بصفاته وأعماله.. وهذا القطاع يؤلف في الحقيقة جسم السورة؛ ويتجلى من خلاله كيف عاد النفاق بعد فتح مكة فاستشرى بعد ما كاد أن يتلاشى من المجتمع المسلم قبيل الفتح. "[4]

---

1)سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3 ص 1566

2)المرجع نفسه، ج3ص 1566

3) المتأمل في السورة، يجد أن الحملة على المنافقين فضحا وتوبيخا، استمرت إلى الآية الثامنة والعشرين بعد المائة، وهي قوله تعالى في كشف سلوك المنافقين عند نزول الوحي : " وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون "، فلم يبق على نهاية السورة إلا آيتان.

4)سيد قطب، في ظلال القرآن، ج 3 ص 1567.

ويأتي المقطع الخاتم في السورة، ليسدل الستار عن قبائح المنافقين، ومواقفهم المخزية قبل غزوة تبوك وأثناءها وبعدها، ويكشف في الختام الخلق العظيم الذي جبل عليه هذا الرسول الكريم من حرصه الشديد على المؤمنين رأفة ورحمة بهم، أن تزل أقدامهم فيعصون ربهم ، وأن كل ما سبق ذكره في السورة من التوبيخ واللوم وكشف خبايا النفوس المريضة، إنما هو في خير المؤمنين ومصلحتهم ؛ لأن هذا الرسول لا يرضى لأمته وأصحابه أن يتخلفوا عن أمر من أوامر ربهم، ولو كانت في ظاهره مشقة أو عسر، فإنه يتضمن في حقيقته الخير والسعادة والرأفة والرحمة.

كانت هذه هي مقاطع السورة حسب ورودها في السياق، وهو تقسيم اجتهادي يعتمد أساسا على معاني الآيات ودلالاتها، إلا أنه لا يحدد بدقة المراحل الزمنية التي نزلت فيها السورة، إلا أنه اجتهاد يقودنا إلى نتائج مفيدة، لعل أهمها: أن السورة لم تنزل دفعة واحدة، وأن أولها كان من أواخر ما نزل، وأن السورة ـــ في معظمها ـــ صورت المنافقين في جميع أحوالهم، واختارت غزوة تبوك مسرحا لعرض تلك الصور، قبل الغزوة وأثناءها وبعدها.

وتكملة لهذه النتائج المهمة، يقتضي منّا البحث زيادة في اكتشاف الخطى التي رصدتها السورة لصور المنافقين، أن نحدد ـــ ولو بالتقريب ـــ المراحل الزمنية التي نزلت فيها آيات السورة، مما يفرض علينا اتخاذ معيار لذلك، نحتكم إليه كلما أردنا تصنيف آية من الآيات أو صورة من صور، ضمن مرحلة من المراحل.

ولاشك أن المعيار الأول الذي يصلح لمثل هذا النوع من التصنيف، هو المعيار التاريخي، أعني دراسة تاريخ النزول، ثم معاني الآيات وما تفرضه دلالاتها اللفظية، ضمن السياق الذي جاءت فيه.

ولا يمكننا دراسة تاريخ نزول كل آية من آيات السورة، لأن الروايات في ذلك قليلة، وعلى قلتها، فهي لا تذكر بالتحديد تاريخ نزول هذه الآية أو تلك. ولكننا مع ذلك يمكننا أن ندرس ملابسات نزول السورة، وهي ـــ بلاريب ـــ غزوة تبوك[1] وأحداثها، ولذلك سيكون تقسيمنا للسورة حسب أحداث الغزوة وصور المنافقين فيها، ويمكننا تحديد مراحلها بوجه عام إلى أربع مراحل:

1ـــ المرحلة الأولى: الآيات التي تصور المنافقين في مرحلة الإعداد للغزوة.

2ـــ المرحلة الثانية: الآيات التي تصور المنافقين في الطريق من المدينة إلى تبوك.

3ـــ المرحلة الثالثة: الآيات التي تصور المنافقين في الطريق من تبوك إلى المدينة.

4ـــ المرحلة الرابعة: الآيات التي تصور المنافقين في المدينة بعد العودة من تبوك.

وبالموازاة مع هذه المراحل، نعرض أحداث غزوة تبوك ملخصة من مجموع ما جاء في كتب السيرة.

المرحلة الأولى: الآيات التي تصور المنافقين في مرحلة الإعداد

ذكر الطبري[2] أن رسول الله ﷺ أقام بالمدينة بعد منصرفه من الطائف ما بين ذي الحجة إلى رجب[3] ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم من النصارى. وقد

---

1) غزوة تبوك : تبوك : بفتح التاء هي من ادنى ارض الشام وهى اقصى اثر رسول الله ﷺ وغزوة تبوك سميت بعين تبوك وسميت غزوة تَبُوك لأن النبي، رأى قوماً من أصحابه يَبوكون حسْيَ تَبُوك أي يدخلون فيه القِدْح ويحركونه ليخرج الماء، فقال: ما زلتم تَبُوكونها بَوْكاً، فسميت تلك الغزوة غزوة تَبُوك. ينظر : ابن منظور، لسان العرب ج 10 ص 404-405 ووقع في السيرة فقال من سبقنا إلى هذا فقيل له يا رسول الله فلان وفلان وفلان قال الواقدي : فيما ذكر لي سبقه إليها أربعة من المنافقين معتب بن قشير والحارث بن الطائي ووديعة بن ثابت وزيد بن لصيت.

2) ينظر : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت،ط أولى، 1407هـ، ج2 ص 181وما بعدها.

3) أغلب رواة السيرة، يذكرون أن ذلك كان في شهر رجب من السنة التاسعة، وهو الموافق لشهر أكتوبر سنة 630 للميلاد وشهر أكتوبر هو الوقت الذي تطيب فيه ثمار النخيل، وهو يوافق ما ذكره أصحاب السير، بأن غزوة تبوك كانت في وقت طابت فيه الثمار.

صوّرت السورة ذلك، وبيّنت أسباب قتال هؤلاء وأهدافه، ويبدأ ذلك من الآية التاسعة والعشرين وهي قوله ﷻ:

﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَـٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾[التوبة:29]

إلى الآيتين الرابعة و الثلاثين والخامسة والثلاثين وهي: قوله عزوجل: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَـٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[التوبة:34-35].

وكان الأمر بقتال الروم -الذين هم أهل كتاب- في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طابت الثمار وأحبت الظلال، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلّما يخرج في غزوة إلا كنّى عنها ولم يصرح بوجهته[1]، وربما أشعر بالتوجه لجهة ما دون تصريح ولا تكون هي

1)روى البخاري في صحيحه، ج6 ص 19،رقم الحديث:410:عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال:﴿كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ﴾.

وجهته، تعمية على الذين يتوجه لغزوهم، باستثناء غزوة تبوك، فإن رسول الله ﷺ بيّن للمسلمين يومئذ وجهته لبعد المسافة وعسر الزمان وكثرة العدو، حتى يتأهب الناس لذلك أهبته وأمر الناس بأن يتجهزوا للجهاد وأخبرهم وجهته، وحذرهم من مآل التثاقل عن الجهاد في سبيل الله أو التخلف عن النفير العام. ويصور ذلك الآيات: الثامنة والثلاثين إلى الواحدة والأربعين من قوله عزوجل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾إلى قوله سبحانه:

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[التوبة:38-41]

وسياق الآيات ــ إلى هذا الحد ــ لا يتضمن خطابا صريحا عن المنافقين، ولا توجيها خاصا بهم، وإنما يفهم ذلك من وصفهم بالتثاقل عن النفير في سبيل الله ــ على الرغم من أنهم نودوا بوصف الإيمان ــ وتوعدهم بالعذاب الأليم واستبدالهم بقوم آخرين إذا لم ينفروا.

ولكن الآية الثانية والأربعين وهي قوله عزوجل: ﴿ لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [التوبة:42] فإنها تتحدث عن المنافقين صراحة، وتظهر أن الذين تخلفوا ــ من غير أهل الأعذارــ، كانوا كاذبين في ادعائهم عدم القدرة على الخروج مع المؤمنين للغزو

وأنهم سيحلفون على الكذب، وفيه دليل على أن هذه الآية نزلت قبل غزوة تبوك واستمر الحديث عن المنافقين بهذه الصراحة إلى الآية الثامنة والستين وهي قوله ﷻ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[التوبة: 68]

وواصل سياق الآيات في تصوير شأن المنافقين، بعد عقد مقارنة سريعة بينهم وبين من سبقهم من الكافرين في الأمم السابقة، وبيان عاقبة أمرهم، وقابلت ذلك بعرض حال المؤمنين الصادقين ووعد الله لهم بالعاقبة الحسنة[1]، ثم واصلت السورة ببيان دقيق لأقوال المنافقين وأفعالهم، وكشفت عن نواياهم وما تخفيه نفوسهم من الكفر وما تضمره من العداوة والكيد والتربص بالمؤمنين، وما يصاحب ذلك من الحلف كذبا، والاستهزاء والسخرية من الرسول ومن المؤمنين..

وأمام هذا الامتحان العصيب، تمايز الناس، فصاروا أصنافا، فمنهم من تجهز على ما في نفسه من الكره لذلك، ومنهم من تثاقل وتخلف، ومن تجهز منهم كانوا أصنافا ثلاثة، فمنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، فلم يقع منهم تردد، فخرجوا مسرعين طاعة لله ورسوله، وصنف خرجوا مترددين في وعد الله ورسوله بالنصر وأغلبهم من مسلمة الفتح، وصنف كانوا منافقين مضمرين العداوة لله ورسوله، متربصين به الدوائر.

1)ينظر:الآيات:69إلى72من سورة التوبة.

والذين تخلفوا كانوا أصنافا ثلاثة أيضا، فمنهم[1] مؤمنون من السابقين الأولين، إلا أنهم غلبتهم أنفسهم، واستثقلوا المسير في الحر، فتثاقلوا عن الخروج، فلما فاتهم ذلك ندموا على ما فعلوا وصدقوا الله ورسوله، فأنزل الله بعد ذلك توبتهم[2].

وصنف من أهل الأعذار، ولا يجدون ما ينفقون، حبسهم العذر، منهم رجال أتوا رسول الله ﷺ وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم[3]، استحملوا رسول الله وكانوا أهل حاجة فلم يحملهم فتولوا يبكون فأنزل الله في شأنهم: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[التوبة:92].

ومن أهل الأعذار من خلّفه رسول الله ﷺ كسباع بن عرفطة من بني غفار[4]استخلفه على المدينة، وخلّف علي بن أبي طالب في أهله، فأرجف المنافقون بعلي بن أبي طالب وقالوا ما خلفه إلا استثقالا له وتخففا منه فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله وهو بالجرف فقال يا نبي الله زعم المنافقون انك إنما خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني، فقال: ﴿كذبوا ولكني إنما خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أفلا ترضى

---

1) منهم كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة ومرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف وهلال بن أمية

2)كما هو مفهوم من الآيات:102ـــ118 من سورة التوبة.

3)وقد عرفوا بالبكائين، روى ابن هشام عن ابن اسحاق أنهم :" نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف: سالم بن عمير وعلبة ابن زيد أخو بن حارثة وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب وأخو بني مازن بن النجار وعمرو بن البغوي بن الجموح أخو بني سلمة عبد الله ابن المغفل المزني وبعض الناس يقول بل هو عبد الله بن عمرو المزني وهرمي بن عبد الله أخو بني واقف وعرباض بن سارية الفزاري." ينظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ج 1 ص 197-198

4)جاء في التراتيب الإدارية (ج1 ص314) أنه استخلف محمد بن مسلمة الأنصاري، وفي الإصابة نقلا عن ابن عبد البر وجماعة من أهل العلم بالنسب والسير أن النبي استخلف ابن أم مكتوم ثلاث عشرة مرة حتى في تبوك.

يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ﴾[1]، وفي رواية للبخاري: "أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال:﴿ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه ليس نبي بعدي ﴾[2]، فرجع علي رضي الله عنه إلى المدينة ومضى رسول الله على سفره.

وصنف لا عذر لهم، تخلفوا كفرا ونفاقا وإرصادا لمن حارب الله ورسوله[3]، وتربصا بالمسلمين أن تصيبهم الدوائر[4]، مع أنهم قدموا أعذارا واهية[5]، وحلفوا بالأيمان الكاذبة [6] فأعذرهم رسول الله ﷺ حتى نزل في أمرهم من الآيات في سورة التوبة.

وقد نزلت في شأن بعض المنافقين بأعيانهم آيات خاصة تصور مواقفهم وتفضح أسرارهم، فمن ذلك ما نزل في شأن الجد بن قيس لما استأذن الرسول ﷺ

---

1) ينظر: صحيح البخاري، ج6ص 17،رقم الحديث:408 وصحيح مسلم، ج4 ص1870 رقم الحديث : 2404

2)ينظر : محمد فؤاد عبد الباقي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، دار القلم، بيروت، ط1، 1406-1986، ج2 ص276. وقد تعلقت بهذه الرواية طوائف الشيعة وبنت كثيرا من عقائدها عليها، وزعمت أن فيها دليلا على أحقية علي رضي الله عنه بالخلافة وأنه أوصي له بها، إلى غيرذلك من عقائدهم الفاسدة، قال النووي في شرح مسلم : " وهذا الحديث لا حجة فيه لأحد منهم بل فيه إثبات فضل علي رضي الله عنه، ولا تعرض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله، وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حين استخلفه في المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة موسى، بل توفي في حياة موسى، وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة والله أعلم " ينظر : صحيح مسلم بشرح النووي،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 2، 1392هـ، ج15 ص 174.

3)كما يفهم من الآية:107 من سورة التوبة.

4)يفهم ذلك من الأيات: 24-52-98 من سورة التوبة.

5) وذلك كاعتذار الجد بن قيس بأنه يخاف أن تفتنه بنات الأصفر، وفيه أنزل الله : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ التوبة :49

6)كما بينت ذلك الآيات:42-56-62-74-95-96 من سورة التوبة.

في عدم الخروج بحجة أنه لا يطيق فتنة بنات الروم، وأنه يستعيض عن ذلك ببعض ماله. فنزل فيه قول الله عزوجل:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾[التوبة:49](1)ونزل فيه(2):

﴿ قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[التوبة:53-55].

ونزل قوله عزوجل: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ﴾ في رفاعة بن التابوت، وعبد الله بن أبي ابن سلول، وأوس بن قيظي قاله مجاهد (3) .

ونزل قوله عزوجل: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾[التوبة:48] في عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه الذي ابتغوا الفتنة من قبل أي في غزوة أحد حين انصرف عن الرسول ﷺ بمن تبعه من قومه (4).

---

1) ينظر: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسيرالطبري، دار الفكر، بيروت، 1405، ج10ص149 .

2)ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص225 .

3) ينظر : تفسير الطبري،ج 10 ص144

4) ينظر :المصدر نفسه، ج 10 ص147

وجاء عن الحسن أن الذين قصدهم الآية: ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ هم جماعة من المنافقين منهم: عبد الله بن أبي ابن سلول، وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن رافع، وزيد بن التابوت القينقاعي، وكانوا خرجوا مع رسول الله ﷺ فلما عسكر بجيشه على ثنية الوداع، قال الطبري: "وضرب عبد الله بن أبي ابن سلول عسكره على ذي حدة أسفل منه نحو ذباب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين؛ فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب، وكان عبد الله بن أبي أخا بني عوف بن الخزرج، وعبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قينقاع، وكانوا من عظماء المنافقين، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله."[1]

ونزل في شأن هذه الفترة أيضا قوله عزوجل: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾[التوبة:61-63].

قال ابن عاشور: " وهؤلاء فريق كانوا يقولون في حق النبي ﷺ ما يؤذيه إذا بلغه. وقد عُدّ من هؤلاء المنافقين، القائلين ذلك: الجُلاَسُ بن

1) المصدر السابق ، ج 10 ص148

سُويد، قبل توبته، ونَبْتَل بن الحارث، وعتاب بن قشير، ووديعة بن ثابت. فمنهم من قال: إن كان ما يقول محمّد حقّاً فنحن شرّ من الحمير، وقال بعضهم: نقول فيه ما شئنا ثم نذهب إليه ونحلف له أنّا ما قلنا فيقبل قولنا." [1]

المرحلة الثانية: الآيات التي تصور المنافقين في الطريق إلى تبوك

فلما خرج رسول الله ﷺ وسار بالجيش تخلف عنه من تخلف من المنافقين وأهل الريب[2]، وسار معه من سار من الأصناف التي ذكرنا.

وكان تحرك الرسول اللّه ﷺ يوم الخميس نحو الشمال يريد تبوك، ولكن الجيش كان كبيراً – ثلاثون ألف مقاتل، لم يخرج المسلمون في مثل هذا الجمع الكبير قبله قط – فلم يستطع المسلمون مع ما بذلوه من الأموال أن يجهزوه تجهيزاً كاملاً. بل كانت في الجيش قلة شديدة بالنسبة إلى الزاد والمراكب، فكان ثمانية عشر رجلاً يتعقبون بعيراً واحداً. وربما أكلوا أوراق الأشجار حتى تورمت شفاههم، واضطر النفر منهم إلى ذبح البعير – مع قلة الإبل – ليشربوا ما في كرشه من الماء، ولذلك سمي هذا الجيش جيش العسرة.

وفي طريقهم إلى تبوك مرّوا بالحجر – وهي ديار ثمود الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾[الفجر:9]، أي وادي القرى فاستقى الناس من بئرها. وأَمَرَهُمْ الرسول ﷺ ﴿ **أَنْ لَا**

1) الطاهر بن عاشر، تفسير التحرير والتنوير، ج 10 ص241

2) منهم عبد الله بن أبي بن سلول الذي تجهز بجيش كبير وخرج بهم إلى مشارف المدينة، ولما عزم رسول الله ﷺ بالمسير إلى تبوك، رجع ابن سلول ومن معه إلى المدينة تثبيطا للمسلمين وإلقاء للفتنة بينهم.

يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا وَلَا يَسْتَقُوا مِنْهَا فَقَالُوا قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ وَيُهَرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ ﴾[1].

وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: لمّا مر النبي ﷺ بالحجر قال:

﴿ لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ ثُمَّ قَنَّعَ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الْوَادِيَ﴾[2].

فلما راحوا قال رسول اللّه ﷺ: **﴿ إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ ﴾**[3]، فلمّا أتوها وجدوا رجلين قد سبقاهم إليها، فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللَّه ﷺ:**﴿ هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا** قَالَا نَعَمْ فَسَبَّهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ قَالَ ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ قَالَ وَغَسَلَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتْ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ أَوْ قَالَ غَزِيرٍ شَكَّ أَبُو عَلِيٍّ أَيُّهُمَا قَالَ حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ ثُمَّ قَالَ: **يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا﴾**[4].

---

1)ينظر: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، ج4ص293، حديث رقم:180

2)ينظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب نزول النبي ﷺ الحجر:ج6ص25-26، وصحيح مسلم، كتاب الزهد والتفسير، ج4ص2285-2286

3)ينظر: صحيح مسلم، كتاب الفضائل، ج4ص1784.

4)ينظر: المصدر نفسه، ج4ص1784.

وقبل الوصول إلى تبوك اجتمع رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له مخشي بن حمير، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم، والله لكأني بكم غدا مقرنين في الحبال، قال ذلك إرجافا وترهيبا للمؤمنين، فقال مخشي بن حمير: والله لوددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا ننفلت أن يترل الله فينا قرآنا لمقالتكم هذه[1]، وقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر:﴿**أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى قد قلتم كذا وكذا** ﴾[2] فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك فأتوا رسول الله يعتذرون إليه فقام وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحقبها: يا رسول الله ! كنا نخوض ونلعب فأنزل الله ﷻ فيهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة:65-66]

وقال مخشي بن حمير:﴿ يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشي بن حمير فسمي عبد الرحمن وسأل

---

1) وهو ما حذرت منه الآية : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾[التوبة:64]

2)ينظر:تاريخ الطبري، ج2ص185.وابن هشام، السيرة النبوية، ج5ص206

الله أن يقتله شهيدا لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر﴾[1].

واشتدّت في الطريق حاجة الجيش إلى الماء حتى شكوا إلى رسول اللّه ﷺ، فدعا اللّه، فأرسل اللّه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجاتهم من الماء.

وروى الطبرى[2]عن محمود بن لبيد قال: ﴿لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار فلما كان من أمر الماء بالحجر ما كان ودعا رسول الله ﷺ حين دعا فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس أقبلنا عليه نقول ويحك هل بعد هذا شيء قال سحابة مارة ﴾.

وروى الطبري ما يفيد أن أمر العين كان بعد انصراف الرسول ﷺ من تبوك، وأن الذين سبقوه إليها هم نفر من المنافقين [3].

وفي الطريق أو لمّا بلغ تبوك - على اختلاف الروايات - قال رسول اللّه ﷺ: ﴿**تهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله**، فهبت ريح شديدة، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء﴾[4].

---

1)ينظر: تاريخ الطبري، ج2 ص 185.

2)ينظر :المصدر نفسه، ج2 ص184.

3)ينظر:المصدر نفسه، ج2 ص185

4)ينظر:ابن حبان، محمد بن حبان أبوحاتم التميمي(ت354هـ)، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2/تحقيق : شعيب الأرناؤوط،1992/1414، ج14ص427.

وكان دأب رسول اللّه ﷺ في الطريق أنه كان يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء جمع التقديم وجمع التأخير كليهما.[1]

ولّما وصل إلى تبوك أقام بها بضعة عشر ليلة[2]، وهو مستعد للقاء العدو، وقام رسول اللّه ﷺ في من خرج معه خطيباً، فخطب خطبة بليغة، أتى بجوامع الكلم وحضّ على خير الدنيا والآخرة. وحذر وأنذر، وبشر وأبشر، حتى رفع معنوياتهم، وجبر بها ما كان فيهم من النقص والخلل من حيث قلة الزاد والمادة والمؤنة. وأما الرومان وحلفاؤهم فلما سمعوا بزحف رسول اللّه ﷺ أخذهم الرعب فلم يجترئوا على التقدم واللقاء، بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم، فكان لذلك أحسن أثر بالنسبة إلى سمعة المسلمين العسكرية، في داخل الجزيرة وأرجائها.

وفي تبوك جاء يحنة بن روبة صاحب أيلة، فصالح الرسول ﷺ وأعطاه الجزية، وأتاه أهل جرباء وأهل أذرح، فأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول اللّه ﷺ كتاباً.

وبعث رسول اللّه ﷺ خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة الجندل في أربعمائة وعشرين فارساً، وقال له: **إنك ستجده يصيد البقر**، فأتاه خالد، فلما كان من حصنه بمنظر العين، خرجت بقرة، تحك بقرونها باب القصر، فخرج أكيدر لصيده - وكانت ليلة مقمرة - فتلقاه خالد في خيله، فأخذه وجاء به إلى رسول اللّه ﷺ، فحقن دمه، وصالحه على ألفي

---

1)ينظر: موطأ الإمام مالك، برواية يحيى بن يحيى الليثي، دار الكتب، الجزائر،(د.ت)ص75، وينظر: التمهيد، ج2ص337، ج12ص123.

2)ينظر: تاريخ الطبري، ج2 ص185، وقيل : أقام بتبوك عشرين يوما.

بعير، وثمانمائة رأس، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح، وأقر بإعطاء الجزية، فقاضاه مع يحنة على قضية دومة وتبوك وأيلة وتيماء.[1]

وأيقنت القبائل التي كانت تعمل لحساب الرومان أن اعتمادها على سادتها الأقدمين قد فات أوانه، فانقلبت لصالح المسلمين، وهكذا توسعت حدود الدولة الإسلامية، حتى لاقت حدود الرومان مباشرة، وشهد عملاء الرومان نهايتهم إلى حد كبير.

المرحلة الثالثة: الآيات التي تصور المنافقين في طريق العودة

وفي طريق العودة أو في الطريق إلى تبوك عند عقبة – على اختلاف الروايات – حاول اثنا عشر رجلاً من المنافقين الفتك بالنبي ﷺ، وذلك أنه حينما كان يمر بتلك العقبة كان معه عمار يقود بزمام ناقته، وحذيفة بن اليمان يسوقها، وأخذ الناس ببطن الوادي، فانتهز أولئك المنافقون هذه الفرصة، فبينما رسول اللَّه ﷺ وصاحباه يسيران إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه وهم ملتثمون، فبعث حذيفة فضرب وجوه رواحلهم بمحجن[2] كان معه، فأرعبهم اللَّه، فأسرعوا في الفرار حتى لحقوا بالقوم. وأخبر رسول اللَّه ﷺ حذيفة بأسمائهم، وبما هموا به، فلذلك كان حذيفة يسمى بصاحب سر رسول اللَّه ﷺ. وفي ذلك يقول اللَّه ﷻ : ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾[التوبة:74].

---

1)ينظر:البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين(ت458هـ)، السنن الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994/1414، تحقيق:محمد عبد القادر عطا، ج9ص187.

2) أي عصا معوجة.

ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله ﷺ رجل من الصحابة يقال له عمارة بن حزم، وكان عقبيا بدريا (أي حضر بيعة العقبة وبدرا) وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقا.

فقال زيد بن اللصيت وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته؟! فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: ﴿**إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدرى أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها**، فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شئ حدثناه رسول الله ﷺ آنفا، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ــ للذي قال زيد بن اللصيت ــ فقال رجل ممن كان في رحل عمارة و لم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى، فأقبل عمارة على زيد يجأ (أي يضرب) في عنقه ويقول: إلي عباد الله، إن في رحلي لداهية وما أشعر، أخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبني﴾.[1]

1)ينظر:تاريخ الطبري، ج2ص84، مصدر سابق.

ولما لاحت للنبي ﷺ معالم المدينة من بعيد قال: هذه طابة، وهذا أحـــد، جبل يحبنا ونحبه، وتسامع الناس بمقدمه، فخرج النساء والصبيان والولائد يقابلن الجيش بحفاوة بالغة ويقلن:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ★★ وجب الشكر علينا ما دعا للّه داع[1]

ثم أقبل رسول الله حتى نزل بذي أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه فقال: **إني على جناح سفر وحال شغل ـــ أو كما قال رسول الله ـــولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه**، فلما نزل بذي أوان أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي أو أخاه عاصم بن عدي أخا بني العجلان فقال:انطلقا إلى المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقاه فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك لمعن: أنظرني حتى أخرج إليك بنارمن أهلي فدخل إلى أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ما نزل:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ

---

1)

مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ لا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[التوبة:107-110] وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا [1].

وكان خروجه ﷺ إلى تبوك في رجب وعودته في رمضان، واستغرقت هذه الغزوة خمسين يوماً، أقام منها بضعا وعشرين يوماً في تبوك، والبواقي قضاها في الطريق جيئة وذهاباً.[2]

المرحلة الرابعة: الآيات التي تصور المنافقين في المدينة بعد العودة

ولما دخل رسول اللّه ﷺ المدينة بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس، فأما المنافقون – وهم بضعة وثمانون رجلاً فجاؤوا يعتذرون بأنواع شتى من الأعذار.

وقد جاء في تصوير ذلك قوله تعالى:

﴿ يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [التوبة:94]

---

1)ينظر: تاريخ الطبري، المصدر السابق،ج2 ص186

2)ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج4 ص180. وقيل : مكث بضعة عشر يوما، ينظر: تاريخ الطبري، ج2 ص185.

وطفقوا يحلفون له، كما أخبر سبحانه: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [التوبة:95]

والظاهر من هذه الآية والتي قبلها أنهما نزلتا قبل الرجوع إلى المدينة، وهما أقرب إلى المرحلة السابقة منه إلى هذه المرحلة، فصيغة: ﴿ إذا رجعتم ﴾، و﴿ سيحلفون ﴾ تدل بظاهرها على المستقبل من الزمان، وقد حدث بالفعل ما قررته هذه الآيات، فقد جاءوا يعتذرون وجاءوا يحلفون، و لم يمنعهم نزول هذه الآيات فيهم أن يخالفوها، وفي ذلك من الإعجاز بالإخبار بالغيب ما هو ظاهر، لا يحتاج إلى زيادة بيان.

وأوفق للنزول في هذه المرحلة ما فيه تصوير لأسلوب الاعتذار وطريقة الحلف، وهو قوله عزوجل:﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾[التوبة:96]

والظاهر من سياق الآيات أن النفاق كان في الأعراب أشد منه في أهل المدينة، وأن المنافقين من أهل المدينة كانوا أقل عددا إلا أنهم أكثر مردا، قال سبحانه في تصوير شأنهم: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [التوبة:97]

وقال: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[التوبة:101]

وقد جاءه جماعة يعتذرون إليه ليسوا منافقين، ولكنهم من ضعاف الإيمان الذين غلبتهم أنفسهم، خلطوا عملوا صالحا وآخر سيئا، فقال ﷺ في شأنهم:

﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [التوبة:102]

وذكر سياق الآيات طائفة أخرى في مشيئة الله وأمره، فقال عنهم: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [التوبة:106]

فقبل رسول الله ﷺ من الجميع علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكّل سرائرهم إلى اللّه.

وأما النفر الثلاثة من المؤمنين الصادقين – وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية – فاختاروا الصدق، فلم يعتذروا إليه بشيئ من الكذب، فأمر رسول اللّه ﷺ الصحابة أن لا يكلموا هؤلاء الثلاثة، وجرت ضد هؤلاء الثلاثة مقاطعة شديدة، وتغير لهم الناس، حتى تنكرت لهم الأرض، وضاقت عليهم بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وبلغت بهم الشدة أنهم بعد أن قضوا أربعين ليلة من بداية المقاطعة أمروا أن يعتزلوا نساءهم، حتى تمت على مقاطعتهم خمسون ليلة، ثم أنزل اللّه توبتهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا

ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ [التوبة: 118].

وفرح المسلمون، وفرح الثلاثة فرحاً لا يقاس مداه وغايته، فبشروا وأبشروا واستبشروا، وكان أسعد يوم من أيام حياتهم.

وأما الذين حبسهم العذر فقد قال ﷻ فيهم:

﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾[التوبة: 91-92]

وقال فيهم رسول اللّه ﷺ حين دنا من المدينة: **إن بالمدينة رجالاً ما سرتم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم، حبسهم العذر**، قالوا: يا رسول اللّه، وهم بالمدينة؟ قال: وهم بالمدينة. وهم الذين نزل فيهم قوله عزوجل:﴿ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا

يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ [التوبة:120-122]

وفي هذه السنة وقعت عدة وقائع لها أهميتها في دراسة السورة:

منها موت رأس المنافقين عبد اللّه بن أبي ابن سلول بعد مرجع رسول اللّه ﷺ من تبوك، فاستغفر له رسول اللّه ﷺ، وصلى عليه بعد أن حاول عمر منعه عن الصلاة عليه، وقد نزل القرآن بعد ذلك بموافقة عمر[1] وهو قوله سبحانه:

﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [التوبة:84].

ومنها حج أبي بكر ﷺ، فقد بعثه رسول الله ﷺ في ذي القعدة أو ذي الحجة من نفس السنة (9هـ) أميراً على الحج ؛ ليقيم بالمسلمين المناسك.

ثم نزلت أوائل سورة براءة بنقض المواثيق ونبذها على سواء، فبعث رسول اللّه ﷺ علي بن أبي طالب ليؤدي عنه ذلك، وذلك تمشياً منه على عادة العرب في عهود الدماء والأموال، فالتقى علي بأبي بكر بالعرج أو بضجنان، فقال أبو بكر: أمير أو مأمور؟ قال علي: لا، بل مأمور. ثم مضيا، وأقام أبو بكر للناس حجهم، حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب عند الجمرة، فأذن في الناس بالذي أمره رسول اللّه ﷺ، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأجل لهم أربعة

1)ينظر:صحيح البخاري، كتاب التفسير، ج6ص129-130-131.

شهور، وكذلك أجل أربعة أشهر لمن لم يكن له عهد، وأما الذين لم ينقصوا المسلمين شيئاً، و لم يظاهروا عليهم أحداً فأبقى عهدهم إلى مدتهم.

وبعث أبو بكر ﷺ رجالاً ينادون في الناس: ﴿أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان﴾[1]. وكان هذا النداء بمثابة إعلان نهاية الوثنية في جزيرة العرب، وأنها لا تبدىء ولا تعيد بعد هذا العام.

والملاحظ من كل ما سبق أن السورة رصدت المنافقين في جميع مراحل غزوة تبوك، بل كأن الغزوة أعدت لهم إعدادا، لتميزهم من الصف الاسلامي وتزيح عنهم اللباس الإسلامي الذي كانوا يتسترون به، فدعت أول ما دعت إلى النفير، ورصدت المتثاقلين، والمخلفين وحذرت من عاقبتهم، وتتبعت من خرج منهم مع المسلمين، رغبا أو رهبا فكشفت سريرته وفضحت مكره، ثم أتت على البقية المخلفة بعد العودة من الغزوة لتكشف عورتهم النتنة من الكفر والنفاق، وتصنف الناس حسب إيمانهم ودرجة إخلاصهم للإسلام، فمنهم المهاجرون والأنصار الذين اتبعوا الرسول في ساعة العسرة، ومنهم المخلفون المنافقون الذين كذبوا الله ورسوله، من الأعراب أو من أهل المدينة، ومنهم المتخلفون من ضعاف الإيمان الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، ومنهم من ترك أمره إلى الله، ومنهم مؤمنون تخلفوا لكنهم لم يرضوا أن يكذبوا الله وسوله، فتاب عليهم، وبهذه الجولات مع أصناف الناس الذين لا تتكشف معادنهم إلا بالامتحان العسير كغزوة تبوك.

---

1)ينظر: المصدر نفسه، ج6ص123-124.

وقد رصدت سورة التوبة المنافقين ومواقفهم المخزية بتصوير بليغ، كما هي طريقة القرآن في تصوير النماذج الإنسانية، وقد اتبعت في ذلك أساليب تصويرية مختلفة، سنرصد بعضها في الفصول اللاحقة.

الفصل الثاني

صور المنافقين من خلال سورة التوبة

الدلالات الصوتية

أولا:- دلالات الإيقاع في مستوى الأصوات

ثانيا:- القيم الدلالية للأصوات

تمهيد:

الصوت وسيلة تعبيرية، لأنه (دال) مادي على (مدلول) ذهني، ولذلك لا يمكن فهم النص اللغوي، فهما كاملا ومحيطا، ما لم يستثر الباحث دلالته الصوتية، وخصائصه " التي تتمايز بها الأصوات، ويتعلق بها نوع من المعاني، يسمى المعاني الطبيعية، التي لا توصف آثارها بأنها عرفية ولا ذهنية ؛ لأنها مؤثرات سمعية انطباعية ذات وقع على الوجدان...وتأثيرها في وجدان السامع مثل النغمة الموسيقية تطرب لها ثم لا تستطيع أن تقول لم طربت "[1]

ولاشك أن للمستوى الصوتي، تأثيراً كبيراً في التمييز بين الوحدات الصوتية، حيث يترتب عن تغييرها في النظام تغيير الدلالة. ولهذا يهتم الدارسون بالوحدات الصوتية (الصوامت، الصوائت)، وبالمقاطع الصوتية ودورها في تلوُّن الحديث، من حيث التكرار والإيقاع وغيرها من القيم الصوتية[2].

وتحليل المستوى الصوتي يتناول الملامح الصوتية، كتكرار أصوات بعينها، ساكنة أو متحركة، مهموسة أو مجهورة، مرتكزة أو منبورة، وكاستخدام أنواع معينة من المقاطع: طويلة أو متوسطة أو قصيرة، وكالعلاقة بين الإيقاع والنبر، والارتكاز والطول، وتوزيع الظواهر البديعية من سجع وجناس وطباق.. إلخ.

---

1) د.تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص257.

2) ينظر:المرجع نفسه، ص 257.

ولقد أدرك جمهور الدارسين المحدثين، أن "من أهم أسباب روعة القرآن حلاوة الجرس وعذوبة الإيقاع."[1]

ويمكننا أن ندرس في إطار الأسلوب القرآني بعض تلك الخصائص، مستكشفين دلالاتها الصوتية، في تصوير المنافقين، من خلال سورة التوبة، ومن هذه الخصائص والقيم الصوتية: الإيقاع [2].

أولا:ــ الإيقاع في مستوى الأصوات:

تمهيد:

إن دراسة الحروف وصفاتها الصوتية، جزء من الدراسة الصوتية للمفردات والجمل، بل هي القاعدة التي ترتكز عليها الدراسة الصوتية.

والقرآن نزل بلسان عربي مبين، فهو يجري على أسلوب العرب في تأليف الكلمات والعبارات، وإعجازه يكمن في حروفه وكلماته وعباراته جميعا.

" فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته أبديا، فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان إذ هو يشبه الخلق الحي تمام المشابهة، وما أنزله إلا الذي يعلم (السر) في السموات والأرض."[3]

---

1)د. أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص242-243.

2) ينظر :د.تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص257.

3)مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مكتبة رحاب، الجزائر (د.ت)، ص 211.

وكما قال الآمدي: " المقاطع الصوتية التي خص بها نوع الإنسان دون سائر أنواع الحيوان عناية من الله ﷻ به ومن اختلاف تركيبات المقاطع الصوتية حدثت الدلائل الكلامية والعبارات اللغوية"[1]

وأصغر صورة صوتية في التحليل هي (الفونيم)[2]، وهو سمة مجهورة أو مهموسة، مرققة أو مفخّمة..الخ، وتتراوح (الفونيمات) في سورة التوبة بين الكثرة و القلّة، والجهر الهمس،-كما سنرى - حسب المراحل الزمنية التي نزلت فيها وحسب طبيعة المخاطبين وحالاتهم النفسية.

إن القرآن الكريم لما نزل على محمد ﷺ، وقرأه على العرب، انقادوا له مذعنين ذلك أول الإقرار بعجزهم، وأنه كلام لا يمكنهم مضاهاته، قال الرافعي: " فلما قرئ عليهم القرآن، رأوا حروفه في كلماته، وكلماته في جمله، ألحانا لغوية رائعة، كأنها لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هي توقيعها، فلم يفتهم هذا المعنى، وأنه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم."[3]

وقد جرت عادة الدراسات الأدبية على تسمية هذه الألحان الذاتية للنص بالإيقاع، وإذا كانت الألحان القرآنية قد أدرك العربي قديما تفردها، وسحرها

---

1)ينظر:الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد(ت631هـ)،الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط1، 1404هـ، تحقيق:سيد الجميلي، ج 1 ص 32.

2) الفونيم : هو مصطلح معرب في الدرس اللغوي العربي، وقد ترجم إلى عدة مصطلحات منها : (الوحدة الصوتية) و(لافظ) و (صوت مجرد) و(صوتية)و (صوت) و(مستوصت) و(صوتون) وعرب أيضا إلى : (صوتيم) و(فونيمية)، وقد اختلف في تعريفه حسب عدة اتجاهات، إلا أن أوضحها ما اختاره د/أحمد محمد قدور من أن الفونيم هو : "أصغر وحدة صوتية عن طريقها يمكن التفريق بين المعاني "، ينظر :د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط2، 1999، ص 98 إلى ص104

3) الرافعي، إعجاز القرآن، ص214

الخاص، فإن دراسة الإيقاع في النص القرآني، تأخذ هي الأخرى طابعها الخاص ودراستها المتميزة، وتكون الدراسة أكثر تميزا إذا كانت تستعمل الآليات الحديثة في الدراسات اللغوية.

وقبل الحديث عن الإيقاع في النص القرآني، لا بد من تمهيد نعرف بالإيقاع في مدلوله اللغوي، لنخلص إلى مدلوله في الاستعمال، وتوضيح ما أردناه به في هذا الدراسة.

الإيقاع لغة:

الإيقاع من قولهم: "الوقعة والوقيعة: الحرب والقتال، وقيل المعركة، والجمع الوقائع، وإذا وقع قوم بقوم قيل: واقعوهم وأوقعوا بهم إيقاعا، والوقعة والواقعة: صدمة الحرب... وقال الليث: الوقعة في الحرب صدمة بعد صدمة...والوقعة: أن يقضي في كل يوم حاجة إلى مثل ذلك من الغد، وتبرز الوقعة أي الغائط مرة في المرة... والتوقيع إصابة المطر بعض الأرض وإخطاؤه بعضا. والإيقاع: من إيقاع اللحن والغناء، وهو أن يوقع الألحان ويبنيها، وسمى الخليل رحمه الله كتابا من كتبه في ذلك المعنى: كتاب الإيقاع."[1]

ويتلخص من كلام ابن منظور(ت711هـ) أن الإيقاع هو ما كان يحدث ويتكرر مرة تلو الأخرى، فيصيب الشيء مرة، ويخطئه أخرى، فهو في الحرب: صدمة تليها أخرى، وهو في المطر: ما يحدثه المطر من صوت بإصابته بعض الأرض وتركه بعضها. ويتضح معناه أكثر، عندما يستعمل اللفظ في الغناء واللحن، وفي أوزان الشعر. " فالعازف

1) ابن منظور، لسان العرب، مادة :"وقع"

على الآلة الموسيقية يوقع بأصابعه على بعض أوتار تلك الآلة دون بعضها، وينبعث من هذه الأوتار نغمة خاصة هي الإيقاع الموسيقي. والمتحدث عندما ينطق لفظا، فكأنه ـــ نظرا لاختلاف مخارج حروف اللفظ ـــ يوقع على بعض أوتاره الصوتية دون الآخر، فتنبعث من الفم نغمة خاصة هي الإيقاع الموسيقي للفظ."[1]

إن الإيقاع الذي نودّ الحديث عنه في القرآن الكريم، هو إيقاع خاص، متميز عن كل إيقاع، فهو ليس مجرد أصوات تردد، ولا ألحانا يتنغم بها القراء، ويترنمون بإيقاعها، كما يترنم المغنون بغنائهم والشعراء بشعرهم.

إن الإيقاع الذي هو سمة من سمات الإعجاز الفني في القرآن[2]، لا تكاد تجده في سورة دون سورة، أو في آية دون آية، ولا في كلمة دون كلمة، ولا في حرف دون حرف، إنه القاعدة وليس الاستثناء، في كل سورة تجده، وفي كل آية تراه، وفي كل حرف تحسه.

إن مما لاشك فيه أن تناول خصائص حروف سورة التوبة من حيث شدتها ورخاوتها وجهرها وهمسها وتفخيمها وترقيقها... يفيد في إدراك هذا اللون من الإعجاز، وهذا ما يقتضي منَّا التعامل مع بعض المبادئ الصوتية الأساسية التي تتمثل في اعتماد تقسيم اللغويين المحدثين، حيث قسموا أصوات اللغة إلى قسمين رئيسيين وهما: الصوامت والصوائت.[3]

---

1) صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، شركة الشهاب، الجزائر، (د.ت) ص92

2) ينظر : عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس،1980، ص215

3) ينظر : د.أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994،ص76، وينظر أيضا : د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط2، 1999، ص57-59.

ولإدراك الدلالات العميقة للأصوات ومعدل تكرارها، فإنه لا مناص من الاعتماد على المنهج الإحصائي لما فيه من التحديد الكمي الذي يمكننا به معرفة الأصوات المهيمنة في السورة، واستنطاق دلالاتها المختلفة.

ولذلك فإن هذه الدراسة ستقوم برصد الأصوات المكررة وبإحصاء عدد التكرارات لتحديد النظام الصوتي للسورة والنظر في خصائص استعمالاته.

أولا – الأصوات الصوامت[1]:

لقد اجتهد اللغويون القدامى والمحدثون في تعيين الأصوات فجعلوها قسمين: الصوامت والصوائت، واعتمدوا في ذلك على مخارج الحروف وصفاتها، وعلى اختلاف درجة الوضوح كمعيار للتفرقة بينها[2]، وقد قرروا أن " أساس تقسيم الأصوات إلى صامتة و صائتة هو وجود حبس أو تضييق في مجرى الهواء عند النطق بالصوامت، وعدم وجود أي حبس أو تضييق عند النطق بالصوائت "[3]

وإذا كانت قاعدة الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، هو تصنيف الحروف حسب مخارجها[4]، وإن اختلفوا في تصنيف

---

1)" الحرف الصامت هو صوت لا يملك أي أثر صوتي مساعد على النطق في ذاته، لذلك هو لا يكون مسموعا إلا إذا رافقه صوت صائت." ينظر :د. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 61، وعرفه أحمد محمد قدور بأنه : "الذي يحدث حين النطق به انسداد جزئي أو كلي "، ينظر : مبادئ اللسانيات، ص 58.

2)د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص58–59

3) المرجع نفسه، ص60

4) ينظر :المرجع نفسه، ص 60إلى 88.

بعض الحروف وبيان صفاتها، فإن هذا المبحث يسير على هذه القاعدة، ويتبنى هذا التصنيف[1].

وبين الشكل الآتي التصنيف الحديث للحروف حسب مخارجها وصفاتها:

1) ينظر : التصنيف الحديث للصوامت العربية في الشكل رقم : (1) وينظر أيضا : الشكل التوضيحي لمخارج الحروف (شكل رقم :2)

الشكل رقم (1) التصنيف الحديث للصوامت العربية[1]

المخارج	الصفات											
	شديد				رخو				مركب	متوسط		
	مجهور		مهموس		مجهور		مهموس		مجهور	مجهور كلي		
	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق	مفخم	مرقق		جانبي	تكراري	أنفي	نصف حرف علة
شفوي		ب										م	و
شفوي أسناني								ف					
أسناني					ظ	ذ		ث					
أسناني لثوي	ض	د	ط	ت		ز	ص	س					
لثوي										ل	ر	ن	
غاري								ش	ج				ي
طبقي				ك		غ		خ					

1) ينظر : احمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 69.

طرفي			ق								
حلقي				ع		ح					
حنجري			ء			هـ					

وإليك المخطط الآتي الذي يبين تصنيف المتقدمين للحروف حسب مخارجها مع بيان صفاتها:

1–المجموعة النطعية : حروفها :الطاء والدال والتاء : تخرج من طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، وسميت بذلك لخروجها من نطع الفم وهو الجزء الأمامي من الحنك الأعلى.

2–المجموعة اللثوية : حروفها :الظاء والذال والثاء : تخرج من طرف اللسان مع التصاقه برؤوس الثنايا العليا.

3– المجموعة الشفوية حروفها : الباء والواو والميم : تخرج من بين الشفتين معا.الفاء : تخرج من بطن الشفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا.

4– المجموعة الأسلية : حروفها : الصاد و السين والزاي : تخرج من طرف اللسان مع ما بين الثنايا العليا وفوق الثنايا السفلى مع انفراج قليل بينهما. وسميت بذلك لخروجها من أسلة اللسان أي طرفه.

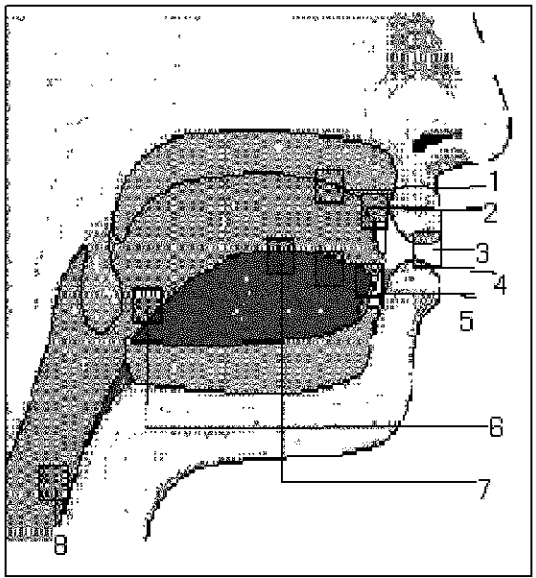
5_المجموعة الذلقية : حروفها :اللام تخرج من أدنى حافة اللسان مع ما يحاذيها من اللثة العليا.النون : تخرج من طرف اللسان تحت مخرج اللام. الراء : تخرج من طرف اللسان بعد مخرج النون. وسميت بذلك لخروجها من ذلق اللسان.

6– المجموعة اللهوية : القاف : تخرج من أقصى اللسان مما يلي الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى. الكاف : تخرج من أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى تحت مخرج القاف. وسميت بذلك لقرب مخرجها من اللهاة.

7– المجموعة الشجرية : حروفها :الجيم والشين والياء : تخرج من وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى.

الضاد : تخرج من إحدى حافتي اللسان وما يحاذيه من الأضراس العليا.وسميت بذلك لخروجها من شجر الفم وهو ما اتسع منه.

8_ المجموعة الحلقية : حروفها : الهمزة والهاء : تخرجان من أقصى الحلق.العين والحاء : تخرجان من وسط الحلق.الغين والخاء : تخرجان من أدنى الحلق. وسميت بذلك لأن حروفها تخرج من الحلق.



مخطط توضيحي لمخارج الحروف (شكل رقم:2)

8

1-الصوت الانفجاري:

وتسمى حروفه عند المتقدمين بحروف الأصوات الشديدة [1]، وسميت بذلك لأنها:"قويت في مواضعها ولزمتها ومنعت الصوت أن يجري معها حال النطق بها"[2].

والأصوات الانفجارية (الشديدة) في الدرس الصوتي الحديث، تتولد عندما يحدث انحباس تام للهواء نتيجة سدٍّ المجرى، ثم انطلاق فجائي يسرح الهواء، وخروج الهواء بهذه الطريقة شبيه بالانفجار، ولهذا السبب سميت أصواته انفجارية.

والصوت الانفجاري يحدث عبر مراحل:

1- اتصال عضوين من أعضاء النطق لسد مجرى الهواء وحبسه.

2- توقف الهواء خلف حاجز السد والإغلاق.

3- انفصال العضوين الحاصرين فجأة وتسريح الهواء[3].

---

1) د. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص86

2) ينظر : أبو القاسم علي بن عثمان البغدادي، سراج القارئ المبتدئ وتذكار المقرئ المنتهي، دار الفكر للطباعة والنشر، ص409

3) ينظر : أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 76-77.

والأصوات الانفجارية (الشديدة) حروفها عند المتقدمين من أهل اللغة والقراءات ثمانية، وهي المجموعة في قولهم:(أجدت كقطب)[1]، و هي في الدرس الصوتي الحديث[2]: (ب، ض، د، ط، ت، ك، ق، الهمزة) وهي لا تختلف عما أورده اللغويون القدامى إلا في أمرين وهما: "وجود الجيم عند القدامى ضمن الأصوات الشديدة، وهي عند المحدثين مركبة معطشة[3]، وجعل الضاد في الأصوات الرخوة وهي عند المحدثين شديدة "[4]

لقد جاء توزيع الأصوات الانفجارية في سورة التوبة حسب هذا الجدول:

الصوت	عدد مرات تواتره	عدد الاستعمال	عدد الاستعمال	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتنوين	عدد الاستعمال بالتشديد
الهمزة (ء)	589	301	44	180	53	11	0
الباء (ب)	350	91	42	147	37	13	20
التاء(ت)	393	163	69	54	22	50	35
الكاف(ك)	301	125	132	30	10	0	4
القاف(ق)	216	101	64	23	15	4	9

1) ينظر: المرجع السابق ص409.

2) وهو المنهج الذي تم اعتماده في هذا المبحث، نظرا لحداثة هذه الدراسات ودقتها في تحديد مخارج الحروف بفضل استخدامها لأحدث الوسائل العلمية، مما لم يكن متوفرا للقدامى من قبل. ينظر : أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص46 .

3)التركيب يأتي من الانحباس الذي يولد الشدة، والتضييق الذي يولد الاحتكاك، لكن الانفصال الذي يقع بعد الانحباس لا يكون سريعا ومفاجئا بل بطيئا، فيحتك الهواء الخارج من الحبس بالعضوين اللذين سببا ذلك الانحباس، وهما يتباعدان تباعدا بطيئا، ويدعى الصوت الصادر بهذه الطريقة بالمركب أو المعطش أو المتراخي، وهو صوت الجيم في العربية الفصحى ".ينظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص78.

4) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص77.

الدال(د)	207	49	42	44	12	24	29
الضاد(ض)	61	13	21	10	10	5	2
الطاء(ط)	34	18	6	5	1	0	4
المجموع	2151	861	420	493	160	108	103

2-الصوت الاحتكاكي:

الأصوات الاحتكاكية هي الأصوات الرخوة ــ في اصطلاح المتقدمين ــ وتسمى بذلك لأنها عند النطق بها " لا ينغلق مجرى الهواء انغلاقا تاما... بل يضيق نسبيا، بحيث يسمح للهواء بأن يمر به، مع احتكاك بجانبه، فيحدث الهواء نوعا من الصفير أثناء مروره بمخرج الصوت، وبحسب نسبة الصفير في الصوت تكون رخاوته ؛ ولذلك فإن أكثر الأصوات رخاوة هي أصوات الصفير[1] "[2]، فمصدر الرخاوة هو ما يجده الهواء من انفتاح في مجرى الهواء من غير انسداد رغم ما فيه من ضيق، ومصدر الاحتكاك، هو مرور الهواء محتكا بالعضوين اللذين سببا تضييقا في مجراه دون انفجار[3].

والأصوات الرخوة (الاحتكاكية) هي ضد الشديدة (الانفجارية)، وهي عند المتقدمين ستة عشر وهي ما عدا الحروف الشديدة وماعدا الحروف المجموعة في عبارة: (لن عمر) وهذه الأخيرة متوسطة بين الشدة والرخاوة. وأضاف بعضهم إليها الياء والواو[4].

---

1) أصوات الصفير هي : السين والزاي والصاد، ينظر : المرجع السابق ص87، وينظر أيضا :د.عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص 157.

2) د.أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 86-87.

3) ينظر :د. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 77.

4) ينظر : المرجع السابق، ص 84.

والحروف التي تحدث الأصوات الاحتكاكية هي: السين والزاي والصاد والشين والذال والثاء والظاء والفاء والهاء والعين والحاء والخاء والغين[1].

وقد وردت في سورة التوبة حروف الصوت الاحتكاكي بتواتر يوضحه الجدول الآتي:

الصوت	عدد تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتنوين	عدد الاستعمال بالتشديد
الهاء(هـ)	649	115	327	182	19	3	3
العين(ع)	312	187	21	23	78	3	0
الفاء(ف)	308	132	35	108	22	4	7
السين(س)	194	62	45	33	39	3	12
الذال(ذ)	145	47	14	64	8	0	12
الحاء(ح)	138	68	16	20	31	3	0
الخاء(خ)	86	40	8	22	16	0	0
الصاد(ص)	63	24	12	11	2	1	13
الزاي(ز)	54	15	10	15	6	3	5
الشين(ش)	49	19	0	4	18	0	8

1) ينظر : المرجع نفسه ص87.

الغين(غ)	37	16	3	5	13	0	0
الثاء(ث)	31	8	14	4	3	0	2
الظاء(ظ)	29	8	3	8	6	0	4
المجموع	2095	741	508	499	261	20	66

3- الصوت المجهور:

الجهر في اللغة: هو الصوت الشديد القوي ، وجملة الحروف المجهورة عند المتقدمين هي تسعة عشر حرفا، وهي ما عدا الحروف المهموسة، وقالوا إنما سميت بذلك لأنها " كلها يجهر بها عند النطق بها لقوتها وقوة الاعتماد عليها عند خروجها ومنع النفس أن يجري معها "[1]

وقد حدّد المتأخرون مصدر هذا الجهر والقوة بأنه يتولد من وجود ذبذبة واهتزاز في الوترين الصوتيين عند النطق بالحرف." فالصوت المجهور هو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان "[2]

والأصوات المجهورة في اللسان العربي هي: الباء والجيم والدال والذال والراء والزاي والضاد والظاء والعين والغين واللام والميم والنون، والواو والياء[3].

1) أبو القاسم علي بن عثمان البغدادي، سراج القارئ، ص409.

2) د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص81-82. وينظر أيضا:د.عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، ص 89-95 .

3) د.أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، مرجع سابق ص 88، وينظر أيضا : د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص82.

وقد وقع بين المتقدين خلاف في تصنيف حروف المد الثلاث: (الواو والياء والألف)، فمنهم من يجعلها من الحروف الرخوة (الاحتكاكية)[1]، ومنهم من يجعلها في مرتبة بين الرخوة والشديدة (الانفجارية)، والمتأمل المنصف في مخارج هذه الحروف وصفاتها، يجد فيها سهولة ولينا في النطق ؛ ولأجل ذلك تسمى أيضا حروف اللين، فهي بذلك أقرب إلى الأصوات الرخوة لسهولة مخرجها وإحداثها صوتا يشبه الصفير.

ويبين الجدول الآتي الأصوات المجهورة وتواتراتها:

الصوت	عدد مرات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتنوين	عدد الاستعمال بالتشديد
اللام (ل)	1347	233	75	162	188	14	267
الميم (م)	915	211	146	122	304	54	78
النون (ن)	703	401	65	47	67	14	109
الراء	412	51	77	83	42	25	34

1) ينظر : شرح منظومة حرز الأماني المسمى سراج القارئ، عند قول الناظم : و(واي) حروف المد والرخو كملا. قال الشارح (ص409): "وهن عند الناظم رحمه الله من الحروف الرخوة ولذلك ذكرهن في هذا الموضع...وذهب غيره إلى أنهن من الحروف التي بين الرخو والشديد وجمع ذلك في قوله (لم يرو عنا) ولكلاهما وجه "اهـ. ينظر : البغدادي، سراج القارئ المبتدئ، ص409

(ر)							
الباء (ب)	350	91	42	147	37	13	20
العين (ع)	312	187	21	23	78	3	0
الدال (د)	200	49	42	44	12	24	29
الذال (ذ)	145	47	14	64	8	0	12
الجيم (ج)	102	49	8	27	14	2	2
الضاد (ض)	61	14	22	10	10	5	0
الزاي (ز)	54	15	10	15	6	3	5
الغين (غ)	37	16	3	5	13	0	0
الظاء (ظ)	29	8	3	8	6	0	4
الواو	837	419	4	2	103	3	15
الياء	676	197	82	2	71	3	25
المجموع	6321	3231	1671	1606	1543	166	603

4-الصوت المهموس:

الحروف المهموسة عند أصحاب القراءات والتجويد هي عشرة: وهي المجموعة في عبارة: (فحثه شخص سكت) وسميت مهموسة " لضعفها وضعف الاعتماد عليها عند خروجها وجريان النفس معها "[1]

وحروف الصوت المهموس عند المحدثين هي: التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين والصاد والطاء والفاء والقاف والكاف. وأما الهمزة فهي من الحروف الشديدة ليست بمجهورة ولا مهموسة[2]؛ "لأن مخرجها من المزمار نفسه ؛ إذ عند النطق بها تنطبق فتحة المزمار انطباقا تاما، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق، ثم تنفرج فجأة فيسمع صوت انفجاري نتيجة لاندفاع الهواء."[3]

وقد جاء ت الأحرف المهموسة في سورة التوبة بتواترات يبينها الجدول الآتي:

الصوت	عدد مرات تواتره	عدد الاستعمال بالفتح	عدد الاستعمال بالضم	عدد الاستعمال بالكسر	عدد الاستعمال بالسكون	عدد الاستعمال بالتنوين	عدد الاستعمال بالتشديد
الهاء (هـ)	649	115	327	182	19	3	3
التاء (ت)	393	163	69	54	22	50	35

1) المرجع السابق، ص409

2) وهو رأي جماعة من اللغويين المحدثين منهم د.ابراهيم أنيس ورجحه د.كمال بشر، واستغربه د.رمضان عبد التواب ورأى "أن الأوتار الصوتية إما أن تتذبذب فيحدث الجهر أو لا تتذبذب فيحدث الهمس ولا ثالث لهاتين الامكانيتين، ومن ثم فإن وصف الدكتور أنيس للهمزة بأنها ليست مجهورة و لا مهموسة وصف غير دقيق " ينظر لهذه الآراء : د.شوقي النجار، الهمزة مشكلاتها وعلاجها، دار الرفاعي للنشر، ط1984، ص7 –13، ينظر أيضا : عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص97 .

3) د.أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 88.

الفاء (ف)	308	132	35	108	22	4	7
الكاف (ك)	301	125	132	30	10	0	4
القاف (ق)	216	101	64	23	15	4	9
السين (س)	194	62	45	33	39	3	12
الحاء (ح)	138	68	16	20	31	3	0
الخاء (خ)	86	40	8	22	16	0	0
الصاد (ص)	63	24	12	11	2	1	13
الشين (ش)	49	19	0	4	18	0	8
الطاء (ط)	34	18	6	5	1	0	4
الثاء (ث)	31	8	14	4	3	0	2
المجموع	3161	1357	1336	903	310	122	139

5- الصوت المفخم والمرقق[1]:

لقد تقررعند علماء أحكام التجويد أن حروف الاستفال [1] كلها مرققة إلا الراء[2] واللام في بعض الأحوال [3]، وتقرر أيضا أن حكم مقابلها وهو

1) التفخيم : لغة هو التعظيم، واصطلاحا : "هو الأثر السمعي الناشئ عن تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت " والترقيق : من ترقيق الكلام وهو تحسينه، واصطلاحا : "هو الأثر السمعي الناشئ عن عدم تراجع مؤخرة اللسان بحيث لا يضيق فراغ البلعوم الفموي عند النطق بالصوت " ينظر: د.عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص145

حروف الاستعلاء هو التفخيم، وخصوا حروف الاطباق[4] منها بزيادة في التفخيم[5].و"أصوات التفخيم هي: الصاد والضاد والطاء والظاء واللام والراء والألف "[6].

والأصوات المرققة هي كل الأصوات، عدا أصوات الإطباق والراء واللام والألف "[7].

والجدول الآتي يوضع عدد تواتر أصوات التفخيم مع إحصاء الحالات الخاصة التي ترقق فيها كل من اللام والراء حسب قواعد علم التجويد والدرس اللغوي الحديث:

---

1) الاستفال : لغة نقيض الاستعلاء واصطلاحا :هو انخفاض أقصى اللسان عند النطق بالصوت إلى قاع الفم" ينظر: المرجع نفسه، ص 143 وحروف الاستفال اثنان وعشرون حرفا وهي ما عدا حروف الاستعلاء، وحروف الاستعلاء سبعة مجموعة في عبارة : (خص ضغط قظ)، ينظر : سراج القارئ، ص 119.

2)الأصل في الراءات التفخيم، ينظر : سراج القارئ، المرجع نفسه، ص 119.

3)الأصل في اللام الترقيق عكس الراء، فتفخم اللام إذا كانت مفتوحة وجاء قبلها أحد ثلاثة أحرف وهي : الصاد والطاء والظاء، وكانت هذه الأحرف مفتوحة أو ساكنة، واختلف في اللام إذا حالت ألف بينها وبين تلك الأحرف، وكذلك وقع الخلاف إذا جاء بعدها ألف منقلبة عن ياء وأتت بعد ما يوجب تفخيها.ينظر : سراج القارئ، ص123

4) الاطباق : "هو أن يتخذ اللسان عند النطق بالصوت شكلا مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى، ويرجع إلى الوراء قليلا" والأصوات المطبقة هي : الصاد والضاد والطاء والظاء " ينظر : عبد العزيز الصيغ، المرجع السابق، ص132

5)ينظر :محمد علي بن يالوشة، الفوائد المفهمة في شرح الجزرية المقدمة (د.ت)، ص 25و ص27 ونظر أيضا : شرح الشيخ زكرياء الأنصاري لمتن الجزرية، طبعة قصر الكتب، البليدة،(د.ت) ص 18.

6) ينظر: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص 146.

7) ينظر :د.عبد العزيز الصيغ، المرجع السابق، ص 151.

الصوت	عدد مرات تواتره	الحالات		عدد الاستعمال بالتفخيم		عددالاستعمال بالترقيق	
	1347	الحركة	قبلها	الفتحة	السكون	الضمة	الكسرة
اللام[1] (ل)		مفتوحة	الصاد	1[2]	0	0	0
			الطاء	0	0	0	0
			الظاء	0	0	0	0
			بقية الحروف	0		232	
			المجموع	233			
		غير الفتحة	الضمة			75	
			الكسرة			162	
			السكون			258	
			التنوين			14	
			الشدة			98	
			المجموع	0		634	
		لفظ الجلالة:	قبله فتح أو ضم	167			
			قبله كسر			40	

1) عند الامام ورش التفخيم في اللام إذا جاء قبلها أحد ثلاثة أحرف وهي : الصاد والطاء والظاء، وكانت هذه الأحرف مفتوحة أو ساكنة، وأما إذا كانت اللام مضمومة أو مكسورة أو ساكنة نحو:قلوبهم –أليم و أبلغه –أجعلتم وشبه ذلك ؛ فإن اللام ترقق لا غير، وكذلك إذا كانت هذه الأحرف الثلاث مضمومة أو مكسورة نحو :ظلل وظلال وفصلت فالترقيق لا غير. ينظر : سراج القارئ، المرجع نفسه، ص123

2) عند قوله تعالى: ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾[التوبة:99].

			المجموع					
			اللام المفخمة				اللام المرققة	
المجموع			168				906	
الراء[1] (ر)	412	الحالة	الحركة	التفخيم		الترقيق		
		متحركة	كسرة				92	عند الجميع
			فتحة	187	لورش تفصيل[2]			
			ضمة	91	لورش تفصيل[3]			
		ساكنة	قبلها كسرة	بعدها حرف استعلاء	2	تفخم عند الجميع		ترقق عند ورش

1)رقق ورش كل راء متحركة أو ساكنة بأي حركة كانت، فرقق منها ما كان قبله ياء ساكنة نحو : خبير و نذير ولا ضير و ما كان قبله كسرة نحو : يبشرهم، وسراجا وشبه ذلك، ولا يعد الساكن فاصلا إذا حال بين الكسرة والراء لضعفه، إلا أن يكون الساكن حرف استعلاء فإنه يفخمه نحو : إصرهم ولا يلحق الخاء بحروف الاستعلاء في هذا الحكم، بل يرقق الراء مع وجودها نحو : إخراجكم وإخراجا ولم يراع ورش هذا الأصل إذا كان اللفظ أعجميا نحو :ابراهيم وإسرائيل وعمران وإرم، فإنه فخم الراء فيها، وفخمها أيضا في حال تكريرها نحو : ضرارا وفرارا وما كان وزنه :فعلا نحو : ذكرا ووسترا وصهرا وحجرا، ففيه وجهان، أشهرهما التفخيم ينظر : سراج القارئ، المرجع السابق، ص 119–120.

2) ينظر:المرجع نفسه، ص–120–119.

3) ينظر :المرجع نفسه.

				ليس بعدها			5	ترقق عند الجميع
					لا كسرقبلها	35	تفخم عند الجميع	
				المجموع		315		97
		عدد الاستعمال بالتفخيم				عدد الاستعمال بالترقيق		
القاف (ق)	216	تفخم كل هذه الحروف لأنها حروف الاستعلاء التي تجمع في قولهم: خص ضغط قظ				لا يرقق أي حرف منها لأنها حروف الاستعلاء والواجب فيها التفخيم لا غير		
الخاء (خ)	86							
الصاد (ص)	63							
الضاد (ض)	61							
الطاء (ط)	34							
الغين (غ)	37							
الظاء (ظ)	29							

الألف (ا)	352		
المجموع	2632	1529	1103

ويمكننا رصد حالات تواتر الأصوات المرققة، وهي عدا حروف الإطباق واللام والراء والألف، نجد أن عددها هو:7285 صوتا فإذا أضيف إليه عدد الحالات التي ترقق فيها اللام والراء، نجد أن إجمالي الأصوات المرققة هو:8388 صوتا مرققا.

ثانيا ــ الأصوات الصوائت [1]:

المراد بالصوائت هي حروف المد الستة التي تحدث عندما "يخرج النفس من الجهاز الصوتي بصفة حرة دون أن يعترضه مانع أو حاجز "[2] وحروف المد الستة، منها ثلاثة طويلة وهي: الألف والواو و الياء، وثلاثة قصيرة وهي الحركات الثلاث: الفتحة والضمة والكسرة [3].

ولما كانت حروف المدّ الثلاث: الألف والواو والياء قد سبق رصدها من قبل، فإننا سنرصد تواتر الحركات الثلاث وأثرها في تصوير المنافقين في هذه السورة.

إن دراستنا للحركات ينطلق مما ذهب إليه أهل اللغة في أن الحركة هي بعض حرف، "فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة

1) "الحرف الصائت هو صوت مسموع يظهر دون إحداث حركة في اللسان، أو الشفتين، بمعنى أن الصوت الصائت يحدث حينما يمر الهواء في المجرى الصوتي دون أن يعترض سبيله أي عائق عضوي " ينظر :د. أحمد حساني، المرجع السابق، ص60-61

2) زبير دراقي، محاضرات في فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، ط ثانية، 1994، ص64.

3) ينظر : د.أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 76.

بعض الواو "[1]، وكما يقول ابن جني: " إن الحركة حرف صغير، ألا ترى أن من متقدمي القوم من كان يسمي الضمّة الواو الصغيرة، ويؤكد ذلك عندك أنك متى أشبعت و مطلت الحركة أنشأت بعدها حرفا من جنسها"[2] فإذا كان للحرف صوت خاص ؛ فإن بعض الحرف لا يعقل أن لا يكون له صوت، فما يثبت للكل يثبت للجزء، ومن مباحث اللغويين القدامى: هل الحركة تحدث بعد الحرف أو معه أو قبله، على خلاف بينهم[3]، وما يعنينا هنا أن الحركة لها صوت خاص، ولا يعنينا في هذا المقام تقدمها الحرف أو تأخرها عنه.

"وقد اعتبر النحاة القدامى هذه الحركات الثلاث: (ـــَ ، ـــُ ، ـــِ) أبعاضا لحروف المدّ واللين ؛ لأن مخرجها واحد، ولكنها تختلف في مقدار مد الصوت الذي يكون أقصر زمنا في الحركات وأطول منه في حروف المد "[4]

وقد قرروا أيضا أن أثقل الحركات الضمة ثم الكسرة ثم الفتحة، ونقلوا ذلك عن الخليل بن أحمد. [5]

لقد وجد بالإحصاء أن الصوائت متعددة ومتنوعة، ولعل في هذا التنوع ما يبرر تلون الإيقاع في سورة التوبة، ويمكن أن نتبين هذا التنوع من خلال الجدولين الآتيين:

---

1) السيوطي، جلال الدين (ت911هـ)، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ/1984، تحقيق : د.فايز ترحيني.ج1 ص194

2) ابن جني، الخصائص، ج 2 ص: 315 –316.

3) ينظر :المصدر السابق، ج1 ص191–195

4) زبير دراقي، محاضرات في فقه اللغة، ص65.

5) ينظر : السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ج1 ص202

عدد تواتر الصوائت	الفتحة القصيرة	الضمة القصيرة	الكسرة القصيرة
الأصوات الانفجارية	861	420	493
الأصوات الاحتكاكية	744	510	502
الأصوات المهموسة	853	727	482
الأصوات المجهورة	1591	857	946
المجموع	4049	2514	2423

إن قراءة بسيطة للجداول السابقة، تجعلنا نلاحظ أن النظام الصوتي لسورة التوبة يتميز بتنوع ظاهر، وتباين واضح، في مختلف المقاطع الصوتية التي تشكلها حروفه من تعدد مخارجها وتنوع صفاتها، ومن الإحصاءات السابقة نسجل الملاحظات الآتية:

أولا: ـــ نلاحظ من خلال الجدول الأول أن الأصوات الانفجارية (الشديدة) بلغ عدد تواترها 2130 مرة، وهي نسبة عالية، تتطلب جهدا صوتيا عاليا، ونفسا طويلا عند النطق بها، وما يبرر هذا التواتر الكبير للأصوات الانفجارية، أن السورة جاءت في صدرها بإعلان عام للبراءة من عهود المشركين، وتأجيل جميعهم أربعة أشهر[1]، فناسب أن يعلن أمر بهذه الشدة بأصوات شديدة تدل على قوة القرار والعزم على تنفيذه من غير لين أو تسامح، فكانت الأصوات الانفجارية الشديدة تصل الآذان وتسبق المعاني فتهيئ النفوس لاستقبال هذه البراءة من جميع العهود مع المشركين دفعة واحدة، وتعلن الحرب عليهم وعلى أعوانهم من المنافقين الذين يوالونهم من داخل الصف الإسلامي.

وما يبرر هذا التواتر المكثف ـــ أيضا ـــ هو ما جاءت به السورة من كشف أحوال المنافقين وصفاتهم، وفضح مكايدهم وأخلاقهم، والرد

1)ينظر : ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3 ص4.

على أقاويلهم الآثمة وأعمالهم البغيضة، وهو الأمر الذي لم يكن يعهده المنافقون من قبل، فقد كانوا يعاملون ببعض الرفق واللين حملا على ظاهرهم وعدم المؤاخذة الصريحة بما تكنه صدورهم، ولكن هذه السورة جاءت بالشدة والغلظة عليهم، وأمرت النبي ﷺ بذلك، كما جاء في قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[التوبة:73]، ومن هنا فإن هذه المادة الصوتية المكثفة من الأصوات الانفجارية الشديدة، تناسب سياقات السورة، التي لم تخل في الغالب من الحملة على المشركين و المنافقين، مما يتطلب نوعا من الغلظة والشدة في نطق الكلمات و الحروف وهو الأمر الذي يكون أكثر وقعا على المنافقين .

ثانيا ــ يبين جدول الأصوات الانفجارية (الشديدة) أيضا أن صوت الهمزة، هو أكثر الأصوات هيمنة، حيث قد تكررت 589 مرة توزعت من خلال السورة توزيعا مناسبا لأغراض الآيات وموضوعاتها. ولعل السر في تكرارها هو التوافق الذي نلمسه في الحديث عن المنافقين الذين من صفاتهم التردد والتذبذب، وعدم الثبات على أمر، وبين صوت الهمزة الذي يتصف بهذا الوصف فهو " صوت غير مستقر، لا يأخذ شكلا معينا محددا "[1]والنفاق حركة تنشط ضد تيار الإيمان، فلا تتحرك إلا في الخفاء، ولا تحيا إلا بمشقة وصوت الهمزة يتصف بهذه الضدية، فإن " نطقها يحدث بعملية ضد عملية التنفس "[2].

1) د. شوقي النجار، الهمزة مشكلاتها وعلاجها، ص11

2) المرجع نفسه، ص17

فإذا انضاف إلى هذا المعنى الصوت الجرسي الذي يحدثه صوت الهمزة[1] تم الانسجام والتناسق مع معاني الإنذار للمشركين في أوائل السورة والتحذير والتقريع للمنافقين في بقيتها، يتخلل ذلك دوي الأصوات الانفجارية يتقدمها الصوت الجرسي للهمزة، فتكاد السورة تقتلع القلوب التي في الصدور، وتكشف المخبوء والمستور.

ثالثا:ـ يظهر الجدول المتضمن للأصوات الاحتكاكية أنه يبلغ مجموعها في السورة 2095 صوتا، وهو عدد يقارب عدد تواتر الأصوات الانفجارية، مما يدل على وجود بعض التوازي في الخطاب، يترك مجالا للتنفس ووقتا للتدبر، وهو أمر يناسب سياق السورة في تصوير المنافقين، ودعوتهم للتوبة وحثهم على الاستغفار[2].

رابعا:ـ يلاحظ من خلال الجدولين الثالث والرابع أن الأصوات المجهورة تفوق ضعف الأصوات المهموسة في التواتر، (6321 صوتا مجهورا مقابل 3161 صوتا مهموسا) ولذلك تفسيره الذي يناسب السورة وأغراضها في فضح المنافقين وكشف وأستارهم، فذلك يحتاج إلى الاستعانة بأصوات تقرع الأذان قرعا وتهز الضمائر هزا، فإن مقام المواجهة الحاسمة الذي أعلنته السورة من أولها إلى آخرها، وترتيبها الزمني في النزول، وطبيعة المتغيرات على الأمة الاسلامية الفتية، مع ما رافق نزول السورة وسابقها من أحداث ومتغيرات دولية واجتماعية، تفرض

---

1) ينظر :د.عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص 184-185.

2) قد ثبت في السيرة أن بعض من كان يوصف بالنفاق تاب وحسنت توبته، منهم الجلاس بن سويد بن صامت. ينظر : ابن هشام أبو محمد عبد الملك المعافري ت213هـ، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، تعليق:طه عبد الرءوف سعد، ط1987، ج4/ص145.

مثل هذه المواجهة والمقارعة، فلم يعد الاسلام ضعيفا كما كان قبل غزوة بدر، وليس في حاجة إلى مهادنة أحد كما كان قبل فتح مكة، ولا التسامح مع المنافقين كما كان يفعل قبل غزوة تبوك[1] قال ابن عاشور: " وإنّما كان النبي ممسكاً عن قتلهم سَدّا لذريعة دخول الشكّ في الأمان على الداخلين في الإسلام كما قال لعُمر: ﴿**لا يتحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه**﴾[2] لأنّ العامّة والغائبين عن المدينة لا يَبْلغون بعلمهم إلى معرفة حقائق الأمور الجارية بالمدينة، فيستطيع دعاة الفتنة أن يشوّهوا الأعمال النافعة بما فيها من صورة بشيعة عند من لا يعلم الحقيقة، فلمّا كثر الداخلون في الإسلام واشتهر من أمان المسلمين ما لا شكّ معه في وفاء المسلمين، وشاع من أمر المنافقين وخيانتهم ما تسامعتْه القبائل وتحقّقه المسلم والكافر، تمحّضت المصلحة في استئصال شافتهم، وانتفت ذريعة تطرّق الشكّ في أمان المسلمين "[3].

وإذا علمنا أن الرسول ﷺ أمر أن ينادى بسورة التوبة في موسم الحج، الذي حضره جمع كثير، لا يقل عن ثلاثين ألف حاج، وهو العدد الذي حضر في غزوة تبوك[4]، وقد حضر إلى جانب هذا الجمع الغفير من المسلمين، جمع كثير من العرب المشركين الذين كان لهم عهد مع المسلمين من يوم صلح الحديبية،

---

1) لم يثبت أن الرسول ﷺ قبل غزوة تبوك عاقب أحدا ممن ارتكب عملا يدل على النفاق، وكان يقول لأصحابه معتذرا عن عدم قتل أحد المنافقين وهو عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة بني المطلق : " فقال: فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟ "، وقال لابنه لما جاءه يسأله إن أراد قتل أبيه فهو من يتولاه حتى لا يقتله غيره، فيثأر لأبيه، فيقتل مسلما بكافر فقال الرسول ﷺ : ﴿ لنترفق به و نحسن صحبته ما بقي معنا ﴾. ينظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ج3/ص183 –184.

2)ينظر:صحيح البخاري، ج4ص1863.

3)ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج10ص266–267

4) ينظر : صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص513

مثل بني ضمرة من كنانة[1]. يتبين لنا أن هذه المهمة وهي مهمة إبلاغ جميع العرب الحاضرين وإسماعهم صدر براءة، تحتاج إلى أصوات جهيرة قوية، فناسب ذلك أن يطغى على ملامح السورة بروز الأصوات المجهورة، ويفسر ذلك أيضا ما فعله النبي ﷺ، حين أرسل خلف أبي بكر –رضي الله عنه – وهو أمير الجيش والحج –، رجلا آخر وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذو الصوت الجهوري، فإن المعروف عن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان ضعيف الصوت[2]، فلا يمكنه أن يتولى مهمة إبلاغ أحكام سورة براءة بقوتها وشدتها وحده، ولهذا السبب اختار رسول الله ﷺ عليا بن أبي طالب رضي الله عنه ليقوم بوظيفة إسماع كل العرب الحاضرين موسم الحج[3]، وقد قام علي رضي الله عنه بهذه المهمة، حيث " أذن بها يوم عرفة إثر خطبة أبي بكر، ثم رأى أنه لم يعلم الناس بالإسماع فتتبعهم بالأذان بها يوم النحر، وفي ذلك اليوم بعث معه أبو بكر من يعينه بالأذان بها كأبي هريرة وغيره، وتتبعوا بها أيضا أسواق العرب كذي المجاز وغيره."[4]

والملاحظ أيضا من صوت اللام أنه كان أكثر الأصوات تواترا، وهو ما ينسجم مع الاستعمال القرآني لهذا الصوت، فهو أكثر الحروف استعمالا في القرآن الكريم، بعد حرف الراء، كما لاحظ ذلك الفيروزآبادي في لطائفه[5]. ولا غرابة في الأمر إذا علمنا ـــ حسب دراسة حاسوبية حديثة أن "أكثر الحروف

---

1) ينظر : ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3ص5.

2) ينظر : ما جاء في قصة وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، ووصف عائشة لأبي بكر رضي الله عنهما.ينظر : ابن هشام :السيرة النبوية، ج4/ص221.

3)هذا التوجيه يجعلنا في غنى عن الوقوع في فخ الغلو في المفاضلة بين الصحابة كما يفعل ذلك الشيعة الإمامية، حيث استدلوا بهذه الحادثة وقول النبي ﷺ : " لا يبلغ عني إلا رجل مني " على أولوية علي بالخلافة، وهو استنتاج عقيم وراءه تأويل أثيم.

4) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3ص5.

5) ينظر : الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1/ص563–566

دورانا في الكلام العربي هو الراء واللام والنون و الباء والميم ثم العين والقاف والدال والفاء والسين "[1]

خامسا: ـــ نلاحظ الجدول الخامس المتضمن الأصوات المفخمة والمرققة، فيتبين من خلال حاصل مجموع الحالات أنه يوجد تباين ظاهر بين الأصوات المفخمة حيث بلغ مجموعها 1529 صوتا و بلغ مجموع الأصوات المرققة 8388 صوتا. فالأصوات المفخمة في سورة التوبة يمكننا أن نستشعر منها تلك الحالة النفسية التي يكون عليها المنافقون من التعاظم، كما يدل على ذلك التفخيم في اللغة، وقد صورت السورة المنافقين وهم في مؤخرة الصفوف يتثاقلون عن الجهاد في سبيل الله ويتراجعون عن نصرة الحق، للتضييق عليه وتخذيل أهله، وهو ما ينسجم مع الأصوات المفخمة "فالتفخيم هو الأثر السمعي الناشئ عن تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت "[2].

ولما كانت هذه الصفات السلبية من التعاظم والتراجع والتواجد في المؤخرة، والتضييق، من صفات الأصوات المفخمة التي تنسجم مع صفات المنافقين، جاءت الأصوات المرققة تفوقها عددا، لتظهر أن المنافقين ـــ رغم خطر أعمالهم وسوء أخلاقهم ـــ فإنما هم قلة لا أثر لها وأن الغلبة في الأخير لهذا الدين وأوليائه: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[التوبة:32]

سادسا:ـــ الملاحظ من الجداول السابقة أن النظام الصوتي لسورة التوبة يتشكل من مجموعة من الثنائيات المتقابلة، فالأصوات الانفجارية تقابلها

1)د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات،دار الفكر، دمشق، 1999، ص 129.

2)عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي، ص 145.

الأصوات الاحتكاكية، والأصوات المجهورة تقابلها الأصوات المهموسة، والأصوات المفخمة تقابلها الأصوات المرققة، كل ذلك في تناغم وتناسق بديع، يدركه السمع، وتبصره العين، ويعيه القلب ويعجز اللسان عن وصفه، أو بيان حقيقته وكنهه.

سابعا:ـــ إن قراءة بسيطة لجدول تواتر الصوائت، يبين تعدد الصوائت وتنوعها ولعلّه يبرر التلون الموسيقي في سورة التوبة، حيث يظهر تقابل الحركات القصيرة بين الفتحة والضمة والكسرة، تغيرا صوتيا، ينشأ من تنوع في المعنى، تبعا لتعدد المواقف والأحداث.

ويمكننا أن نلحظ من الجدول المشار إليه طغيان حركة الفتحة (4049 صوتا) مقابل حركة الضمة (2514 صوتا) وحركة الكسرة (2423 صوتا)، ولهذا الطغيان ما يفسره، حيث إن حركة الفتحة فيها مدّ و سِعة في مخرجها وسهولة في نطقها، فالسورة تهاجم المشركين والمنافقين وتحمل عليهم حملة واسعة في كل جانب ومن كل اتجاه، والفتحة أقرب الحركات لتيسير هذا الهجوم ورفع رايته.

ولعلّ هذه الخفة التي أنشأتها حركة الفتحة بتواترها المكثف، جاءت لتناسب السياق العام للسورة الذي يدعوا إلى النفير إلى الجهاد، ويحرض على قتال أعداء الدين من المشركين وأهل الكتاب الذين لا يدينون دين الحق، ولايحرمون ما حرم الله، وفي الوقت نفسه يوبخ المتثاقلين، فالسورة في مجموعها دعوة للثورة على أوضاع الكفر والكافرين في كل مكان ولو كان ذلك في أقصى البلاد(تبوك)، وهو أمر يحتم خفة الحركة والإسراع في النفور، ويحتم أن تكون الأصوات الداعية لذلك بمثل خفته في الحركات، دون إغفال الحملة على

المتثاقلين، فيذكرون بما يتلبسون به، فالكلام من جنس العمل، كما قيل في الجزاء من جنس العمل.

إنه من خلال الجداول السابقة يتبن لنا أن التشكيل الصوتي[1] في السورة، يظهر نظاما منسجما للأصوات وإن اختلفت أو جاءت بصورة ثنائيات متقابلة، فهي تؤدي مجتمعة وظيفة دلالية واحدة، تخدم السياق العام للسورة وموضوعاتها الرئيسة، وسنحاول الوقوف على هذه القيمة الدلالية من خلال عرض المبحث الآتي.

ثانيا:ــ القيمة الدلالية للأصوات:

يهدف هذا المبحث إلى إبراز تكرار الصوت المفرد وعلاقته بالمعنى وما يتولد عن ذلك من وظائف نغمية وإيقاعية.

يقول الرافعي: " ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية و اللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضا، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذب و لا تستساغ وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأنا عجيبا، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقا في اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا

1) هو ما يقصد بعلم الأصوات التشكيلي أو (الفونولوجيا) الذ ي هو :" علم لساني يختص بدرس أصوات لغة معينة للوصول إلى طرق ائتلافها ونظام تركيبها وما يتصل بذلك من فروق " ينظر:د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 95

خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة."[1]

إن الإيقاع الداخلي ينبعث من استخدام "التكرار"[2]، فهو يجمع بين مظاهر متعددة، ابتداء من الصوت فالكلمة فالعبارة، كما أن هناك مظاهر تتعلق بعلم البديع كالترصيع والإرداف، ولذلك سنركز في دراستنا على التكرار فهو الجامع لكل هذه المظاهر مع الإشارة إلى قيمته الإيقاعية والدلالية.

ويكون التكرار على مستوى الصوت ـــ وهو ما تناولنا جزءاً منه في تكرار الحروف الصوامت والصوائت ـــ كما يكون على مستوى الكلمة أو العبارة أو البنية التركيبية.

وسننطلق من نماذج محددة لكل مستوى من هذه المستويات الإيقاعية لنتبين حضوره في سورة التوبة وماله من دور تنغيمي ومعنوي في تصوير المنافقين وفضح مكائدهم.

إن ظاهرة التكرار في سورة التوبة لها ثلاث مستويات بدءاً بالحرف فالكلمة فالجملة أو الآية وحتى المقطع أحياناً، وكلها تثري الموسيقى الإيقاعية للنص، وسنرى من خلال نماذج محددة دور الموسيقى الداخلية في بناء إيقاع النص وتعويض الموسيقى الخارجية أحياناً.

---

1) الرافعي، إعجاز القرآن، ص 227

2) التكرار ليس من الإطناب، ومن الخطأ اعتقاد ذلك ؛ فإن تكرار اللفظ في القرآن، إنما يأتي لبيان معنى جديد، وتصوير جديد، وفكرة جديدة. ينظر : محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، دار الفكر العربي، بيروت (د.ت)، ص290.

1-مستوى الأصوات (الحروف):

ستكون وجهتنا في دراسة تكرار الأصوات في سورة التوبة مرتكزة على الوصف الموضوعي والقياس الكمي للوحدات الصوتية، فإن السورة في استخدامها لبعض الأصوات وتكرارها تعمد إلى تصوير بعض مواقف المنافقين وتشخصيها، بما تحمله هذه الأصوات من طاقات نغمية وشحنات إيقاعية بمقدورها إضفاء بعض الأجواء النفسية والظلال الموحية على المعنى.

ومن خلال الإحصاء الحاسوبي لسورة التوبة، نتبين أن أكثر الأصوات بروزا هو صوت اللام إذ تواتر 1347 مرة وهي نسبة مرتفعة بالمقارنة مع غيرها من الحروف، وقد استخدم صوت اللام بصورة واضحة في مثل هذه الآيات:

ـــ قوله ﷻ: ﴿ وَلَو أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[التوبة:46-47]

فقد جاء حرف اللام متواترا في هاتين الآيتين اثنتين وعشرين مرة، وهذا الحرف مخرجه عند اعتماد طرف اللسان على أصول الثنايا العليا بحيث تنشأ عقبة في وسط الفم مع ترك منفذ للهواء عن إحدى حافتي اللسان، وهو ما ينسجم تمام الانسجام مع وصف الآية للمنافقين في تباطئهم وترك الإعداد عقبة في عدم الخروج، وزاد على ذلك أن الله كره انبعاثهم، فتثاقلوا لما عدم خروجهم من المصلحة للمؤمنين، وقد صوّر هذا المعنى من التثبيط، كل من حرفي الثاء والقاف،

فهما من الحروف التي فيها ثقل[1] ومن الأصوات الاحتكاكية أو الرخوة في اصطلاح المتقدمين، "فمصدر الرخاوة هو ما يجده الهواء من انفتاح في مجراه من غير انسداد رغم ما فيه من ضيق، ومصدر الاحتكاك، هو مرور الهواء محتكا بالعضوين اللذين سببا تضييقا في مجراه دون انفجار "[2]. وهذا المعنى الوظيفي يتحقق في الثاء، وفي تأثيرها لدلالة كلمة "انبعاثهم"، وفي دلالة: "ثبطهم " وما تصورانه من الإقبال والإدبار، والإقدام والتراجع في آن واحد، فهم في حقيقة الأمر قادرون على الخروج (انبعاث)، ولكنهم قاعدون مثبطون (فثبطهم)، ولذلك جاءت القاف بعدها لتؤكد معنى التثاقل، فتكررت في ثلاث كلمات متتابعة: (قيل – اقعدوا –القاعدين). ولحكمة معينة، جاءت هذه الكلمات بهذا التتابع، والتواتر لحرف القاف، ولعل ذلك لإبراز معنى التثاقل وتأكيده في تصوير المنافقين.

-قوله ﷻ:﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَو يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[التوبة:56-57]

تصور الآيتان المنافقين في غاية الجبن والهلع والحيرة والاضطراب وهم يبحثون عن مفر لهم من مقارعة الموت والحق، وتتداخل هذه المشاهد كلها في إيقاع رهيب يتناسب مع الموقف وفي الوقت نفسه تثير السخرية والتهكم

1)ولذلك كانت الثاء من الحروف التي يقل العرب من استعمالها في كلامهم، قال السيوطي :"قال(يعني ابن دريد): واعلم أن أكثر الحروف استعمالا عند العرب الواو والياء والهمزة وأقل ما يستعملون على ألسنتهم لثقلها الظاء ثم الذال ثم الثاء ثم الشين ثم القاف ثم الخاء ثم العين ثم النون ثم اللام ثم الراء ثم الباء ثم الميم فأخف هذه الحروف كلها ما استعملته العرب في أصول أبنيتهم من الزوائد لاختلاف المعنى" ينظر :السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج 1 ص 155.

2) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 77.

بالمنافقين[1]. والملاحظ أن بعض الحروف المجهورة هيمنت في تراكيب الآيتين لتصوير هذه المشاهد المتتابعة في صورة واحدة من صور المنافقين، فاللام جاءت 12مرة، والنون10مرات، والميم 14مرة، والواو 14مرة، وقد عضد تصوير هذا المعنى كل من حرفي الواو والقاف الذين ذكرا في كلمة "يفرقون " التي لا نظير لها في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع، والفَرَق معناه الخوف الشديد [2]، والواو تكررت في هذا الموضع 14مرة، والقاف وإن تواترت مرتين فقط في كلمتين إلا أنها أحدثت في تضامها مع الواو إيقاعا قويا تصطك له الأسنان وترتعد له الفرائص.

ولما كانت هذه الصورة تقوم على الخوف والرعب فإن الحروف المجهورة جاءت لتقرع بإيقاعها الشديد الآذان، وتخترق حجب الزمان والمكان، فترى المنافقين بخيالك يفرون في كل جانب يبحثون عن مأوى لهم، مسرعين خائفين، مصممين غير منثنين[3]، وهومعنى لفظ: يجمحون، وهذا اللفظ أيضا لم يرد في القرآن الكريم في غير هذا الموضع، لأنه يجمع مع معنى الإسراع والنفور معنى الخوف الذي ترمي الآية به تصوير حال المنافقين، فهم "لخوفهم من الخروج إلى الغزو لو وجدوا مكانا مما يختفي فيه المختفي فلا يشعر به الناس لقصدوه مسرعين خشية أن يعزم عليهم الخروج إلى الغزو "[4].

ـــ قوله ﷻ: ﴿ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[التوبة:48].

---

1)ينظر: عبد الحليم حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط**1987**، ص**320**-.**327**

2)ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، **1973**،ج**10**ص**230**

3)المصدر نفسه، ج**10**ص**231**.

4)المصدر نفسه.

يمكننا أن نلحظ –مثلا– تواتر اللام في هذه الآية بتتابع يثير الانتباه، فنرى اللام تؤدي وظيفة نغمية، منسجمة مع الدلالات الخاصة لهذه الآية، والدلالات العامة للسورة، فترى بعينيك وتسمع بأذنيك حركة المنافقين في تقلبهم وفتنتهم للرسول والمسلمين في كل أمر من الأمور، فترى "اللام" تلوى الأخرى، تعزف موسيقى الإباء والتمرد، تبدأ الآية بلام للتوكيد، وتُذكّر بالفتنة المعهودة من المنافقين، منذ غزوة أحد، وما فعله كبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول من تخذيل المسلمين بانصرافه ومن معه، ثم تأتي لام أخرى لتؤدي بجناس بديع بين كلمتين متقاربتين، معنى التقليب بقوة في (قلّبوا) "بتشديد اللام مضاعف قلب المخفف، والمضاعفة للدلالة على قوة الفعل"[1].

وفي الوقت نفسه تؤدي معنى الثبات والاستمرار في (قبل) للأمر السابق، المعهود في المنافقين، وتأتي لام أخرى للتعليل[2]في قوله: (لَلـك) لتعلل هذا التقليب السابق، والفتنة المعهودة، بأنها لأجل إضعاف المسلمين، بإثارة الفتنة بينهم، وباللجوء إلى كل أمر من شأنه خلخلة صفوفهم، وتخذيلهم، سواء علم المسلمون ذلك أو خفي عنهم، وقد ساعد في إبراز هذا المعنى، صوت اللام في كلمة الأمور، التي هي للجنس "أي أمورا تعرفون بعضها، ولا تعرفون بعضا"[3].

لقد أدَّت اللام في سورة التوبة في آيات كثيرة منها دورا صوتيا ودلاليـــا، يصور حقيقة المنافقين الكامنة خلف صورهم الظاهرة، فأبرزت ذلك التنـــاقض العجيب بين خضوع الأجساد والانقياد العلني، وبين ذلـــك الإبـــاء والتمـــرد

1)المصدر السابق، ج10 ص 219

2) المصدر نفسه .

3)المصدر نفسه ، ج10ص220

والإعراض الخفي، الذي لا يمكن أن يخفى دائما، بل تظهره فلتات الألسن، ونظرات الأعين، والمواقف المخزية، في كل مرحلة من مراحل الدعوة.

وختاما لهذا المبحث يمكننا القول بأن مخارج الأصوات وصفاتها على كثرتها واختلاف طاقاتها النغمية، فهي تشكل نظاما صوتيا متميزا، يوافق الأغراض العامة للسورة من تصوير المنافقين بأدق الصور وأكثرها تأثيرا ليس في المعنى فحسب، بل في تواتر الحروف ووضعها في سياقات مختلفة، وتناغمها وإيقاعها، ولأن المقام لا يسعنا أن نستعرض جميع مخارج الحروف وصفاتها، فإن الإشارة إلى بعضها تفي بالغرض.

2ـ مستوى الكلمة:

الكلمات هي صور المعاني ومبانيها، ومنها تتألف العبارات والجمل، وتعرف بها الأصوات والدلالات، وقد تؤدي كلمة واحدة بإيقاعها، دور جملة أو صفحات، وقد يؤلف الناظم أو الناثر، قصيدته أو نثره لأجل كلمات بعينها، فتراها في وسط الكلام بين غيرها من العبارات كاللؤلؤة في وسط الركام.

وإن كان الشعراء والبلغاء يأتون بألفاظ بعينها، لتؤدي وظائف إيقاعية، ودلالات صوتية، ولو كان ذلك على حساب المعنى، فإن النص القرآني يتنزه عن ذلك، فهو مع ما يحتويه من دلالات ومعاني، فإن الإيقاع العذب والصوت المتناسق، يوازي المعاني والدلالات، بل هو الذي يوحي بها، ويخدمها طوعا من غير إكراه، وبيسر من غير تعسف.

فإذا كان هذا حال النص القرآني على وجه الإجمال، فإن سورة التوبة من أدلّ النماذج عليه، فهي في تصويرها للمنافقين في جميع أحوالهم، ترى ألفاظها تخدم بإيقاعها، وأجراسها الصوتية، كل معنى يناسبها، وكل مشهد يلائمها من

مشاهد المنافقين وأحوالهم. ويكفي للدلالة على ذلك أن نستعرض بعض النماذج من هذه السورة.

ـــــــ قولـــــه ﷻ:﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾[التوبة:47-49]

هذه الآيات تصور المنافقين في سعيهم الحثيث لإيقاع الفتنة في المسلمين، تارة بنشر النميمة بينهم، وتارة في تخذيلهم والانسحاب من الجيش المجهز للغزو، وتارة في إرادتهم اغتيال الرسولﷺ أو إذايته، وتارة في إذاية الرسولﷺ باللسان بالتعريض به أنه يريد فتنة أصحابه.

كل هذه المعاني صورتها كلمات بعينها، برزت بإيقاعها المتواتر، مثل كلمة: "الفتنة"، فقد تكررت في هذه الآيات الثلاث أربع مرات متتابعة، ولم تذكر في السورة كلها إلا خمس مرات، هذه الأربع، والخامسة في قوله عزوجل في آخر السورة:

﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [سورة التوبة:126]

وبالرجوع إلى المعنى اللغوي لكلمة الفتنة، نجد أن لها بـــضعا وعـــشرين معنى[1]، وجماعها كما قال الأزهري وغيره: " جِمَاعُ مَعْنَى الفِتْنَةِ في كلام العرب

1) ينظر هذه المعاني كلها عند ابن منظور، لسان العرب، مادة فتن، ج 13ص317-321

الابْتَلاءُ والامْتِحَانُ وأصلها مأخوذٌ من قولك: فَتَنْتُ الفِضّةَ والذَّهَبَ إذا أذبتهما بالنار ليتميز الرديء من الجَيِّد، وفي الصحاح: إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته."[1]، وقال ابن الأعرابي: " الفتنة الاختبار والفتنة المحنة والفتنة المال و الفتنة الأولاد و الفتنة الكفر و الفتنة اختلاف الناس بالآراء والفتنة الإحراق بالنار"[2].

وقال ابن الأثير: " وقد كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه ثم كثر حتى استعمل بمعنى الإثم والكفر والقتال والإحراق والإزالة والصرف عن الشيء"[3].

وعند تدبر معنى كلمة "الفتنة" في الآيات السابقة من سورة التوبة نجد أن لكل واحدة منها معنى يخصها، فالفتنة في قوله ﷻ: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ أي تفريق كلمتكم، واختلاف آرائكم، "بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم"[4]، والفتنة في قوله ﷻ: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ ﴾[التوبة:48] أي في تشتيت صفوف المسلمين، وقد سعوا في ذلك يوم أحد، كما فعل كبيرهم عبد الله بن أبي بن سلول حين انصرف ومن معه، وكانوا ليسوا بأقل العسكرين[5]. والفتنة في قوله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّى ﴾[التوبة:49] أي: لا تؤثمني، وقوله ﷻ: ﴿ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ﴾ [التوبة:49] أي ألا في الاثم وقعوا

1)المصدر السابق، مادة فتن.

2)المصدر نفسه.

3) المصدر السابق، مادة فتن.

4) الزمخشري، الكشاف، ج2ص194

5) ينظر:تفسيرالطبري، ج 10 ص148

وصاروا[1]، والفتنة في قوله ﷻ: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[التوبة:126] أي "يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم، ولا يذكرون، ولا يعتبرون، ولا ينظرون في أمرهم، أو يبتلون في الجهاد مع رسول الله ﷺ ويعاينون أمره وما يترل الله عليه من نصرته وتأييده. أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله ﷺ فيقتلهم وينكل بهم، ثم لا يترجرون"[2].

لقد وقع في الآيات السابقة التركيز على كلمة "فتنة"، ويصور هذا التركيز مسارعة المنافقين في إيقاع الفرقة بين المسلمين، وتهربهم من الوقوف إلى جانب الحق في ساعة العسرة، وتتكثف الأبعاد الدلالية والنفسية للكلمة لتجسد صورة المنافق صراحة وضمناً من خلال فواصل الآيات: (والله عليم بالظالمين)، (وهم كارهون)، (وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) فيبدأ الوصف بالظالمين، ليستقر بهم المقام في جهنم كافرين، وبين الظلم والكفر، الكره للحق وأهله.

فهي "فتنة"، تشق الصفوف، يعيش فيها المنافقون مطمئنين بظلمهم، ويعيش فيها المؤمنون في اضطراب وخبال، وقد استدعت هذه الثنائية البارزة في النص ثلاثية الزمن، خارج إطار النص، الماضي/ المستقبل/الحاضر، ماضي المنافقين الافتراضي ويضم: الحاضر والمستقبل (لو خرجوا) يعبر عن ماضي افتراضي، و(لأوضعوا...يبغونكم) يمثل: الحاضر الافتراضي +المستقبل.

1)ينظر:أبوعبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، ص261

2)الزمخشري، الكشاف، ج 2 ص222

إن هذه الآيات لتشعر القارئ لها بما كان يكيده المنافقون للنبي ﷺ ولأصحابه، حتى إنه ليرى تلك الفوضى والاضطراب الذي يمكن أن يحدث لو أنهم خرجوا كلهم[1] مع المؤمنين إلى غزوة تبوك، ولما كان أمر المكايد والدسائس مما يحرص أصحابه على إخفائه، جاءت كلمة "الفتنة" لتصور هذا المكر والخديعة، وفي الوقت نفسه تصور خفاءه بإيقاع خفي، وسريع، تؤديه حروف الكلمة: (الفاء والتاء والنون)، حيث إن الفاء والتاء من الحروف المهموسة، وسميت مهموسة " لضعفها وضعف الاعتماد عليها عند خروجها وجريان النفس معها"[2] وأما النون فهي من حروف الذلاقة، وسميت بذلك لخفتها في النطق وكثرة امتزاجها بغيرها[3]. وتبرز القيمة الموسيقية لكلمة "فتنة" في هذه الآيات من خلال التركيب الإسنادي في الحالات الأربع وهو ما ينشأ عنه إيقاع داخلي خاص يقوم على التوازي التركيبي وهو مساعد فني إيقاعي يكاد يمثل ظاهرة أسلوبية لسورة التوبة كلها.

وتلجأ السورة إلى استبدال كلمة "فتنة" ومشتقاتها بعد أن استنفدت طاقتها الإيقاعية والدلالية بكلمة "تصبك" الواردة في الآيات التي تتلوها لتعمق مقصدية النص وتجذرها أكثر في وجدان المتلقي فتتكرر هي الأخرى محكومة بثنائية الحسنة والسيئة، ثم تلجأ السورة إلى استخدام كلمة أخرى وهي: "تربص" فتتكرر في الآية نفسها بصيغ متقاربة شكلا ومعنى، (تربصون-نتربص-فتربصوا-

---

1) فقد خرج بعضهم، ،وقد هموا بفعل ما ذكره الله عنهم، ولكنهم لم ينالوا ما هموا به، كهمهم بقتل الرسول ﷺ على الثنية، كما حكى الله ﷻ ذلك عنهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾[سورة التوبة:74] .

2) أبو القاسم علي بن عثمان البغدادي، سراج القارئ المبتدئ، ص409

3) ينظر : أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 86

متربصون)، وهو ما يسميه بعض الدارسين المحدثين (المشاكلة اللفظية)[1]، وقد جاءت كلها بصيغة الجمع لتحافظ على إيقاع واحد، تصنعه تلك الصيغة.

إن الدلالة الصوتية لهذه الكلمة "الفتنة" تتطابق تماما مع الدلالة المعنوية لها وما تحمله الكلمات الواردة معها في السياق من دلالات، مثل: كلمة "لأوضعوا" من الإيضاع وهو سرعة السير، وقرأ مجاهد "ولأوفضوا"، وحكي عن الزبير أنه قرأ " ولأرفضوا" وكلاهما بمعنى الإسراع أيضا[2]. ومثلها كلمة: "سمَّاعون" فهي تطلق على الجواسيس[3]، وشأنهم أنهم يستمعون الأخبار، ويسرعون في نقلها خفية. وقد نقل تفسيرها بهذا المعنى في هذه السورة عن جماعة من التابعين ورجَّح ذلك الطبري، قال ابن عطية: "وقال جمهور المفسرين معناه وفيكم مطيعون سامعون لهم"[4].

ومن المواضع التي يجد لها القارئ صدى صوتيا، وإيقاعا مميزا، وبروزا نغميا، ينسجم مع التصوير التشخيصي للمنافقين، قوله ﷻ: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [التوبة:81-82]

يلاحظ كيف صوّرت الآيتان المنافقين في تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله، وفرحهم بذلك، بإيقاع ثقيل كثيف، يناسب موقف التخلف، وقد ساعد في إبراز

---

1)ينظر: أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، ص255-270.

2) ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3ص41

3) ينظر : المصدر نفسه.

4) المصدر نفسه.

هذه الصورة، استخدام مادة: (خ ل ف) بالتجنيس المماثل[1]: (المخلفون ـــ خلاف)، وبالإيقاع الذي أحدثه المصدر[2]: (مقعدهم) لتأكيد معنى التخلف، والإشعار بعظم الجرم، ولتحقير شأن فاعله، وإضافة المقعد للمخالفين زيادة في نسبة المعصية لهم، كل هذه المعاني نشأت من وقع الألفاظ الرتيبة في تسلسها، القوية في وقعها، وقد حملت حروفها هذه الشحنة، فالقاف والدال من الحروف الانفجارية الشديدة، والصوت الانفجاري يحدث عبر مراحل:

1-اتصال عضوين من أعضاء النطق لسد مجرى الهواء وحبسه.2-توقف الهواء خلف حاجز السد والإغلاق.3-انفصال العضوين الحاصرين فجأة وتسريح الهواء[3].

إن الصوت الانفجاري يساعد بإيقاعه في تصوير المنافقين وهم تحبسهم المطامع الدنيوية، فيتخلفون عن الخروج للجهاد، وإذا رأوا عرضا دنيويا قريبا أسرعوا في الخروج إليه واغتنامه بقوة وشدة.

وفي الآية تجنيس مماثل آخر في قوله ﷻ: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ ﴾ [سورة التوبة:81]

فقد ذكر الحرّ في الآية مرتين، فذكر الأولى على سبيل حكاية أقوال المنافقين، مما يصور أنانيتهم المفرطة، وحبهم لذواتهم، وتفضيلها على حب الله

---

1) التجنيس ويقال له الجناس أو التجانس أو المجانسة وهو "أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفا في المعنى، وهو نوعان : تام وغير تام، فالتام هو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة : نوع الحروف، وشكلها، وعددها، وترتيبها، وغير التام : هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة." ينظر : السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م، ص325 والتجنيس المماثل هو : " أن يكون من اسمين أو فعلين " ينظر : ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص240-242.

2)ينظر دلالات التعقيب المصدري، ابن القيم، الفوائد المشوق، ص181

3)ينظر : أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص 76-77

ورسوله، والثانية خطاب على سبيل التذكير والوعيد بنار جهنم، ووضع المقارنة بين الحرين، حر الشمس وحر جهنم، وشتان بينهما، وقد ساعد في إبراز هـــذا المعنى الإيقاع الحار الذي أحدثه لفظ الحر، وتكراره في الموضـــعين، والتـــوازي المقطعي بين كلمة "حرّ"(متحرك، ساكن، متحرك) وكلمة: نارُ(متحرك، ساكن، متحرك)، والتماثل في المد والحرف الأخير من كل كلمة، يزيد في هذا الإيقاع انسجاما، ويسرع بالرد على مقولتهم الآثمة، ويغير المعادلة من عدم النفور في حرّ الشمس إلى النفور من نار أشد من حرّ الشمس.

3ـــ مستوى الجملة:

إدراك الدلالات الصوتية للجمل القرآنية والوقوف على أساليبها لا يختلف كثيرا في منهج الدراسة عن إدراك الدلالات الصوتية للحروف والكلمات. ذلك بأن الجمل إنما تتركب من هذه ومن تلك، وإذا وقفنا على ظاهرة صوتية معينة في الحروف والكلمات، فلا يبعد في الغالب أن تتواجد هي الأخرى في العبارت والصيغ.

قال عمر السلامي:"إن لصيغة التعبير من حيث الدقة وحسن الاختيار، والإحكام وقوة السبك، وجمال التناسق – الأثر في إحداث الإيقاع داخل العبارة، وإن مفردات العبارة خاصة التي تحمل دلالات تنسجم ودلالة العبارة بوجه عام – تكيف نغمة الإيقاع، وتحيله إلى طابع موسيقي، يتناسب ونوع تموجات الإيقاع داخل العبارة."[1]

وللوقوف على بعض هذه الدلالات، لابد لنا من مدارسة بعض الجمل والصيغ، ذات التواتر الكثيف، والنظر في تزاحم معانيها، وما توجده من إيقاع

(1) عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس 1980.ص 240

ونغم بتكرارها. فإن "التراص في صيغة التعبير، وتزاحم المعاني في الآية، والجرس الذي ينبعث عند الترديد، والضغط الذي ينصب على النفس من كل جانب، ذلك الذي يكاد من أجله يتعثر اللسان، وأن الحروف بحركاتها وهي تعلو وتنخفض، ويمتد اللسان ويتقلص تبعا لعلوها وانخفاضها، تحدث إيقاعا، لو اقتصرنا عليه، لاهتدينا إلى المعنى."[1]

يعد الطباق من أكثر التقنيات الدلالية توافقا التي تولد التوازنات الصوتية والإيقاعات المتناسقة، وقد حدّده علماء البلاغة بأنه: " الجمع بين الشيئ وضده في الكلام "[2]

وقد لا يعنينا من أمر الطباق إلا ما تعلق بالجانب الصوتي، فننظر في الأطراف المتقابلة وكيفية اسجامها إيقاعيا، ذلك بأن سورة التوبة تتخذ من تعادل الأطراف وأجزاء تقابلها سندا في بيان مكونات الوحدة اللغوية للآيات.

ومما يلاحظ أن الدلالات المتقابلة في سورة التوبة، يتولد عنها تضاد إيقاعي يرتكز في الأساس على التقابل بين الأزواج المتضادة، فيحدث انسجاما إيقاعيا وصوتيا.

ومن أقرب النماذج المعبرة عن ازدواج في تضاد الطرفين، قوله ﷻ:

﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ ﴾

فمن هنا نلاحظ أن البنية اللغوية لهذا الجزء من الآية اشتملت على عنصرين موزعين على بنيتين متباينتين:

بالله ما قالوا ≠ ولقد قالوا

---

(1) المرجع نفسه ص **241**.

2)السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص**301**

إن التقابل المزدوج بين طرفي هذا التركيب الثنائي، جاء متحدا صوتيا وإيقاعيا، ومتباينا دلاليا، ومن هذا التقابل الصوتي والإيقاعي والتضاد الدلالي يتولد التناسب الصوتي.

والملاحظ أن حرف النفي "ما"، و حرف التوكيد "قد" في هذين الزوجين المتقابلين، هما اللذان ولدا دلالة التضاد، وقد ساعد على التقابل والإيقاع بين البنيتين الاتفاق البنيوي للفعلين.فالمقابلة التي تمت في هذه الآية كانت من جنس مقابلة طرف بضده من حيث لفظه ومعناه. قال ابن عاشور: " وأكَّد صدور كلمة الكفر منهم، في مقابلة تأكيدهم نفي صدورها، بصيغة القَسم ليكون تكذيب قولهم مساوياً لقولهم في التأكيد."[1]

ومن أنواع التقابل بين الأطراف المتضادة، قوله ﷻ: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

يقوم هذا الضرب من الأزواج المتقابلة على تشكيلتين إيقاعيتين هما:

فليضحكوا ≠ وليبكوا

قليلا ≠ كثيرا

إذا أردنا معرفة كيفية حدوث هذا الإيقاع المتوازن في الآية، نجد أن المغايرة بين الطرفين استندت إلى التمييز بين الأمرين (فليضحكوا، وليبكوا)، ولعل لام الأمر بشحنته القوية كان مولدا لهذا الإيقاع، حيث نلاحظ تباينا إيقاعيا بين الطرفين (فليضحكوا، وليبكوا)، كما يمكن ملاحظة التجانس الإيقاعي بين العنصرين: قليلا≠كثيرا.

1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص268

وللوقوف أكثر على هذا النوع من التقابل، يمكننا تمثيله بمعادلة حسابية، لأن أساس المغايرة الإيقاعية هو المقياس الكمي الذي قصدته الآية، فإننا نجد ما يلي:

فليضحوا ----------سلبي من حيث دلالته في السياق، فهو تفريع كلام على الكلام السابق من ذكر فرحهم بتخلفهم وكذبهم[1]،وهو إيجابي من حيث دلالته المفردة (أي فليضحكوا ضحكا)

قليلا ----------سلبي من حيث الكم.

فليبكوا ---------- سلبي من حيث دلالته المعنوية.(أي فليبكوا بكاء)

كثيرا ---------- سلبي من حيث المعنى وإيجابي من حيث الكم.

وبالتالي يُكوّن مجموع هذه العناصر السلبية هذا التكثيف الإيقاعي والدلالي، فالآية كما يبدو اتخذت من تقابل وحدتين إيقاعيتين وسيلة لتقابل عناصر دلالية سلبا، وقد ناسب الإيقاع بنغمته المتوازنة في (قليلا=كثيرا) دلالة التماثل بين الطرفين من حيث الكم، إذ نلمح تماثلا إيقاعيا بين العنصرين:

قليلا : ق ـــَ /ل ـــِ ي/ل ـــَ نْ/

كثيرا: كـــ ـــَ /ث ـــِ ي/ر ـــَ نْ/

والملاحظ هنا أن كلا من صوتي القاف والكاف هما من الأصوات الانفجارية الشديدة، وقد جاءا في أول كل كلمة، وأن صوت اللام والراء هما من الأصوات المجهورة، فناسبت العبارات بأصواتها الانفجارية والمجهورة حالتي الضحك والبكاء، لتضفي دلالة أخرى عليهما غير الكثرة والقلة وهي الشدة والقوة، فترة

1) ينظر:المصدر نفسه، ص281-282

المنافقين في الدنيا قد فرحوا بتخلفهم وكذبهم على الرسول وضحكوا لما فعلوه ضحكا صاخبا، انفجرت فيه حناجرهم، وإن قليلا إذا قورن ببكائهم يوم القيامة في النا حسرة وألما بكاء شديدا قويا كثيرا، لا يعلم مداه إلا الله ﷻ:﴿ جَزَآءُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[التوبة:82].

نصل في الختام إلى أن بعض الظواهر الأسلوبية كالتكرار و التجنيس و المطابقة والتقابل -إن على مستوى الصوت أو الكلمة أو الآية –فقد لعبت دوراً بارزاً في التشكيل الجمالي والتصوير الفني للمنافقين باعتبارهم أخطر النماذج الإنسانية التي رصدها القرآن الكريم وعني بتصويرها، كما ساعدت تلك الظواهر في توليد إيقاعات متميزة في النص القرآني أدّت دورا معنويا واضحا في تعضيد دلالاته الفنية الجمالية.

الفصل الثالث

صور المنافقين من خلال سورة التوبة

الدلالات الصرفية

أولا: الوحدات الصرفية لسورة التوبة.

ثانيا: مباني التقسيم .

تمهيد:

تعتبر دراسة الدلالات الصرفية من مستويات التحليل اللغوي والدرس الصرفي الحديث، ويطلق الباحثون المحدثون على هذا الدرس مصطلح "المورفولوجيا"(Morphologie)، الذي يعني بدراسة الوحدات الصرفية أو ما اصطلح عليه ب"المورفيمات" جمع "مورفيم" Morphémes)[1].

وتندرج مادة هذا الفصل ضمن وصف البناء الصرفي لسورة التوبة، وللآيات التي صوَّرت المنافقين على وجه التحديد، وتحاول إبراز بعض المقولات[2] و الوحدات الصرفية وبعض الصيغ، التي ولَّد استخدامها دلالات تمييزية، كشفت عن أوصاف المنافقين وأحوالهم الظاهرة والخفية.

ولا بد للإشارة هنا إلى أن الدراسات اللغوية الحديثة قد عدلت عن استعمال مصطلح "الكلمة"، لصعوبة تحديده، ولعدم الاتفاق على مدلوله في مختلف اللغات الإنسانية، وقد استبدل بمصطلح: "الوحدة الدلالية " الذي يتشعب إلى مصطلحين آخرين يدلان على قسمي تلك الوحدة، وهما: "الوحدة الدلالية المعجمية" و"الوحدة الدلالية الصرفية"، ويُكتفى عادة باصطلاح: "الوحدة الدلالية" للقسم الأول، واصطلاح "الوحدة الصرفية" للقسم الثاني[3].

---

1)الوحدة الصرفية أو المورفيم لها عدة تعريفات حسب مدارس اللسانيات، غير أنها تتفق في اعتبار الوحدة الصرفية "أصغر وحدة تحمل معنى أو وظيفة نحوية" ينظر:د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص148.

2)المقولات الصرفية هي المعاني التي تعبر عنها مباني التصريف، وقد حصرها بعض الباحثين المعاصرين في : الشخص، والعدد، والتعيين، والنوع، والتصريف الزمني للأفعال. للتفصيل ينظر :المرجع نفسه، ص176-211

3)ينظر:المرجع نفسه، ص146-147

أولاـــ الوحدات الصرفية لسورة التوبة

إن الوحدة الصرفية في النظام الصرفي لسورة التوبة تتألف من مجموعة من العلامات التصريفية، ذات دلالات ومقولات تصريفية مختلفة، ويمكننا رصد بعض هذه الدلالات في سورة التوبة، التي تؤدي في سياقها التركيبي وظيفة فنية في تصوير المنافقين، و ذلك كما يأتي:

1-دلالة الحركة:

فمن شأن حركة واحدة أو اثنتين أن تغير دلالة بعض الصيغ، فتؤثر بصيغتها في المعنى، وتمنح اللفظ ظلالا أخرى غير التي كان يتميز بها قبل أن تدخل عليه تلك الحركات، فمن ذلك انقلاب صيغة المعلوم إلى صيغة المجهول وتأثيرها في القالب الصرفي لبعض الأفعال، نحو كلمة: "طُبِع" في قوله ﷻ: ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٨٧﴾[التوبة:87]، إذ في هذه الكلمة حركتان، لكل منهما وظيفة في الدلالة على صيغة المجهول، ولهذا التغير في الصيغة دلالته، فقد " أسند الطبع إلى المجهول إمّا للعلم بفاعله وهو الله، وإمّا للإشارة إلى أنّهم خلقوا كذلك وجبلوا عليه"[1].

1)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص289

ومثلها في الدلالة على صيغة المجهول قوله ﷻ:" لن يُتَقَبَّلَ منكم" في قوله ﷻ: ﴿ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَسِقِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[التوبة:53].

فقد بني الفعل للمجهول "للدلالة على أنه لا يقع تقبل لشيء يأتي من قبلكم من أي أحد كائنا من كان"[1]

ومثلها كذلك **قوله** ﷻ: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾[التوبة:109].

فقوله: (أَسَّسَ)، يقرأ بصيغة المبني للمعلوم، ويقرأ بصيغة المبني للمجهول، والعلامة التصريفية الدالة على ذلك هي حركة الفتحة على الهمزة والسين، في صيغة المعلوم، وحركة الضمة على الهمزة وكسر السين في صيغة المجهول، " فالحجة لمن ضم أنه لم يسم الفاعل في الفعل فرفع لذلك والحجة لمن فتح أنه سمى الفاعل فنصب به المفعول ومعناه أفمن أسس بنيانه على الإيمان كمن أسس بنيانه على الكفر لأن المنافقين بنوا لهم مسجدا لينفض أصحاب النبي ﷺ من مصلاهم إلى مسجدهم".[2]

ومثلها كذلك حركة الضمة فوق همزة الفعل الماضي "أعطوا" والطاء فيه فيصير "أُعْطُواْ " في قولـــه ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ

1) د.عبد الفتاح لاشين، لغة المنافقين في القرآن الكريم، ص193

2) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص178

وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [التوبة:58]، للدلالة على صيغة المجهول، وأصل "أعطى"هو "أعطو" قلبت الواو ياء، فصار "أعطي"، ثم قلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فصار "أعطى"، وفي الجمع المذكر الغائب تحذف لام فعله[1]. فقد أدت حركة الضمة، وظيفة تصريفية، ذات معاني دلالية تفيد أن المنافقين لا يهتمون بمصدر العطاء بقدر اهتمامهم بالعطاء نفسه، ولعل ذلك هو السر من إيراد صيغة المجهول، دون صيغة المعلوم، أو لأن المعطي معلوم وهو شخص الرسول ﷺ، وهو معروف من السياق، فلم تدع الحاجة إلى إعادة ذكره إعلاء لشأنه عليه الصلاة والسلام، وتنزيها له عن اقتران ذكره بذكر سخط المنافقين أو برضاهم، لعدم اهتمام القرآن بذلك لولا الإيذاء الذي تعرض له الرسول ﷺ من لمزهم له في تقسيم الصدقات.

وقد يقتضى تغيير الحركة تغيير الصيغة للدلالة على الإغلاظ والمخاشنة [2] كما في كلمة: "قيل" في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾[التوبة:38] فقد "بني قيل للمفعول، والقائل هو الرسول ﷺ ولم يذكر إغلاظاً ومخاشنة لهم وصوناً لذكره"[3].

وتأتي الحركة للدلالة على الفرق بين اسم الفاعل واسم المفعول كما في كلمة: "المخلَّفون" في قوله ﷻ:﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ

---

1)ينظر: الكيلاني، أبو الحسن علي بن هشام، شرح التصريف العزي للزنجاني(ت655هـ)،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة،ط1355هـ/1936م،ص24

2)ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3ص34

3) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت754هـ)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، ط1412هـ/1992م،مراجعة الشيخ زهير جعيد،ج 5ص419

وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[التوبة:81]

فقد جاء " وصف المخلّفين بصيغة اسم المفعول لأنّ النبي خلّفهم، وفيه إيماء إلى أنّه ما أذن لهم في التخلّف إلاّ لعلمه بفساد قلوبهم، وأنّهم لا يغنون عن المسلمين شيئاً كما قال: ﴿ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً﴾[التوبة:47]"[1]

وقد تتغير الحركة لأداء وظيفة تخفيفية في النطق كما في قوله ﷻ: ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾ [التوبة:61]

فكلمة (أذن) "يقرأ بضم الذال في جميعه وإسكانها، فالحجة لمن ضم أنه أتى به على الأصل والحجة لمن أسكن أنه ثقل عليه توالى الضم فخفف، وهما لغتان فصيحتان والقراء في هذا الحرف مجمعون على الإضافة إلا ما روي عن نافع من التنوين ورفع خير فالحجة له في ذلك أنه أبدل قوله خير من قوله أذن"[2]، ومثال ذلك أيضا قوله ﷻ:﴿ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ ﴾ [التوبة:99]، فإنه يقرأ بإسكان الراء وضمها[3].

---

1) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص280

2)أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت370هـ)، الحجة في القراءات السبع، دار الشروق، بيروت 1399 هـ، ط الثالثة، تحقيق :د/عبد العال سالم مكرم، ص176

3)المرجع نفسه، ص177

وجاءت الحركة أيضا لتغير من صيغة الكلمة تخفيفا على النطق، كما في **قوله** ﷻ:﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[التوبة:110]، فكلمة "تقطع": "يقرأ بضم التاء وفتحها، فالحجة لمن ضم أنه جعله فعل ما لم يسمّ فاعله ورفع به القلوب والحجة لمن فتح أنه أراد تتقطع فألقى إحدى التاءين تخفيفا ورفع القلوب بفعلها ومعناه إلا أن يتوبوا فتتقطع قلوبهم ندما على ما فرطوا وقيل إلا أن يموتوا"[1]

ومثال ذلك أيضا قراءة يعقوب[2]في: (يلمُزك ويلمُزون ولا تلمُزوا) بضم الميم في الثلاثة، وقراءة بقية القراء بالكسر.[3]

ومثاله أيضا: (دائرة السوء)، في قوله ﷻ:﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ ﴾ [التوبة:98]،" يقرأ بضم السين وفتحها هاهنا وفي سورة الفتح، فالحجة لمن ضم أنه أراد دائرة الشر، والحجة لمن فتح أنه أراد المصدر من قولك:ساءني الأمر سوءا ومساءة ومساية"[4]، فالضمة والفتحة هما علامتان تصريفيتان، كل واحدة منهما تضع كلمة:"سوء" في قالب تصريفي خاص له دلالة تصريفية ومعجمية خاصة.

---

1) المرجع السابق،ص178

2)هو يعقوب بن اسحاق الحضرمي، إمام أهل البصرة ومقرئها، أحد القراء العشرة،(ت 205هـ)، ينظر :الزركلي، الأعلام، ج8ص193.

3)ينظر:ابن الجزري،شمس الدين أبي الخير محمد بن علي(ت833هـ)، تقريب النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت،ط 1423هـ،ص151.

4)ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص177

2-دلالة الحروف الزوائد:

وقد تتكون الوحدات الصرفية على شكل مبان زائدة عن أصول الكلمات، إما قبلها أو بعدها أو في وسطها، وهي التي يعبر عنها باللواصق[1]، ويمكننا التمثيل لها في سورة التوبة بالأمثلة الآتية، مما يلقي بعض الظلال على صور المنافقين، ونرتبها على الشكل التالي:

أ-الصدور والسوابق:

وهي الحروف التي تسبق بعض الكلمات وتتصدرها وليست من أصولها، إلا أنها تؤدي دلالات تصريفية ومعاني وظيفية ودلالية، كحروف المضارعة المجموعة في قولهم:(أنيت)[2]، وبدخول حرف "السين" على المضارع[3]، وهمزة التعدية، والسين والتاء في وزن استفعل، والميم في وزن مفعول من الثلاثي ونحو ذلك.

1-حروف (أنيت): وهي الحروف التي تدل على أن انصراف الفعل للمـــضارع، وقد جاءت في سورة التوبة على النحو الآتي:

لاحرف الهمزة:

فالهمزة هي علامة تصريفية لا تكون للدلالة على المضارع إلا إن كانت تفيد شخص المتكلم إن كان وحده [4]، ومن أمثلتها في سورة التوبة:(أجد – أحملكم

1)ينظر:د. تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص312-313.

2)ينظر: حسن الكفراوي،شرح الكفراوي على متن الأجرومية، دار رحاب، الجزائر،(د.ت)، ص56

3) ينظر: حسن الكفراوي،شرح الكفراوي على متن الأجرومية، ص22

4)ينظر:المرجع السابق،ص58

) في قوله ﷻ: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [التوبة:92].

لقد جاء في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في جماعة من فقراء المسلمين، عرفوا بالبكائين، وقد جاءت في ذلك روايات مختلفة ذكرها في البحر المحيط [1].

إن نسبة الوجد والحمل للنبي ﷺ وحده مما يدل على أنه يواجه بعض الأمور بصفتة إماما للمسلمين وقائدهم في السلم والحرب، فهو تصرف القائد البشر، الذي ينظر إلى وقائع الأمور وحقائقها كما هي، فهو لا يمكنه أن يضم في جيشه المتوجه إلى قتال الروم في بلاد بعيدة وفي وقت عسير شديد الحر أفرادا لا يملكون أدنى وسيلة للقتال، ولا ما يتنقلون به في زحفهم إلى ساحة العدو، فهؤلاء لا محالة سيكونون عبئا على الجيش المقاتل، وعائقا أمام أي تحرك سريع قد تقتضيه طبيعة المعركة، ضد عدو خطير في وزن الروم وحلفائهم. ولعلّ ذلك كان سببا كافيا لاعتراض النبي الكريم ﷺ بجزم على خروج هؤلاء الضعفاء، مواجها لذلك الموقف ـــ رغم حساسيته ـــ بشخص المتكلم وحده:(لا أجد-أحملكم)، دون أن يتأثر بما ذرفه أولئك الضعفاء من الدموع حسرة لعدم قبولهم في الجيش الغازي.

---

1)ينظر:أبو حيان، البحر المحيط، ج5ص 484 قال:" وهذه نزلت في العرباض بن سارية. وقيل: في عبد الله بن مغفل. وقيل: في عائذ بن عمرو. وقيل: في أبي موسى الأشعري ورهطه. وقيل: في تسعة نفر من بطون شتى فهم البكاؤون وهم: سالم بن عمير من بني عوف، وحرمي بن عمرو من بني واقف، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب من بني مازن بن النجار، وسلمان بن صخر من بني المعلى وأبو رعيلة عبد الرحمن بن زيد بن بني حارثة، وعمرو بن غنمة من بني سلمة، وعائذ بن عمرو المزني. وقيل: عبد الله بن عمرو المزني. وقال مجاهد: البكاؤن هم بنو بكر من مزينة. وقال الجمهور: نزلت في بني مقرن، وكانوا ستة أخوة صحبوا النبي ﷺ، وليس في الصحابة ستة أخوة غيرهم"

ورغم ما في الكلمتين من الحزم إلا أنهما تلقيان بظلال الرحمة والشفقة والحرص على حياة هؤلاء الضعفاء، بعدم تعريضهم لخطر لا يقدرون عليه، بعد أن بذل القائد جهده ليضمهم إلى جيشه، ولكنه يقدم اعتذاره بحزم وشفقة بكلمتين هما في غاية الإقناع بدقة متناهية وإيجاز بليغ صوّرته صيغة المخاطب المفرد المتكلم:(لا أجد- أحملكم).

ج حرف النون:

- نون الجمع المتكلم:

وقد جاءت النون للدلالة على الجمع المتكلم، وذلك في الكلمات الآتية: (نؤمن، نبأنا، نَتَرَبَّصُ، نكن، نخوض، نلعب)، وقد وردت هذه الكلمات في الآيات الآتية في سياقات مختلفة:

ـ [نَتَرَبَّصُ]: حكاية لرد المؤمنين على المنافقين المتربصين بهم في قوله ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[التوبة: 52].

ـ[نُؤمن]: جواب المؤمنين للمنافقين المعتذرين بالأعذار الكاذبة في قوله ﷻ:

﴿ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [التوبة:94].

قال مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ):" نبّأ بمعنى أعلم وأصله أن يتعدى إلى ثلاثة مفعولين ويجوز أن يقتصر على واحد"[1].

ـ[نخوض، نلعب]: جواب المنافقين المستهزئين لسؤال النبي ﷺ لهم في قوله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة: 65].

ـ[نكن]: استئذان المنافقين للقعود عن الجهاد مع النبي ﷺ من غير عذر في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِاللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [التوبة: 86].

- ***نون التعظيم:***

واستعملت السورة "النون" كعلامة تصريفية للمضارع للدلالة على المتكلم وحده تعظيما، وذلك في الكلمات الآتية: (نعذب، نعف، نعلمهم، نفصل) وقد جاءت هذه الكلمات في الآيات الآتية:

ـ [نعف،نعذب][2]: في قوله ﷻ: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [التوبة:66].

---

1)مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط ثا، **1405**، تحقيق : حاتم صالح الضامن، ج**1**ص**322**

2) "يقرأ بالياء في الأول وبالتاء في الثاني وضمهما معا وبنون مفتوحة في الأول ونون مضمومة في الثاني فالحجة لمن قرأه بالياء والتاء والضم أنه جعله فعل ما لم يسم فاعله فرفع الطائفة لذلك والحجة لمن قرأه بالنون فيهما أنه جعله من إخبار الله تعالى عن نفسه بنون الملكوت فكان الفاعل في الفعل عز وجل وطائفة منصوبة بوقوع الفعل عليها، فأما فتح النون الأولى فلأن ماضيها

ـــــــوفي قولـــــه ﷻ:﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة:101].

ـ وفي قوله ﷻ:﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[التوبة:11].

ℜ حرف التاء:

-تاء المخاطب المفرد المذكر:

وقد جاءت التاء للدلالة على المخاطب المفرد، كعلامة تصريفية للفعل المضارع في صيغ الكلمات الآتية:

(**تَحْزَنْ**:[التوبة:40]، **تَسْتَغْفِرْ**: [التوبة:80]، **تُصَلِّ**: [التوبة:84]، **تُصِبكَ**: [التوبة:50]، **تُطَهِرُهُمْ**: [التوبة:103] [1]،**تُعْجِبكَ**: [التوبة:85،55]، **تَعْلَمُهُمْ**: [التوبة:101]، **تَفْتِنِّي**: [التوبة:49]، **تَقُمْ**: [التوبة:108،84]، **تقوم**: [التوبة:108]، **تُنَبِئُهُمْ**: [التوبة:64] [2]، **تزكيهم**: [التوبة:103]، **تعلم**: [التوبة:43]، **لتحملهم**: [التوبة:92]). وجميع هذه الكلمات جاءت في سياق

ثلاثي وأما ضم الثانية فلأنها من فعل ماضيه رباعي لأن التشديد في الذال يقوم مقام حرفين" ينظر: ابن خالويه (ت**370**هـ)، الحجة في القراءات السبع، ج**1** ص**176**.وينظر أيضا: ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، ص**151**.

1) سورة التوبة:**103** قال ابن عاشور:" والتاء في {تطهّرهم} تحتمل أن تكون تاء الخطاب نظراً لقوله: {خذ}، وأن تكون تاء الغائبة عائدة إلى الصدقة. وأيّا ما كان فالآية دالة على أن الصدقة تطهر وتزكي." ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج**11**ص**22**

2)سورة التوبة :**64**، واعتبار التاء هنا للخطاب أجازه ابن عاشور، ينظر: المصدر السابق، ج**10**ص**248**

الحديث عن المنافقين، وإن تنوع المخاطب فيها، فالمخاطَب في مثل:(تستغفر، تصل، تصبك، تطهرهم، تعجبك، تعلمهم، تقم، تقوم، تنبئهم، تزكيهم، تعلم، لتحملهم) هو النبي ﷺ والخِطاب من الله ﷻ.

وجاء المخاطَب غير الرسول ﷺ في **[تَحزَن]**، وهو أبو بكر الصديق والخطاب حكاية لمخاطبة الرسول ﷺ لأبي بكر الصديق، في سياق توجيه الخطاب إلى الجمع الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بالعتاب، وتذكيرهم بنصر الله وتأييده لرسوله من قبل، بقوله ﷻ:

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة:40].

وجاء الخطاب إلى الرسول ﷺ من بعض المنافقين[1] "تفتني" في قوله ﷻ:

﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [التوبة:49].

فقد تعددت في السورة جهة الخطاب المفرد ووجهته، وذلك حسب السياق والمقام، وإن كانت كلها تتحدث عن المنافقين بالتصريح تارة و بالإشارة إليهم تارة أخرى، ويمكننا تمثيل الخطاب المفرد بالفعل المضارع على شكل الثنائيات التالية:

1) تذكر روايات السيرة أنه الجد بن قيس، ينظر : تفسير الطبري، ج10ص149.

-من الله ←——— الرسول

-من الرسول ←——— صاحبه (أبو بكر الصديق ﷺ)[1]

-من الله ←——— المؤمنين

- من منافق ←——— الرسول

من خلال هذه الثنائيات نلاحظ أن الرسول ﷺ هو المحور الأساس، فهو المقصود بالخطاب المفرد أصالة؛ لأن المنافقين كانوا يستهدفون شخصه عليه الصلاة والسلام بالإيذاء باللسان، وبمحاولة قتله، وهو الأمر الذي هموا به في غزوة تبوك و لم ينالوه.

- تاء المخاطب الجمع المذكر:

وتعتبر التاء علامة تصريفية مشتركة في الخطاب المفرد والجمع، بل للفعل المضارع للغائبة المفردة أيضا –كما سيأتي– فقد جاءت التاء للدلالة على الفعل المضارع، في الجمع المخاطب، كما في الكلمات الآتية:

-[تُقَاتِلُونَ -أَتَخْشَوْنَهُمْ- تَخْشَوْه]: ﴿ [التوبة:13]﴾ **-تَتَّخِذُواْ**: [التوبة:40] **-[تَخْشَوْنَ -فَتَرَبَّصُواْ-تَرْضَوْنَهَا]**: [التوبة:40] –

1)حاول بعض المفسرين الشيعة التقليل من شأن صحبة أبي بكر ﷺ معللا ذلك بأن :"مجرد الصحابة الجسمانية والدخول في العدد لا يدل على شيء من ذلك..." وقد استطرد في كلامه ناسفا الأصل الذي يقوم عليه دين الشيعة الإمامية في اعتمادهم على النسب القرشي واعتباره مزية لتولي المناصب الدينية والدنيوية، فقد قال : "...وأن الحساب على ما في القلوب دون ما يتراءى من ظواهر الأعمال وتقدمة الأحساب والأنساب" ثم استدرك معتذرا :"...والزائد على هذا المقدار يخرجنا من البحث التفسيري إلى البحث الكلامي الذي هو خارج عن غرضنا" قال ذلك بعد أن أفرغ جعبة سخطه على أبي بكر الصديق وهون من شأنه ؟ينظر:محمدحسين الطباطبائي،الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت،ط1، 1417هـ/1997،ج9ص305-306، وينظر في الرد على آراء الشيعة في الصحابة عامة وفي الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما خاصة: العلامة محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، لبنان،(د.ت)، ج10ص 262-271.

تَرَوْهَا[التوبة:26] **-تَكْنِزُونَ**: [التوبة:35] **-تَظْلِمُوا**: [التوبة:36] **-[تَنفِرُواْ-تَضُرُّوهُ]**: [التوبة:39] **-تَعْلَمُونَ**: [التوبة:41]**-[تَرَبَّصُونَ- فَتَرَبَّصُواْ]**: [التوبة:52]**-تَحْذَرُونَ**: [التوبة:64] **-تَسْتَهْزِؤُونَ**: [التوبة:65] **-[تَخْرُجُواْ-تُقَاتِلُواْ]**: [التوبة:83] **-تُرَدُّونَ**: [التوبة:94] **-لِتُعْرِضُواْ**: [التوبة:95]**-[لِتَرْضَوْاْ -تَرْضَوْا]**: [التوبة:96] **-تَعْتَذِرُواْ**: [التوبة:66،94] **-تَعْمَلُونَ**: [التوبة:16،94،105]،**-تَنصُرُوهُ**: [التوبة:40] **-سَتُرَدُّونَ**: [التوبة:105].

و هذه الكلمات منها ما الخطاب فيها موجّه إلى المنافقين خاصة، ومنها ما وُجّه إليهم وإلى غيرهم من المسلمين من ضعاف الإيمان.

وقد جاء الخطاب فيها من الله إلى المؤمنين عامة، أو أنه يصلح لكل من ادعى الإيمان مثل الخطاب بـــ: **[تتّخذوا]**في قوله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[التوبة:23] ومثلها:(تنفروا-تنصروه-تروها-تردون-ترضوا-ترضوها-تكترون-أتخشونهم-تظلموا-تعملون-تعلمون-تخشوه-تقاتلون-تخشون-فتربصوا).

ومنها ما جاء الخطاب فيها من الله إلى رسوله ليخاطب المنافقين خاصة، مثل:(تخرجوا -تربصون- تستهزءون- تضروه-تعتذروا-تقاتلوا -تحذرون) وللتمثيل لبعضها نقرأ قوله ﷻ: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[التوبة:83].

وقد جاء الخطاب إلى المؤمنين خاصة في: (لترضوا-ترضوا-لتعرضوا) في قوله ﷻ: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة:96]

وفي قوله ﷻ:﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾[التوبة:95]

ويمكننا تلخيص أنواع المخاطبين في هذه الثنائيات:

من الله ← إلى كل من آمن

من الله ← إلى المؤمنين خاصة

من الله ← إلى المنافقين خاصة

من خلال ما سبق نرى أن حظ المنافقين من الخطاب القرآني كان أوفر، فهم الطائفة التي ينبغي أن يوجه الخطاب بقوة وشدة، لتعلم أن لا مفر لها من الله المطلع على أسرارهم، وما تكنه صدروهم.

- تاء الغائب المفرد المؤنث:

وتشترك التاء أيضا باعتبارها علامة تصريفية للفعل المضارع في الدلالة على المفردة الغائبة،[1] مثل الكلمات الآتية: (**تقبل**: [التوبة:54]، **تجري**:[التوبة:72]،**تسؤهم**:[التوبة:50]،**تغن**:[التوبة:25]،**تفيض**:[التوبة:92]،

1) ينظر: الكيلاني، شرح التصريف العزي، ص8

تقطع:[التوبة:110]،**تنزل**:[التوبة:64]،**تنبئهم**:[التوبة:64][1]، **تأبى**:[التوبة:8]، **تزهق**: [التوبة:85،55]، **تزيغ**: [التوبة:117] [2]).

وقد جاءت هذه الأفعال كلها في سياق الحديث عن المنافقين إلا فعلين وهما:(تجري، تفيض)، ومع ذلك فقد جاءت كلمة:(تجري) للدلالة على ما أعده الله من جنات تجري تحتها الأنهار لعباده المؤمنين الذين جاهدوا بأنفسهم وأموالهم، وفي ذلك إشارة إلى ما أعده الله للمنافقين الذين تركوا الجهاد في سبيل الله بنقيض ذلك من العذاب الأليم. وجاءت كلمة(تفيض) في سياق مدح المؤمنين الذين تخلّفوا باعتبار أن تخلفهم لم يكن عصيانا لله ولا لرسوله، وإنما حبسهم العذر و لم يجدوا ما ينفقونه في سبيل الله، حتى فاضت أعينهم من الدمع حزنا وأسى على قعودهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ بأنفسهم أو أموالهم، بخلاف المنافقين الذين تخلفوا من غير عذر وهم أغنياء، كما دلّ على ذلك سياق الآيات قال ﷻ:

﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾[التوبة:92-93].

---

1) يمكن أن تكون التاء هنا يراد بها المخاطب، وهو الرسول ﷺ قال ابن عاشور:" ويجوز أن يكون تاء {تنبئهم} تاء الخطاب، والخطاب للرسول ﷺ أي: تنبئهم أنت بما في قلوبهم، فيكون جملة {تنبئهم بما في قلوبهم} في محلّ الصفة لـ{سورة} والرابط محذوف تقديره: تنبّئهم بها، وهذا وصف للسورة في نفس الأمر، لا في اعتقاد المنافقين، فموقع جملة {تنبئهم بما في قلوبهم} استطراد".ينظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص248

2) ويزيغ :"يقرأ بالتاء والياء... فالحجة لمن قرأه بالتاء أنه أراد تقديم القلوب قبل الفعل فدل بالتاء على التأنيث لأنه جمع والحجة لمن قرأه بالياء أنه حمله على تذكير كاد أو لأنه جمع ليس لتأنيثه حقيقة ". ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص178

ومن أمثلة التاء التي تدل على الغائبة المفردة في سورة التوبة، التاء في "تقبل " في قوله ﷻ:﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [التوبة:54]، فالقراء السبعة قرأوا:(أن تقبل) بالتاء [1]، فالتاء علامة تصريفية للدلالة على المفرد المؤنث الغائب؛ فهي تعبر عن أهم المقولات الصرفية، فهي من حيث الشخص تتحدث عن الغائب، ومن حيث العدد تتحدث عن المفرد، ومن حيث النوع فهي تتحدث عن المؤنث، ومن حيث الزمن التصريفي فهي للزمن الحاضر الذي يفيده فعل المضارع.

حرف الياء:

ياء الغائب المفرد المذكر:

وتدل الياء على الغائب المذكر مفردا، نحو:"يقبل"، في الآية السابقة[2]، على قراءة حمزة والكسائي ورواية عن نافع: (أن يقبل) بالياء، وهي علامة تصريفية للدلالة على المفرد المذكر[3]، ونحوه في السورة الكلمات الآتية:([**يحيي، يميت**]:(التوبة:116)، [**ينصركم، يشف، يعذبهم، يخزهم**]:(التوبة:14)، **يؤمن**:(التوبة:61، 99)، [**يأبى، يتم**]:(التوبة:32)، **يأخذ**:(التوبة:104)، [**يَتَّخِذُ،يَتَرَبَّصُ**]:(التوبة:98)، [**يذهب، يتوب**]:(التوبة:15)،

---

1) ينظر:الكيلاني، شرح التصريف العزي، ص**8**

2)سورة التوبة:**54**.

3)ينظر:ابن الجزري، تقريب النشر، ص**151**.

[**يعذبكم،يستبدل**]:(التوبة:39)، **يأتهم**:(التوبة:70)، [**يأتي، يهدي**]:(التوبة:24)، **يتقبل**:(التوبة:53)، **يتبين**:(التوبة:43)، [**يبين، ليضل**]:(التوبة:115)، **يبشرهم**:(التوبة:21)، **ليؤذن**:(التوبة:90)، **ليظلمهم**:(التوبة:70)، **ليظهره**:(التوبة:33)،[**ليعذبهم، يريد**]:(التوبة:55)، **يتولّهم**:(التوبة:23)، **يُحادِد**:[التوبة:63]، **يحبُّ**:[التوبة:4،7،108]، **يحذر**:[التوبة:64]، **يحمى**:[التوبة:35]، **يخشى**:[التوبة:18]، **يراكم**:[التوبة:127]، **يرضى**:[التوبة:96] **يزال**:[التوبة:110]، **يزيغ**: [التوبة:117]، **يستأذنك**: [التوبة:44،45]، **يسمع**: [التوبة:6]، **يشاء**: [التوبة:15،27]، **يشهد**: [التوبة:107]، **يصيبكم**: [التوبة:52]، **يصيبنا**: [التوبة:51]، **يصيبهم**: [التوبة:120]، **يُضَلُّ**: [التوبة:37]،**لِيُضِل**: [التوبة:115]، **يضيع**: [التوبة:120]، **يعلم**[التوبة:16،42،78]، **يعمر**: [التوبة:18]، **يغفر**: [التوبة:80]، **يغنيكم**: [التوبة:28]، **يغيظ**: [التوبة:120]، **يقبل**: [التوبة:54]، **يقول**: [التوبة:40،49،124]، **يك**: [التوبة:74]، **يكون**: [التوبة:7]، **يلمزك**: [التوبة:58]، **ينفق**: [التوبة:98،99] ، **سيصيب**: [التوبة:90،90]، **فينبئكم**: [التوبة:94،105]، **فليتوكل**: [التوبة:51]).

وكل هذه الأفعال جاءت في المنافقين إما بالأصالة أو بدلالة السياق فقد جاء منها في المنافقين الأفعال الآتية: (يستأذنك، يقول ائذن لي، يلمزك، يحذر، يك، يتخذ، يتربص، يزال، يقول أيكم، يراكم، يتقبل، يصيبكم، يريد الله،

ليعذبهم، يحادد، يعذبهم، يريد الله، أن يعذبهم، ليؤذن لهم، سيصيب، فينبئكم، ينفق مغرما).

قال ابن عاشور: " واختيرت صيغة المضارع في {يحذر} لما تشعر به من استحضار الحالة كقوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾[الروم: 48] وقوله: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾[هود: 74].

φ ياء المجموع الغائب المذكر:

وجاءت الياء في سورة التوبة لتدل على المجموع الغائب المذكر للفعل المضارع، وذلك في الكلمات الآتية: **يؤتون**: [التوبة:81]، (**يقولون، يؤذون**): [التوبة:61]، (**فيحلوا، ليواطئوا، يحلونه**): [التوبة:37]، (**فيقتلون،يقتلون**): [التوبة:111]، (**فيسخرون، يلمزون**): [التوبة:79]، (**ليرضوكم، يرضوه**):[التوبة:62]، (**وليبكوا،فليضحكوا**): [التوبة:82]، (**يلونكم، وليجدوا**): [التوبة:123]، **وليحلفن**: [التوبة:107]، (**لينفروا، ليتفقهوا، ولينذروا، يحذرون**): [التوبة:122]، (**يأمرون، ينهون، يقيمون، يؤتون، يطيعون**): [التوبة:71]، **يتولوا**: [التوبة:74،50]، **يحرمونه**: [التوبة:37،29]، **يحلفون**: [التوبة:96،74،62،56]، (**ليأكلون، يصدون**): [التوبة:34]، **ليتوبوا**: [التوبة:118]، (**ليعبدوا، يشركون**): [التوبة:31]، **ليقولن**: [التوبة:65]، (**يؤفكون، يضاهؤون**): [التوبة:30]، (**يؤمنون، يدينون، يحرمون يعطوا**): [التوبة:29]، (**يأتون، ينفقون**): [التوبة:54]، (**يأمرون، ينهون، يقبضون**): [التوبة:67]، **يبغونكم**: [التوبة:47]، **يتخذوا**: [التوبة:16]،

(**يتخلفوا، يرغبوا، يصيبهم، ينالون، يطؤون**): [التوبة:120]، (**يؤمنون،يَتَرَدَّدُونَ**): [التوبة:45]، (**يتطهروا، يحبون**):[التوبة:108]، **يتوبوا**:[التوبة:74-118]، **يتوبون**:[التوبة:126]، **يتقون**:[التوبة:115]، **يجاهدوا**:[التوبة:44-81]، **يجدوا**:[التوبة:92-123]، **يجدون**:[التوبة:57-79-91]، **يجمحون**:[التوبة:57]، **يستبشرون**:[التوبة:124]، **يستأذنونك**:[التوبة:93]، (**يريدون، يطفؤوا**):[التوبة:32]، (**يرون**[1]، **يذكرون، يفتنون**):[التوبة:126]، **يرقبون**:[التوبة:10]، (**يرقبوا، يظهروا**):[التوبة:8]، **يردون**:[التوبة:101]، **يستغفروا**:[التوبة:113]، **يستوون**:[التوبة:19]، **يسخطون**:[التوبة:58]، (**يظاهروا، ينقصوكم**):[التوبة:4]، **يظلمون**:[التوبة:70]، **يعتذرون**،:[التوبة:94]، **يَعْلَمُواْ**:[التوبة:63-78-97-104]، **يعلمون**:[التوبة:6-11-93]، **يعمروا**:[التوبة:17]، **يعملون**:[التوبة:9-121]، **يفرقون**:[التوبة:56]، **يفقهون**:[التوبة:81-87-127]، **يقاتلون**:[التوبة:36-111]، **يقاتلونكم**:[التوبة:36]، **يقربوا**:[التوبة:28]، **يقطعون**:[التوبة:121]، **يقولوا**:[التوبة:50]، **يكذبون**:[التوبة:77]، **يكسبون**:[التوبة:82-95]، **يكترون**:[التوبة:34]، **يكونوا**:[التوبة:18-87-93]، **يلقونه**:[التوبة:87]،

---

1) يرون: "يقرأ بالياء والتاء فالحجة لمن قرأه بالياء أنه أراد أن يجعل الفعل لهم ودل بالياء على الغيبة والحجة لمن قرأه بالتاء أنه جعل الخطاب للنبي ﷺ فدل بالتاء على ذلك وأدخل أمته معه في الرؤية".ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص**178**، وينظر أيضا: ابن الجزري، تقريب النشر في القراءات العشر، ص**152**.

ينالوا:[التوبة:74]، **ينتهون**:[التوبة:12]، **ينفقون**:[التوبة:34-54]، **ينفقونها**:[التوبة:54]، **يهلكون**:[التوبة:42]).

2-حرف السين:

جاءت السين علامة للفعل المضارع للدلالة على صيغة المفرد الغائب(05كلمات) والجمع المخاطب(01)، والجمع الغائب(01)، وهذه هي الأفعال الواردة باختلاف صيغها: (سيحلفون، وستردون، وسيرى، سيؤتينا، سيدخلهم، سيرحمهم، سيصيب).

ويمكننا إحصاء العلامات التصريفية الدالة على المضارع ضمن الجدول الآتي:

الهمزة	النون		التاء			الياء		السين			
المتكلم	متكلم		مخاطب			غائب		غائب		المفرد	الجمع
						مذكر					
مفرد	نحن	تعظيم	مفرد	نحن	مفردة	مفرد	نحن	مخاطب	غائب	مخاطب	غائب
02	06	04	14	27	09	63	101	00	05	01	01

من خلال هذا الجدول يتبين لنا أن العلامات الصرفية الدالة على الفعل المضارع من حيث دلالتها على الشخص كانت فيها الدلالة على الغائب هي أكثر عددا من غيرها، ومن حيث الدلالة على العدد نجد أن الجمع الغائب هو

أكثر الصيغ ورودا، وما دل منها على التذكير كان أكثر ذكرا. وهذا ما ينسجم مع سياق السورة الذي يتحدث عن المنافقين بصفتهم مجموعة من الجماعات الاجتماعية المؤلفة لمجتمع المدينة وما حولها، والحديث عنهم بأسلوب الغيبة جمعا مذكرا على سبيل التغليب من غير توجيه الخطاب إليهم مباشرة إلا قليلا، وذلك توهينا لشأنهم وتصغيرا لأمرهم، وأن كيدهم لا يعدو أن يكون من جماعة مجهولة الهوية، تائهة الانتماء ولو كونت لنفسها كيانا بتصرفاتها الشنيعة من استهزاء وتخلف وخديعة ومكر وحلف بالكذب، وإيذاء الرسول والمؤمنين ونحو ذلك من مكايدهم الخفية والظاهرة التي لم تغفلها السورة بل صوّرت ذلك كله بأسلوب مباشر أحيانا وبأسلوب ساخر أحيانا أخرى.

3- الألف والتاء:

مثاله: الألف والتاء في "ابتَغَوْاْ" في قوله ﷻ: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾[التوبة:48].

حيث نلحظ أن الآية اختارت صيغة (افتعل)=(ابتغوا) على صيغة(فعل)=(بَغَوْا) في الدلالة على طلب الفتنة، وكلاهما يدل على ذلك[1]، إلا

1) يقال : " (ابتغيت) الشيء و(تبغيته)طلبته مثل بغيته"، ينظر:محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ط4،1990، ص45

أن صيغة (افتعل) فيها معنى المبالغة والاجتهاد في طلب الفتنة، وليس كذلك صيغة(فعل)[1].

ومنه كلمة:"مدّخل" في قوله ﷻ:﴿ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾[التوبة:57]

فإن (ادّخل) على وزن (افتعل) بمعنى دخل[2]، إلا أن هذا له دلالته في المبالغة في طلب الفعل، فيكون المراد أن المنافقين، لو يجدون مكانا يدخلونه بعد مبالغتهم في طلبه، فإنهم لا يتأخرون عن ذلك.

قال ابن عاشور:"والمُدَّخَل مُفْتَعَل اسم مكان للإدّخال الذي هو افتعال من الدخول. قلبت تاء الافتعال دالاً لوقوعها بعد الدال، كما أبدلت في ادَّان، وبذلك قرأه الجمهور. وقرأ يعقوب وحده {أو مَدْخلاً} ـــــــــ بفتح الميم وسكون الدال ـــــــــ اسم مكان من دخل."[3]

وفي هذه اللفظة تصوير دقيق لحال المنافقين، وهم يهرعون في البحث عن مكان يختبئون فيه، وسعيهم في ذلك سعيا حثيثا، واجتهادهم وحرصهم لتحصيل ذلك.

4-الألف والسين والتاء:

ومثاله " اسْتَغْفِرْ " في قوله ﷻ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى

1)عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،ص130-131

2) ينظر: المصدر السابق،ص135.

3) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 10ص231.

ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾[التوبة:80]. ومنه "استجار" في قوله ﷻ:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾[التوبة:6]

قال ابن عاشور:"والاستجارة: طلب الجوار، وهو الكون بالقرب، وقد استعمل مجازاً شائعاً في الأمن، لأنّ المرء لا يستقر بمكان إلاّ إذا كان آمناً، فمن ثم سمّوا المؤمِّن جاراً، والحليفَ جاراً، وصار فعل أجَار بمعنى أمَّن، ولا يطلق بمعنى جعَل شخصاً جاراً له. والمعنى: إنْ أحد من المشركين استأمنك فأمنه."[1]

ومنه قوله ﷻ: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة:83]

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:86]

ومنه قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:114]

ب- الأحشاء (الدواخل):

---

1)المصدر السابق، ج **10**ص**118**.

كالألف في "جاهد" في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾[التوبة:107]، و"جاهد" هنا على وزن "فاعل"، وهي من باب المفاعلة، فقد وقعت زيادة الألف في أصل فعله "جَهَد" بين فاء فعله وعين فعله، ليدل على وظيفية صرفية وهي المفاعلة، فهو من باب قاتل، من حيث الوزن والمعنى، ماضيه على وزن فاعل، ومضارع يجاهد على وزن يفاعل، وله مصدران مجاهدة وجهادا على وزن مفاعلة وفعالا [1]، وأصل معنى الكلمة أنها تطلق على كل من بالغ في شييء، فيقال: جَهَد واجتهد، وأجْهَدْتُه: حَمَلْتَه على ذاك. وجاهَدْتُ العَدُوَّ مُجَاهَدَةً وجِهَاداً: قاتَلْتهُم، وهو المعنى المراد في الآية.[2]والمجاهدة تكون باليد واللسان، قال صلى الله عليه وسلم: ﴿جاهدوا الكفار بأيديكم وألسنتكم﴾[3]

وجاءت صيغة المضاعفة لإرادة المبالغة في "سمّاعون" في قوله ﷻ:

﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ ۖ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[التوبة:47]، وذلك للدلالة على أن المنافقين لم يعدموا من يصدقهم ومن يستميلونه من السُّذَّج وضعاف الإيمان، ومِن هؤلاء مَن يخشى عليهم الانزلاق وراء الفتنة التي يسعى لها المنافقون، ولذلك جاء التصوير دقيقا، ليكشف بهذه الكلمة عن صنف من الناس لا يعبأ بهم، ولا يتفطن لخطرهم، والحال أن خطرهم يضاهي خطر المنـــافقين أو

---

1)ينظر: الكيلاني، شرح التصريف العزي، ص**4**

2)ينظر:الفيروزآبادي، مجد الدين(ت**817**هـــ)، القاموس المحيط، ج**1**ص**287**.

3)الحديث أخرجه ابن حبان برقم (**1618**) وصححه، مصدر سابق.

يزيد، وإن لم يكن ذلك عن مكر وخديعة، فهو عن بَلَه وطبيعة، قال ابن عاشور: " وجاء {سمّاعون} بصيغة المبالغة للدلالة على أنّ استماعهم تامّ وهو الاستماع الذي يقارنه اعتقاد ما يُسمع كقوله: ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِين﴾[المائدة:41]، وعن الحسن، ومجاهد، وابن زيد: معنى {سماعون لهم}، أي جواسيس يستمعون الأخبار وينقلونها إليهم، وقال قتادة وجهور المفسّرين: معناه وفيكم من يقبل منهم قولهم ويطيعهم، قال النحاس الاغلب أن معنى سماع يسمع الكلام ومثله ﴿سماعون للكذب﴾[المائدة: 41]. وأمّا من يَقبل ما يسمعه فلا يكاد يقال فيه إلاّ سَامع مثل قائِل."[1]

وقد جاء التشديد(المضاعفة) للدلالة على المبالغة في التثاقل، في قوله ﷻ: ﴿اثَّاقَلْتُمْ ﴾[التوبة:38]، حيث نجد أصل الفعل: "تثاقلتم" قد قلبت التاء فيه ثاء "وادغمت في الثاء، فسكنت فاجتلبت لها همزة وصل...فإذا علمنا أن للتشديد عنصرين أولهما ثاء ساكنة والثاني ثاء متحركة (لأن الحرف المشدد بحرفين)،أحسسنا للسكون الذي في العنصر الأول إيحاء بالإخلاد إلى الأرض وعدم الرغبة في الخروج للجهاد، مما يدل على أن الصوت يحكى الفعل أو على الأصح "عدم الفعل"[2].

ج ـ **الأعجاز (اللواحق)**:تعتبر اللواحق من أبرز العلامات التصريفية التي يستدل بها على أكثر المقولات الصرفية، فمن ذلك علامات التأنيث، الدالة على النوع،

1)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص218.

2) د.تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص287

وعلامات الجمع، الدالة على العدد، وكل الضمائر المتصلة؛ فإنها تدل على العدد والشخص والنوع وغيرها من الدلالات. وفي هذه الدراسة نقتصر على أبـــرز اللواحق التصريفية.

1-علامات التأنيث: إن التاء هي أشهر علامات التأنيث، ولذلك نحاول رصدها وحدها لعدم اتساع البحث لغيرها والتوسع فيه، وهي تكون في الفعل والاسم، ففي الفعل تأتي ساكنة ومتحركة، ولا تكون في الاسم إلا متحركة.

فمن **أمثلتها في الفعل**: قوله ﷻ: ﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَـــانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[التوبة:66]

فقد جاءت قراءة جمهور القراء في (نعف)و(نعذب) بالتاء بدل النون كما هي قراءة عاصم قال أبو حيان:"... والجيد قراءة العامة (إن تَعفُ عن طائفة) بالتذكير، و(تُعذَّب طائفةٌ) بالتأنيث."[1]

وقد سبقت الإشارة إلى المواضع التي جاءت فيها التاء المتحركة علامـــة تصريفية دالة على التأنيث، وهي: (**تقبل**: [التوبة:54]، **تجري**: [التوبـــة:72]، (**تصبك، تسؤهم**):[التوبة:50]، **تغن**:[التوبة:25]، **تفـــيض**:[التوبـــة:92]،

1)أبو حيان، البحر المحيط، ج5ص454-455

تقطع:[التوبة:110]، **تنزل**:[التوبة:64]، **تنبئهم**:[التوبة:64][1]، **تأبى**: [التوبة:8]، **تزهق**: [التوبة:85،55]، **تزيغ**: [التوبة:117] [2]).

أما تاء التأنيث الساكنة التي تلحق الفعل، فقد وردت في سورة التوبة 18مرة، للدلالة على أغراض مختلفة، إلا أنها جميعها ذكرت في سياق تصوير المنافقين وكشف خبايا نفوسهم، وهذه مواضعها:

ـ **حَبِطتْ**:[التوبة:17]، (**أَعْجَبَتْكُم، وَضَاقَتْ، رَحُبَتْ**):[التوبة:25]، **وَقَالَتْ**:[التوبة:30]، **بَعُدَتْ**:[التوبة:42]، **وَارْتَابَتْ**:[التوبة:45]، **حَبِطَتْ**:[التوبة:69]، **أَتَتْهُمْ**:[التوبة:70]، **أُنزِلَتْ**:[التوبة:86]، (**ضَاقَتْ، رَحُبَتْ، وَضَاقَتْ**):[التوبة:118]، (**أُنزِلَتْ، زَادَتْهُ، فَزَادَتْهُمْ**):[التوبة:124]، **فَزَادَتْهُمْ**:[التوبة:125]، **أُنزِلَتْ**:[التوبة:127].

ومن **أمثلتها في الأسماء**: (الآخِرَة (4)،أَرْبَعَة(2)، بَرَاءةٌ، تِجَارَة، التَّوْبَة، التَّوْرَاة، الثَّلاَثَة، الْجِزْيَة، الجَنَّة، حَسَنَةٌ، الْحَيَاة(2)، دَآئِرَة، دَرَجَةً، ذِمَّةً(2)، رَحْمَة(3)، رِيبَة، الزَّكَاة(4)، زِيَادَةٌ، سَاعَة، سِقَايَة، سَكِينَتَهُ(2)، سُورَةٌ(4)، الشُّقَّة، الشَّهَادَة(2)، صَدَقَةً، صَغِيرَةً، الصَّلاَة(6)، طَآئِفَة(4)، طَيِّبَة، عِدَّة(3)، الْعُسْرَة، عَشِيرَتُكُمْ، عِمَارَة، عَيْلَة، غِلْظَةً، الْفِتْنَة(3)، فِرْقَة، فَرِيضَةً، الْفِضَّة،

---

1) يمكن أن تكون التاء هنا يراد بها المخاطب، وهو الرسول ﷺ قال ابن عاشور:" ويجوز أن يكون تاء {تنبئهم} تاء الخطاب، والخطاب للرسول ﷺ أي: تنبئهم أنت بما في قلوبهم، فيكون جملة {تنبئهم بما في قلوبهم} في محلّ الصفة لـ{سورة} والرابط محذوف تقديره: تنبّئهم بها، وهذا وصف للسورة في نفس الأمر، لا في اعتقاد المنافقين، فموقع جملة {تنبئهم بما في قلوبهم} استطراد".ينظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص248

2) ويزيغ :"يقرأ بالتاء والياء... فالحجة لمن قرأه بالتاء أنه أراد تقديم القلوب قبل الفعل فدل بالتاء على التأنيث لأنه جمع والحجة لمن قرأه بالياء أنه حمله على تذكير كاد أو لأنه جمع ليس لتأنيثه حقيقة ". ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص178

قُوَّةً، كَآفَّة(3)، كَبِيرَةً، كَثْرَتُكُمْ، كَثِيرَة، كَلِمَةَ(3)، لَمُحِيطَةٌ، الْمُؤَلَّفَة، مَخْمَصَةٌ، مُدَّتِهِمْ، الْمَدِينَة(2)، مَرَّة(4)، مَرَّتَيْن(2)، قُرْبَة، مُصِيبَةٌ، مَّوْعِدَة، نَفَقَةً، وَلِيجَة).

2-علامات الجمع:

تختلف علامات الجمع من صيغ جمع التكسير والواو والنون في جمع المذكر السالم والألف والتاء في الجمع المؤنث السالم، وبعض الكلمات التي تجمع بالألف والتاء، ولقد بلغ عدد تكرار ألفاظ الجموع بأنواعها 258 كلمة، في سورة التوبة وحدها، تكاد جموع التكسير وجموع المذكر السالم أن تكون متساوية، حيث تقاربت أعدادهما، فقد تكررت جموع التكسير118مرة، وجموع المذكر 115مرة ، إلا أن جموع المؤنث السالم تكررت 25 مرة.

فجموع التكسير وردت بصيغ مختلفة، فمنها ما جاء على أوزان جمع القلة وهي ما كانت الدلالة فيها على عدد معين، محصور ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقد جاء منها في السورة ما يأتي:

أ- صيغ جمع القلة:

1-صيغة أفعال:(آبَاء(مرتان)، أَبْنَآؤُكُمْ، أَحْبَار(مرتان)، أَخْبَارِكُمْ، أَرْبَابًا، أَزْوَاجُكُمْ، أَصْحَاب(مرتان)، الأَعْرَابُ(6مرات)، أَعْمَالهمْ(3مرات)، أَمْوَال(12مرات)، الأَنصَار، الأَنْهَارُ(3مرات)،أَوْلاَد(3مرات)، أَيْمَانَ(مرتان)، بِأَفْوَاهِهِمْ(3مرات)، الأَنصَارِ). 2-صيغة أفعُل: (أَنفُس(16مرة)، أَيْدِي(3مرات)[1]، أَشْهُر(مرتان)، أَعْيُنُهُمْ، 3-صيغة أفعلة:(أَئِمَّةَ).

---

1)أيدي من باب (فِلس وأفلُس)، ينظر:ابن عقيل(ت769هـ)، بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وضع هوامشه:إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1997 ج2ص196،وينظر: أبو البقاء محب

ب ــ صيغ جمع الكثرة:

1-أفعلاء:أَغْنِيَاء، أَوْلِيَاء (مرتان) 2-فعال: جبَاهُهُمْ، رِجَالٌ، الرِّقَــاب، عِبَاده،3-فُعُل: الْحُرُمُ (مرتان)،4-فُعَلاء: الــضُّعَفَاء، لِلْفُقَــرَاء.5-فعْــلان: إِخْوَانَكُمْ(3 مرات).6-فُعْلان: رُهْبَان(مرتان)،7-فَعْلى: الْمَرْضَى،8-فُعُــول: الأُمُور، جُنُود(مرتان)، بِذُنُوبِهِمْ، جُنوبُهُمْ، حُدُود(مرتان)، الشُّهُور، صُــدُور، ظُهُورُهُمْ، الْغُيُوبِ، قُلُوب(13مرة).

ج ــ صيغ منتهى الجموع:

1-فَعالى: النَّصَارَى.2-مَفاعل: مَسَاجِد (مرتان)، مَسَاكِن(مرتان)، مَوَاطِن.3-مفاعيل: الْمَسَاكِين.

3- الضمائر المتصلة:

تأتي الضمائر علامات تصريفية لوظائف دلالية مختلفة، وهي ثلاثة أقسام:

أ) **ضمائر رفع متصلة**، لا تتصل إلا بالأفعال، وذلك للدلالة على وجود فاعل، وعددها عشرة، ويوجد منها في سورة التوبة ما يأتي:

ــالتاء: ولها دلالتان، كلتاهما تدلان على الفاعل، إلاّ أن دلالة التاء بحركة الضمة على الفاعل المفرد المتكلم، وقد جاء مرة واحدة في كلمة: "توكلتُ" في قولــه عزوجل: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:29]، وأما الدلالة الأخرى للتاء، وذلك حين تأتي بحركــة الفتحة؛ فإنها تدل على الفاعل المفرد المخاطب، وقد جاءت في سورة التوبة ثلاث

الدين عبد الله بن أبي عبد الله العكبري، (ت616هـ)، التبيان في إعراب القرآن، إحياء الكتب العربية، تحقيق:علي محمد البجاوى، ج1ص46.

مرات: (أَذِنتَ[التوبة:43]، سألتَهم[التوبة:65]، قلتَ[التوبة:92])، وقال جاءت الأولى في سياق معاتبة النبي ﷺ في إذنه للمنافقين بالتخلف قبل أن تتبين له حقيقة أمرهم، وجاءت الثانية في سياق استفسار النبي ﷺ من المنافقين عن حقيقة ما قالوه من الكلام المحبط للأعمال، وتوبيخهم عما اعتذروا به. أما الثالثة فقد جاء الضمير في سياق رفع الحرج عن الذين لا يجدون قدرة على الجهاد بأموالهم ولا بأنفسهم واعتذار النبي ﷺ للمتحمسين منهم؛ لعدم قدرته تحمل مؤنتهم.

ـــ **نا:** وهي ضمير متصل جعل علامة تصريفية تدل على الجمع المتكلم الفاعلين، وقد وردت 5مرات: (استطعنا، لخرجنا)[التوبة:42]، أخذنا[التوبة:50]، كنا[التوبة:65]، أردنا[التوبة:107]، وكلها جاءت حكاية لأقوال المنافقين وتصوير لمواقفهم. وما يمكن ملاحظته هنا أن "نا" لم ترد في القرآن الكريم في فعل الإرادة دالة الفاعل إلا في مقامين: أحدهما في تصوير أقوال المنافقين، كما في هذه المواضع، وكما في قوله عزوجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [سورة النساء:62] والثاني في حكاية إرادة الذات العليا، كما في قوله ﷻ:﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل:40]، وقوله ﷻ:﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [سورة الإسراء:16]، وقوله ﷻ: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾[سورة الأنبياء:17].

ـــ **تُمْ**: وهو ضمير متصل استعمل علامة تصريفية لاحقة بالفعل، فيها دلالة على جماعة المخاطبين الفاعلين، وقد تكرر ورودها في سورة التوبة:29 مرة.

ـــ **واو الجماعة**: وهو ضمير متصل استعمل علامة تصريفية لاحقة بالفعل، فيها دلالة على جماعة الغائبين الفاعلين، وقد تكرر ورودها في سورة التوبة 315 مرة.

ب) ضمائر نصب متصلة، وهي علامات تصريفية، وذلك للدلالة على من وقع عليه الفعل، ولا تتصل إلا بالأفعال وأسماء الأفعال، وعددها اثنا عشر ضميرا، وهي:

ـــ **ي**: ضمير نصب متصل، وهي علامة تصريفية، تدل على من وقع عليه الفعل، وقد تكرر ورودها في سورة التوبة على النحو التالي: (خَالِدِينَ، شَاهِدِينَ، الظَّالِمِينَ، فَاسِقِينَ، الْفَاسِقِينَ، الْكَاذِبِينَ،الْكَافِرِينَ، الْمُؤْمِنِينَ، مُّؤْمِنِينَ، الْمُتَّقِينَ، مُجْرِمِينَ، الْمُحْسِنِينَ، مُّدْبِرِينَ، الْمُشْرِكِينَ، الْمُطَّهِرِينَ، الْمُنَافِقِينَ، الْمُهَاجِرِينَ، وَالْمُنَافِقِينَ).

ـــ **نا**: ضمير نصب متصل، وهي علامة تصريفية، تدل على من وقع عليه الفعل،إذا اتصل بفعل، أو اسم إذا اتصلت بحرف شبيه بالفعل، وقد تكرر ورودها في سورة التوبة9مرات: (يُصِيبَنَا، اسْتَطَعْنَا، لَخَرَجْنَا، أَخَذْنَا، سَيُؤْتِينَا، آتَانَا، ذَرْنَا، نَبَّأَنَا، أَرَدْنَا).

– **كَ**: ضمير نصب متصل، وهو علامة تصريفية للدلالة على المفعول المخاطب، والمخاطب هنا هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد جاء خطابه بصيغ مختلفة على النحو الآتي: (أَتَوْكَ، اسْتَأْذَنَكَ، اسْتَجَارَكَ، تُصِبْكَ، تُعْجِبْكَ، رَّجَعَكَ،

لأَتَّبَعُوكَ، يَسْتَأْذِنُونَكَ، يَلْمِزُكَ) استجارك:[التوبة:6]، لاتبعوك:[التوبة:42]، لا يستأذنك:[التوبة:44]، إنما يستأذنك:[التوبة:45]، تُصبك[التوبة:50]، تُعجبك:[التوبة:55]، يلمزك:[التوبة:58]، رجعك:[التوبة:83]، فاستأذنوك:[التوبة:83]،لا تعجبك:[التوبة:85]، استأذنك:[التوبة:86]، أتوك:[التوبة:92]، يستأذنونك:[التوبة:93].

- كُم: وقد وردت 5 مرات في سياقات مختلفة للدلالة على الجمع المخاطب في محل نصب:(فَيُنَبِّئُكُم:[التوبة:94، 105]، يَرَاكُم[التوبة:127]، يُرْضُونَكُم[التوبة:8]، يَلُونَكُم[التوبة:123]).

-هم: وردت في سورة التوبة كالآتي: (آتَاهُم، أَتَخْشَوْنَهُم، اتَّبَعُوهُم، بَايَعْتُم، تُزَكِّيهِم، رَضِيتُم، سَنُعَذِّبُهُم، عَاهَدتُّم، عَاهَدتُّم، فَاسْتَمْتَعْتُم، فَبَشِّرْهُم، فَيُنَبِّئُكُم، فَيُنَبِّئُكُم، كَفَرْتُم، كُنتُم، لِيُعَذِّبَهُم، وَلَّيْتُم، يَتَوَلَّهُم، يَرَاكُم، يُرْضُونَكُم، يُعَذِّبَهُم، يُعَذِّبَهُم، يَلُونَكُم).

ج ــ ضمائر جر متصلة، لا تتصل إلا بالأسماء، وهي:

نا: هي ضمير متصل يكون علامة تصريفية للدلالة على الجمع المتكلم في محل جر وقد جاءت في المواضع التالية: مَعَنَا، أَمْرَنَا، لَنَا، مَوْلاَنَا، بِنَا، بِأَيْدِينَا، حَسْبُنَا.

كَ: هي ضمير متصل يكون علامة تصريفية للدلالة على المفرد المخاطب في محل جر، وقد جاءت في المواضع الآتية: صَلاَتَكَ، عَنكَ، لَكَ، لَكَ.

ي: بِالظَّالِمِينَ، بِالْكَافِرِينَ، بِالْمُؤْمِنِينَ، بِالْمُتَّقِينَ، لِلْمُؤْمِنِينَ، لِلْمُشْرِكِينَ، لِلْمُشْرِكِينَ، لِلْمُشْرِكِينَ، وَالْعَامِلِينَ، وَالْغَارِمِينَ، وَالْمَسَاكِينِ، خَالِدِينَ، الْخَالِفِينَ،

الصَّادِقِينَ، الصَّالِحِينَ، الْقَاعِدِينَ، الْقَاعِدِينَ، الْكَافِرِينَ، مُؤْمِنِينَ، الْمُؤْمِنِينَ، الْمُحْسِنِينَ، الْمُشْرِكِينَ، الْمُهْتَدِينَ، وَالْمُهَاجِرِينَ.

3-دلالة حروف المعاني:

إن الحروف التي تدل على المعاني نوعان: منها ما يتركب من حرف واحد، ومنها ما يتركب من حرفين أو أكثر، "ويدخل فيها كل ما درسه النحاة تحت باب الأدوات"[1].

أ- ما يتركب من حرف واحد:

وهو مما له شبه بالكلمة من حيث كونه يمثل بناء مستقلا، ومن صوره في سورة التوبة: الباء واللام والسين وهمزة الاستفهام، وبعض حروف العطف وأدوات أخرى.

ـ حرف الباء:

فقد جاءت الباء كوحدة صرفية مستقلة لتؤدي وظيفة صرفية ونحوية، دالة على القسم، في مثل قوله: « بِاللَّهِ» في قوله ﷻ: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾[التوبة:42] وفي قوله ﷻ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟

1)د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص154.

يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ﴾[التوبة:74][1].

وجاءت الباء للدلالة على أن الفعل متعديا كما في تعدية فعل التربص بالباء في قوله ﷻ: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[التوبة:52] قال ابن عاشور:" والتربص: انتظار حصول شيء مرغوب حصوله، وأكثر استعماله. أن يكون انتظارَ حصول شيء لغير المنتظِر (بكسر الظاء) ولذلك كثرت تعدية فعل التربّص بالباء لأن المتربّص ينتظر شيئاً مصاحباً لآخرِ هو الذي لأجله الانتظار."[2].

وجاءت الباء للدلالة على معنى الملابسة، كما في قوله ﷻ:﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾[التوبة:120]، قال ابن عاشور:"والباء في قوله: {بأنفسهم} للملابسة وهي في موضع الحال. نزل الضن بالأنفس والحذر من هلاكها بالتلبس بها في شدة التمكن فاستعمل له حرف باء الملابسة. وهذه ملابسة خاصة وإن كانت النفوس في كل حال متلبساً بها. وهذا تركيب بديع الإيجاز بالغ الإعجاز."[3]

---

1)ينظر: الشريف قصار، حروف المعاني في القرآن الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،ص45

2)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 10ص 224وينظر أيضا: شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي(ت1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط رابعة، 1985،ج10ص115

3)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 11ص 56.

ـــ حرف اللام:

جاءت اللام للتعليل في [ليعذّبهم] في قوله ﷻ: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ٥٥﴾[التوبة:55] قال ابن عاشور: "واللام في [ليعذّبهم] للتعليل تعلّقت بفعل الإرادة للدلالة على أنّ المراد حكمة وعلّة فتغني عن مفعول الإرادة، وأصل فعل الإرادة أن يُعدَّى بنفسه كقوله تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾[البقرة:185] ويُعدّى غالباً باللام كما في هذه الآية..."[1] واللام في «لَهُم » في قوله:﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾[التوبة:47]

و«لَكُمۡ» في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾[التوبة:38]

ـــ حرف السين:

ومثال السين للدلالة على الاستقبال، فتنقل صيغة الفعل من المضارع الحاضر إلى المستقبل القريب قوله ﷻ: ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٤٢﴾[التوبة:42] وقوله ﷻ:

1)المصدر نفسه، ج 10ص228.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾[التوبة:95]، فقد جاءت السين لدلالة تصريفية للزمن المستقبل، "والإخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم. وقد كان من جملة المعجزات"[1].

ـــ همزة الاستفهام:

الاستفهام: هو "طلب الفهم بأداة مخصوصة، مثل: هل، وهي للتصديق، والهمزة وهي للتصور أو التصديق وباقي أدوات الاستفهام لطلب التصور فقط، مثل: من، وكم، وكيف، وأين...الخ"[2]

تأتي همزة الاستفهام يراد بها الإنكار للتسوية بين أمرين غير متساويين عند الله ﷻ، كما في قوله ﷻ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾ [التوبة:19].

---

1)الزمخشري، الكشاف، ج2 ص191.

2)ينظر: عبد الكريم بكري، ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984، ص142.

ومن الاستفهام الإنكاري قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[سورة التوبة:38].

قال الزمخشري: " وقرئ: «أثاقلتم»؟ على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ. فإن قلت: فما العامل في «إذا» وحرف الاستفهام مانعة أن يعمل فيه؟ قلت: ما دلّ عليه قوله: {اثَّاقَلْتُمْ } أو ما في {مَالَكُمْ } من معنى الفعل،كأنه قيل: ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال إذا قلت: مالك قائماً."[1]

وقال ابن عاشور: " والاستفهام في ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا﴾ إنكاري توبيخي، إذ لا يليق ذلك بالمؤمنين."[2]

وقد يأتي الاستفهام إنكاريا بالهمزة مصحوبا بالتحريض على الأمر في الزمن المستقبل كقتال المعتدين، نحو قوله ﷻ: ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[التوبة:13].

قال ابن عاشور: " ولفظ {ألا} يحتمل أن يكون مجموع حرفين: همزة الاستفهام، و(لا) النافيةُ، ويحتمل أن يكون حرفاً واحداً للتحْضيض، مثل قوله تعالى: ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾[النور: 22].

---

1)المصدر السابق، ج2ص189.

2)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10 ص198.

فعلى الاحتمال الأول يجوز أن يكون الاستفهام إنكارياً، على انتفاء مقاتلة المشركين في المستقبل، وهو ما ذهب إليه البيضاوي، فيكون دفعاً لأن يَتوهَّم المسلمون حُرمة لتلك العهود." [1]

قال محمد أبو زهرة: " وقد يتضمن الحث على العمل ، والتحريض عليه إذا كان ذلك العمل غير محقق في الوجود ، أو هناك شروع في تحقيقه ، وذلك يكون غالبا عند نفي الأمر المستقبل كما نرى في قوله تعالى : ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:13-15]" [2]

ففي الآية "تحريض على القتال لأن الاستفهام فيه للإنكار والاستفهام الإنكاري في معنى النفي وقد دخل النفي ونفي النفي إثبات وحيث كان الترك مستقبحا منكرا أفاد بطريق برهاني أن إيجاده أمر مطلوب مرغوب فيه فيفيد الحث والتحريض عليه، وقد يقال وجه التحريض على القتال أنهم حملوا على الإقرار بانتفائه كأنه أمر لا يمكن أن يعترف به طائعًا لكمال شناعته فيلجئون إلى ذلك ولا يقدرون على الإقرار به فيختارون القتال فيقاتلون قوما نكثوا أيمانهم التي حلفوها عند المعاهدة لكم على أن لا يعاونوا عليكم فعاونوا حلفاؤهم بني بكر على حلفاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خزاعة والمراد بهم قريش وهموا

---

1)المصدر السابق، ج10 ص132

2)محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى، ص215-216

بإخراج الرسول من مكة مسقط رأسه عليه الصلاة والسلام حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[الأنفال:30]" [1]

ومن الاستفهام الإنكاري، ما جاء في قوله ﷻ:﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[التوبة:126].

قال ابن عاشور: "والاستفهام هنا إنكار وتعجيب لعدم رؤيتهم فتنتهم فلا تعقبها توبتهم ولا تذكّرهم أمر ربهم. والغرض من هذا الإنكار هو الاستدلال على ما تقدم من ازدياد كفر المنافقين وتمكنه كلما نزلت سورة من القرآن بإيراد دليل واضح يُنَزَّلُ مترلة المحسوس المرئيّ حتى يَتوجه الإنكار على من لا يراه."[2]

ـ حرف النداء (الياء):

الغالب في أسلوب النداء في القرآن أن يصحبه الأمر أو النهي[3]، وعلى ذلك جاء النداء بالياء مصحوبا بالنهي لجماعة المؤمنين عن موالاة الآباء والأبناء بالتبع لهم والإخوة "إن أصروا على الكفر وآثروه على الإيمان بالحب، وما يقتضيه هذا الحب من قتال المؤمنين وعداوتهم."[4]،وقد جاء ذلك في قولهﷻ:

---

1)الآلوسي، روح المعاني، ج 10 ص 60-61

2)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج11ص67.

3)ينظر:فتحي أحمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط:1976، ص386.

4)محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج10ص224.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [التوبة:23].

قال أبو حيان: "الخطاب للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها من بلاد العرب خوطبوا أن لا يوالوا الآباء والإخوة، فيكونوا لهم تبعاً في سكنى بلاد الكفر. وقيل: نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة، فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم. وذكر الآباء والإخوان لأنهم أهل الرأي والمشورة، ولم يذكر الأبناء لأنهم في الغالب تبع لآبائهم ."[1]

وقد جاء النداء مصحوبا بالنهي في قوله ﷻ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:28]

وجاء النداء مصحوبا بالجملة الخبرية في قوله :﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[التوبة:34]

1)أبو حيان، البحر المحيط، ج5 ص390

وجاء النداء بالياء موجها للنبي ﷺ ، مصحوبا بالأمر بجهاد الكافرين والمنافقين في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة:73].

وجاء النداء بالياء موجها لجماعة المؤمنين، مصحوبا بالأمر كما في قوله ﷻ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[التوبة:119]

وفي قوله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:123]

وقد تستعمل الياء للدلالة على توجيه الخطاب بطريقة العتاب، كما في النداء في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [التوبة:38]

قال ابن عاشور: " هذا ابتداء خطاب للمؤمنين للتحريض على الجهاد في سبيل الله، بطريقة العتاب على التباطيء بإجابة دعوة النفير إلى الجهاد، والمقصود بذلك غزوة تبوك."[1].

فقد تنوعت الدلالة التصريفية للياء التي استعملت في النداء لجماعة المخاطبين في أغلب الحالات، حيث جاءت مصاحبة للنهي عن موالاة الكافرين، ولمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام، وجاءت مصاحبة للأمر بالقتال

1)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10 ص195

وتوبيخ المتثاقلين عن النفير للجهاد وجاءت للمفرد تارة أخرى، حيث أتت مصاحبة لتوجيه الأمر للنبي مجاهدة الكافرين والمنافقين.

ـ حروف العطف:

وبعض حروف العطف كالواو والفاء، وكل ما يتركب من حرف واحد من حروف العطف، حسب اصطلاح القدماء، يعتبر علامة تصريفية في الدرس اللغوي الحديث.

وقد تكرر العطف بحرف"الواو" في سورة التوبة 365 مرة، وذلك لدلالات مختلفة تقتضيها السياقات المختلفة، وما يقتضيه أسلوب السرد في تصوير النماذج الإنسانية وموقف القرآن من كل منها، وما يلزم ذلك من ذكر بعض أحداث غزوة تبوك، وغزوة حنين، فإن السرد في مثل هذا المقام يناسبه عطف النسق بحرف الواو والفاء؛ وقد جاء تكرار حرف الفاء العاطفة 71 مرة على النحو التالي: (فَاسْتَأْذَنُوكَ، فَاسْتَبْشِرُواْ، فَاسْتَقِيمُواْ، فَاسْتَمْتَعْتُم، فَاسْتَمْتَعُواْ، فَاعْلَمُواْ، فَاقْتُلُواْ، فَاقْعُدُواْ، فَاللَّهُ، فَانْهَارَ، فَأَتِمُّواْ، فَأَجِرْهُ، فَأَعْرِضُواْ، فَأَعْقَبَهُمْ، فَأَمَّا، فَأَنَّ، فَأَنزَلَ، فَأُوْلَـئِكَ، فَإِخْوَانُكُمْ، فَإِذَا، فَإِنْ(8مرات)، فَإِنَّ، فَبَشِّرْهُمْ، فَتَرَبَّصُواْ(مرتان)، فَتُكْوَى، فَثَبَّطَهُمْ، فَخَلُّواْ، فَذُوقُواْ، فَزَادَتْهُمْ(مرتان)، فَسَوْفَ، فَسيحُواْ، فَسَيَرَى، فَصَدُّواْ، فَعَسَى، فَقَاتِلُواْ، فَقَدْ، فَقُل(مرتان)، فَلاَ(3مرات)، فَلَمْ، فَلَمَّا(مرتان)، فَلَن، فَلَوْلاَ، فَلْيَتَوَكَّلِ، فَلْيَضْحَكُواْ، فَمَا(3مرات)، فَمِنْهُمْ، فَنَسِيَهُمْ، فَهُمْ(3مرات)، فَهُوَ، فَيُحِلُّواْ، فَيَسْخَرُونَ، فَيَقْتُلُونَ، فَيُنَبِّئُكُم(مرتان)).

وقد اختلفت دلالات العطف في سورة التوبة، فتارة يكون العطف لدلالة فنية، كما قيل في تأويل القراءة الشاذة: ﴿أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ بالجر، بأن ذلك على الجوار[1].

وجاء العطف من قبيل عطف الزمان على المكان[2]، كما في قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى **مَوَاطِنَ** كَثِيرَةٍ **وَيَوْمَ** حُنَيْنٍ﴾[التوبة:25].

وجاء العطف للتنبيه على العلة، كما في قوله ﷻ:﴿فَلاَ تُعْجِبكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ **لِيُعَذِّبَهُم** بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا **وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ** وَهُمْ كَافِرُونَ﴾[التوبة:55].

قال أبو حيان: "والذي يظهر من حيث عطف وتزهق على ليعذب أن المعنى ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ونبه على عذاب الآخرة بعلته وهو زهوق أنفسهم على الكفر، لأنّ من مات كافراً عذب في الآخرة لا محالة."[3]، وجاء العطف للدلالة على التنبيه على السبب في قولهﷻ:﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ **وَطَبَعَ** اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[التوبة:93].

قال في البحر المحيط: " وعطف وطبع تنبيهاً على أنّ السبب في تخلفهم رضاهم بالدناءة، وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون ما يترتب على الجهاد من منافع الدين والدنيا."[4]

---

1)ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج5ص367.

2)ينظر: المصدر نفسه، ج5ص392.

3)المصدر نفسه، ج5ص436-437.

4)المصدر نفسه، ج5ص436-437.

ومن دلالات العطف في سورة التوبة، العطف لدلالة الخلط بين شيئين، كما في قوله ﷻ: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة:102] ويفهم من الآية ـــ بدلالة العطف ـــ أن هؤلاء مزجوا بين العمل السيئ والعمل الصالح مزجا لا يمكن التمييز بينهما،"وعطف أحدهما على الآخر دليل على أنّ كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به، كقولك: خلطت الماء واللبن، وهو بخلاف خلطت الماء باللبن، فليس فيه إلا أنّ الماء خلط باللبن، قال معناه الزمخشري: ومتى خلطت شيئاً بشيء صدق على كل واحد منهما أنه مخلوط ومخلوط به، من حيث مدلولية الخلط، لأنها أمر نسبي."[1]

ومن دلالات العطف مطلق الجمع، ولا تفيد الترتيب،[2] كما في قوله ﷻ : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:24]

وقد لاحظ أبو حيان أن العطف في الآية فيه ترتيب مقصود، وعلّله بقوله : " وقدّم الآباء لأنهم الذي يجب برهم وإكرامهم وحبهم، وثنى بالأبناء لكونهم أعلق بالقلوب. ولما ذكر الأصل والفرع ذكر الحاشية وهي الإخوان، ثم ذكر الأزواج وهن في المحبة والإيثار كالأبناء، ثم الأبعد بعد الأقرب في القرابة

---

1)المصدر نفسه، ج5ص498.

2)ينظر: محمد عبد الخالق عضيمة،دراسات لأسلوب القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة،ط1، 1973، ج3 ق1،ص520.

فقال: وعشيرتكم...ثم ذكر وأموال اقترفتموها أي اكتسبتموها، لأن الأمـــوال يعادل حبها حب القرابة، بل حبها أشد، كانت الأموال في ذلك الوقت عزيزة، وأكثر الناس كانوا فقراء. ثم ذكر: وتجارة تخشون كسادها، والتجارة لا تتهيأ إلا بالأموال، وجعل تعالى التجارة سبباً لزيادة الأموال ونمائها... ثم ذكر: ومساكن ترضونها، وهي القصور والدور. ومعنى: ترضونها، تختارون الإقامة بها. وهـــذه الدواعي الأربعة سبب لمخالطة الكفار حب الأقارب، والأمـــوال، والتجـــارة، والمساكن..."[1]

ب- ما يتألف من حرفين أو أكثر:

ويدخل فيه كل ما أدرجه النحاة في قسم الأدوات، والأدوات في اصطلاح المحدثين قسمان[2]: أصلية ومحمولة.

1-الأدوات الأصلية:

وهي حروف المعاني المؤلفة من مبنى أحادي كالواو والباء والهمزة والفاء ونحو ذلك ممّا سبق الحديث عنه، وقد تتألف من مبنى ثنائي كأنْ وأو وبل ولـــن وعن وفي...، ونحو ذلك، وقد تتألف من مبنى ثلاثي كإلى وإذن وإنّ وبلى...، ومن مبنى رباعى كأمّا وألاّ وكأنّ وحتى ولعلّ ولولا...، ومن مبنى خماسي نحو لكنّ.

وقد وردت بعض مباني حروف المعاني الثنائية في سورة التوبة، مثل: "عن" فقد تكررت 12 مرة، مع الأسماء الظاهرة على النحو الآتي:

---

1)المصدر السابق، ج5ص391.

2) ينظر:د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ص171.

- صيغة الإفراد: (عَنْ سَبِيلِه، عَن يَد، عَن سَبِيلِ اللَّه، عَن طَآئِفَة، عَنِ الْمَعْرُوفِ، عَنِ الْمُنكَرِ(مرتان)، عَنِ الْقَوْمِ، عَن مَّوْعِدَةٍ، عَن رَّسُولِ، عَن نَّفْسِهِ).

-صيغة الجمع: عَنْ عِبَادِهِ.

ويمكننا تمثيل بقية الحروف الثنائية ضمن الجدول الآتي:

الحرف	أوْ				عن				لن	في					إنْ	أنْ	مَن	مِنْ			
العدد	6				6				6	43	4	3	7	1	26	24	18	66	2	14 17	8
	عن	عنه	عنهم	عنكم						في	فيكم	فيه	فيها	فيهن				من	منه	منهم منها	منكم

ومن مباني الأدوات الأصلية ذات الأصل الثلاثي في سورة التوبـــة: "إلى" فقد تكررت مع غير المضمرات: 12 مرة على النحو الآتي: (إِلَى الَّذِينَ، إِلَـــى النَّاسِ، إِلَى مُدَّتِهِمْ، إِلَى الأَرْضِ، إِلَى يَوْمِ، إِلَى طَآئِفَةٍ، إِلَى عَالِمِ، إِلَى عَذَابٍ، إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ، إِلَى رِجْسِهِمْ، إِلَى بَعْضٍ، إليه[2]، إليهم[4]).

ويمكننا تمثيل حروف المعاني الثلاثية ضمن الجدول الآتي:

الحرف	على				إلى				ألاَ	أنَّ			إنَّ					
العدد	على	عليه	عليهم	عليكم	إلى	إليه	إليهم	إليكم	3	أنَّ	أنَّه	أنكم	إنَّ	إنَّه	إنَّها	إنَّهم	إنَّكم	إنَّا

	26	5	12	4	12	4	2	12	2	4	2	10	2	22	1	1	7	2	2

ويمكننا تمثيل بعض المباني الأصلية ذات الأصل الرباعي الواردة في سورة التوبة ضمن الجدول الآتي:

الحرف	ألاّ	لعلّ	لولا	إمّا	حتّى	إلاّ
العدد	2	2	1	2	7	24

وقد جاءت هذه الحروف والأدوات لتؤدي دلالات تصريفية مختلفة، لعلّ أبرزها ما يأتي:

1-التعدية: فقد دلت بعض هذه المباني على التعدية، ومثال ذلك:

-[إلى]: أدّت معنى التعدية في مواضع من السورة، منها تعديتها لفعل التثاقل في قوله ﷻ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ ﴾[التوبة:38]، قال ابن عاشور: "وعُدّي التثاقل بـــــــ{إلى} لأنّه ضمن معنى المَيل والإخلاد، كأنّه تثاقل يطلب فاعله الوصول إلى الأرض للقعود والسكون بها."[1]

-[على]: جاء للدلالة على التعدية في مواضع منها: تعديته للفعل [بعدت] في قوله ﷻ : ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ﴾[التوبة:42]، قال ابن عاشور: "والشُّقَّة-بضمّ الشين - المسافة الطويلة. وتعدية {بعدت} بحرف (على) لتضمّنه معنى ثقلت، ولذلك حسن الجمع بين

1)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص197.

فعل {بعدت} وفاعله {الشقة} مع تقارب معنييهما، فكأنّه قيل: ولكن بعد منهم المكان لأنّه شُقّة، فثقل عليهم السفر، فجاء الكلام موجزاً."[1]

-[في]: وتأتي للتعدية أيضا، كما جاءت مع الفعل [خرجوا] في قوله ﷻ:﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولاَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة:47]؛ قال ابن عاشور: "وتعدية فعل (الخروج) بفي شائعة في الخروج مع الجيش".[2]

-[الباء]:وتأتي الباء للدلالة على التعدية، فمن ذلك تعديتها لفعل التربص في قوله ﷻ:﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾[التوبة:52]فقد جاءت "الباء للتعدية أي ما تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين أي إحدى العاقبتين اللتين،كل منهما أحسن من جميع العواقب غير الأخرى أو أحسن من جميع عواقب الكفرة أو كل منهما أحسن مما عداه من جهة والمراد بهما النصرة والشهادة."[3]

-[مِن]: وقد جاءت للدلالة على التعدية، كما فعلت مع الفعل [منع] في قوله ﷻ:﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾[التوبة:54]، قال الآلوسي: " ومنع يتعدى إلى مفعولين بنفسه وقد تعدى إلى الثاني بحرف الجر وهو من أو عن وإذا عدى بحرف صح أن يقال منعه من حقه ومنع حقه منه لأنه يكون بمعنى الحيلولة بينهما والحماية "[4].

2-العدد:

---

1)ينظر: المصدر السابق، ج10ص208-209.

2)ينظر: المصدر نفسه، ج10ص216.

3)ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج 10 ص 116.

4) ينظر: المصدر نفسه، ج 10 ص 117.

الحروف	المفرد			الجمع			
	المتكلم	الغائب	الغائبة	متكلم	مخاطب	غائب	غائبة
عن	0	1	0	0	1	5	0
في	0	3	7	0	4	0	1
من	0	2	3	0	8	14	0
على	0	5	0	0	4	12	2
إلى	0	2	0	0	4	2	0
أنّ	0	2	0	0	2	0	0
إنّ	0	1	1	2	2	7	0

وما يمكننا قراءته من هذا الجدول أن هذه الحروف لم تأت مع العدد المثنى، ولا مع المفرد المتكلم، ولعلَّ السبب في ذلك أن السورة تحدثت في سياقها العام عن جماعات اجتماعية، أكثرها خطرا فئة المنافقين، و لم يذكر المثنى إلا مرة واحـــدة

وبصيغته حين وصف النبي ﷺ وصاحبه أبا بكر رضي الله عنه وهما في الغار، فقال ﷻ: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:40]، وقد اختلف المفسرون في عود الضمير الغائب المفرد:[عليه]، هل يعود على الرسول ﷺ أو يعود على أبي بكر رضي الله عنه؟، وقد

اضطربت آراؤهم في ذلك[1]، والظاهر-والله أعلم- أن الضمير الغائب هنا وإن جاء مفردا فهو بمعنى التثنية، لأن السكينة يصلح أن تنزل على أبي بكر رضي الله عنه لأنه كان خائفا، فيحتاج إلى تهدئة روعه، وتنزل على النبي ﷺ لا لخوفه، وإنما لتثبيت فؤاده، وتأييده؛ كما جاء في الآية قبل ذلك: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾[التوبة:26]؛فالموقف يحتاج إلى رباطة الجأش، وجهد التفكير وحسن التدبير، ولأن ذكر أبي بكر رضي الله عنه إنما هو تبع لذكر الرسول ﷺ، كما تقول: [جاء رئيس الدولة ووزيره فأكرمته إكراما]، فإن الضمير في:[أكرمته] يعود على الرئيس لفظا ويعود عليه وعلى صاحبه معنى، وإنما اقتصر عليه للتشريف له والاهتمام بشأنه، وكراهة التسوية له بمن هو دونه .وكذلك الأمر في الآية، فإنه لم يقل:[سكينته عليهما]، وذلك لتشريف النبي ﷺ بنسبة سكينة الله إليه، وزيادة الاهتمام بشأنه وكراهة تسويته بمن هو دونه في الخطاب—مع كرامة صاحبه وفضله-.

هذا وإن صيغة الضمير المفرد تكون أكثر اتساقا مع الضمائر الواردة في الآية:[تنصروه، نصره، أخرجه، لصاحبه، سكينته، أيده] فأخذ الضمير الغائب صيغة مجاوره، وهذا شائع في لغة القرآن ولغة العرب؛ فقد جوزوا العطفِ على الجِوارِ في الجرِّ نحو :﴿وامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وأَرْجُلِكُمْ﴾ [المائدة:6] في قراءة من جرّ [أرجلكم]،و المراد بالجوار هنا: أن كلمة برؤوسكم مجرورة فجرُّ ما بعدها

1)ينظر اضطراب المفسرين ورأي ابن عاشور في ذلك، في التحرير والتنوير، ج10ص204-205

وهي أرجلكم لمجاورتها ما قبلها. وكقَولِ بَعْضِهم: "هَذا جُحْر ضبٍّ خَرِبٍ" بجرِّ "خَرِبٍ" .

3-التذكير والتأنيث: فمثال التذكير: عنه، عنهم، عنكم، فيه، منه، منهم، منكم، عليه، عليكم، إليه، إليكم، أنه، إنكم، إنه، إنهم. ومثال التأنيث: منها، منهن، إنها.

2-الأدوات المحوّلة:

وهي مبان تنتمي إلى الأقسام الأخرى، لكنها تحولت إلى قسم الأدوات؛ لشبهها بالحروف في دلالاتها الوظيفية، وقد تكون الأداة المحوّلة ظرفا من الظروف، فمثال ظرف الزمان: إذ، وإذا، ولمّا، ومثال ظرف المكان: أنّى، وحيث.

ويمكننا تمثيلها مع عدد تواترها في سورة التوبة بالجدول الآتي:

الأداة	إذْ	إذا	لما	أنى	حيث
العدد	5	11	3	1	1

ومن أمثلتها في سورة التوبة الآيات الآتية:

1-مثال(إذْ): قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:25]وقوله ﷻ:﴿إِلَّا

تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة:40].

وقوله ﷻ:﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[التوبة:115].

2-أمثلة(إذا): قوله ﷻ:﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:5].

وقوله ﷻ:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[التوبة:38].

وقوله ﷻ:﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[التوبة:58]..

وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا۟ بِاللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة:86].

وقوله ﷻ: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة:94-95].

3-ومن أمثلة: (لّما) قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [التوبة:76].

ومن أمثلة ظروف المكان في سورة التوبة:

1-(حيث) في قوله ﷻ:

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:5].

2-و(أنّى) في قوله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[التوبة:30].

أمّا الأسماء المبهمة التي تؤدي وظيفة دلالية كالاستفهام الإنكاري، ففي سورة التوبة منها أداة: (كيف) في قوله ﷻ:﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾[التوبة:7-8].

وتكون الأدوات المحوّلة أفعالا، نحو:كان وأخواتها وكاد وأخواتها وما يماثلهما. ومن أمثلة ذلك في سورة التوبة:

1-أداة (كان): فعل يؤدي وظيفة دلالية تصريفية للزمن الماضي، وقد ينصرف للمضارع أو المستقبل، وقد تكرر في سورة التوبة 20 مرة لصيغة الماضي، تواتر9مرات منها للمفرد، و11 مرة للجمع.

وجاءت للدلالة التصريفية للزمن المضارع يراد به المفرد مرة واحدة في قوله ﷻ:﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ

عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[التوبة:7]

وللدلالة على المضارع يراد به الجمع 3 مرات وذلك للدلالة على جمع الذين يحق لهم عمارة مساجد الله، وفيه التعريض بالمنافقين الذين يخشون الناس ولا يخشون الله، وذلك في قوله ﷻ:﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة:18].

وأتى الفعل مضارعا للدلالة على المنافقين صراحة، وأنهم الذين يرضون أن يكونوا دائما في مؤخرة الصفوف كالنساء اللواتي يتخلفن في البيوت بعد سفر أزواجهن، وذلك في

وقوله ﷻ:﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[التوبة:87].

قال ابن عاشور: " استئناف قصد منه التعجيب من دناءة نفوسهم وقلّة رجلتهم بأنّهم رضوا لأنفسهم بأن يكونوا تبعاً للنساء. وفي اختيار فعل {رضوا} إشعار بأنّ ما تلبسوا به من الحال من شأنه أن يتردّد العاقل في قبوله كما تقدّم في قوله تعالى:﴿أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ ﴾[التوبة: 38]،وقوله:﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [التوبة:83].

والخوالف: جمع خالفة وهي المرأة التي تتخلّف في البيت بعد سفر زوجها فإن سافرت معه فهي الظعينة، أي رضوا بالبقاء مع النساء."[1]

وقوله ﷻ:﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:93].

4-دلالة اللواحق التصريفية:

تستخدم العلامة ذات مبنى معين لاحقة تصريفية، كعلامات التثنية والجمع السالم والتأنيث بالتاء، ولا يوجد منها في سورة التوبة اللواحق الصرفية التي تستخدم علامات صرفية للدلالة على التثنية.

وقد جاءت علامات الجمع السالم في سورة التوبة:364 مرة، أما علامات التأنيث، فقد جاءت 23 مرة، على النحو التالي:[الآيَاتِ، الْخَيْرَاتُ، السَّمَاوَات(مرتان)، الصَّدَقَات(4مرات)، بِالْبَيِّنَاتِ، بِآيَاتِ، جَنَّات(4مرات)، قُرُبَات، مَغَارَاتٍ، وَالْمُؤْتَفِكَاتِ، وَالْمُؤْمِنَات(مرتان)، الْمُنَافِقَات(مرتان)،وَجَنَّاتٍ، وَصَلَوَاتِ].

ويلاحظ أن ما تعلق من هذه اللواحق بتصوير المنافقين، جاء منه في علامات التأنيث: الصدقات(مرتان)في الآيتين:58-79، مغارات في الآية:57، المنافقات في الآية:67-68. فيكون مجموع ما ورد منها في المنافقين بالنسبة لمجموعها هو:21.73% وهو ما يمثل الثلث، وهي نسبة معتبرة، في الدلالة على أن المنافقات لهن حضور كبير في جنس المنافقين.

---

1)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص289.

أما العلامات التصريفية للجمع السالم؛ فقد وجد منها ممّا يُصوّر المنافقين 177 كلمة، أي بنسبة:48.26%، وهي نسبة تقارب النصف، وهو ما يدل على خطورة المنافقين، ولولا ذلك لما حُشد لتصويرهم هذا الكمّ من الكلمات التي تدل عليهم، بوصفهم جماعة معادية للإسلام والمسلمين، وليست أعمالهم تصرفات فردية معزولة..

5- السوابق التصريفية:

هي التي تأتي لتحديد معنى التعريف، نحو: ألف ولام التعريف.

وقد ورد ألف ولام التعريف من هذه السوابق التصريفية في سورة التوبة:120 مرة، وذلك على النحو الآتي:

-(أل) التعريف بصفات سلبية مذمومة في العرف اللغوي أو الشرعي نحو: (الْخَاسِرُونَ، الْخَالِفِينَ، الْخُرُوجَ، الْخِزْيُ، الْخَوَالِف[2]،الْجَحِيمِ، الْجِزْيَةَ، الْحَرَامِ[3]، الْحُرُمُ، الدُّنْيَا، الْفَاسِقُونَ، الْفَاسِقِينَ[3]، الْفِتْنَةِ[3]، الْكَاذِبِينَ، الْكَافِرُونَ، الْكَافِرِينَ[3]، الْقَاعِدِينَ[2]، الْكُفَّار[3]، الْكُفْر[4]، الْمُخَلَّفُونَ، الْمَرْضَى، الْمُشْرِكُون[2]، الْمُشْرِكِينَ[6]، الْمُعْتَدُونَ، الْمُعَذِّرُونَ، الْمُنَافِقُونَ[2]، الْمُنَافِقِينَ[2]، الْمُنكَر[2]، الْيَهُودُ].

وذلك في مقابل بعض الكلمات الإيجابية المحمودة، مثل:(الْحَاجِّ، الْحَامِدُونَ، الْحَجِّ، الْحَرِّ، الْحُسْنَى، الْحُسْنَيَيْنِ، الْحَق[3]، الْحَيَاة[2]، الْخَيْرَاتُ، الْعَابِدُونَ، الْعَرْشِ، الْعُسْرَة، الْعَظِيمُ[6]، الْعُلْيَا، الْغَارِ، الْغَيْب[2]، الْغُيُوبِ، الْفَائِزُونَ، الْفَوْزُ[4]، الْقَوْمَ[6]، الْقَيِّمُ، الْكِتَابَ، الْمُؤْمِنُونَ[2]، الْمُؤْمِنِينَ[7]، الْمُتَّقِينَ[4]، الْمُحْسِنِينَ[2]، الْمَدِينَة[2]، الْمَسْجِد[3]،

الْمَسِيحُ، الْمَصِيرُ، الْمُطَّهِرِينَ، الْمُطَّوِّعِينَ، الْمَعْرُوفِ، الْمُفْلِحُونَ، الْمُهَاجِرِينَ، الْمُهْتَدِينَ).

6-دلالة الكلمات الجامدة:

- الكلمات الجامدة ذوات الوظائف الصرفية والنحوية الخاصة، كالضمائر المنفصلة والمتصلة وأسماء الإشارة والموصول.

فمجموع الضمائر المتصلة والمنفصلة بلغ في سورة التوبة:1070 ضميرا، ويمثل 42.72% وهي نسبة كبيرة تقارب نصف عدد كلمات السورة، البالغ عددها:2505كلمة، ويعني ذلك دلاليا أن آيات السورة، تتجه إلى تشخيص الحالات التي تعرضها، وأنها تتحدث عن نماذج حية متحركة، لها فاعلية في الخطاب، فيوجه إليها الخطاب تارة بصيغة الحضور، ويتحدث عنها تارة أخرى بصيغة الغائب، ويأتي الخطاب تارة بصيغة الجمع أو التثنية، ويوحَّد تارة أخرى.

وبلغت الأسماء الموصولة:74 اسما، ولها دلالات تصريفية عن المفرد:31 والجمع:43، وهي نسبة متقاربة، وهي تدل على أن الإبهام، وترك التعيين فيها على السواء، وأن السورة لا ترغب ـــ وهي تتحدث عن المنافقين ـــ بكشف أعيانهم، بقدر ما ترغب في كشف أوصافهم وأعمالهم، فهي تعالج ظاهرة قابلة للتكرار، ومعالجة الظواهر، لا يصلح فيها ـــ في الغالب ـــ تشخيص الحالات، بذكر الأسماء، وتعيين الأشخاص، بقدر ما يصلح فيها، معالجة الأوصاف، وذكر الأعراض، وطرح الحلول، فتعالج الحالات دون تعيين، والأعراض والظواهر دون تخصيص، ليصلح العلاج مستقبلا، إذا تكررت تلك الظواهر، وظهرت تلك الأعراض..

و لم تقتصر الموصولات في السورة على تصوير المنافقين بل تجاوزت ذلك إلى غيرهم من المشركين والكتابيين، فقد جاء الأمر بقتال أهل الكتاب واصفا لهم بدلالة الاسم الموصول بصفات تدعو إلى قتالهم، قال ﷻ:﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[التوبة:29]، قال الآلوسي: "والتعبير عنهم بالموصول للإيذان بعلية ما في حيز الصلة للأمر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين وإيمانهم الذي يزعمونه ليس على ما ينبغي فهو كَـ[لاَ إيمان]."[1]

وقد جاء الموصول ليصوِّر مع صلته صفة الحدوث الطارئ في وصف المنافقين بالصدق، وذلك لبعد ذلك عنهم، ويعدل عن استعمال الموصول حين يصفهم بالكذب ، وذلك في قوله ﷻ:﴿عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾[التوبة:43]، فالمتوقع أن يقول:[الذين كذبوا]، في مقابل : [الذين صدقوا]، ولكنه عدل عن ذلك؛ لأن الصدق صفة حادثة في المنافقين، فأتى بالموصول وصلته وهو الفعل الذي يدل على الحدوث، أما الكذب فهو صفة لازمة للمنافقين، فلم يحتج للتعبير عنها بما يفيد الحدوث، قال الآلوسي: " والتعبير عن الفريق الأول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم الفاعل المفيد للدوام للإيذان بأن ما ظهر من الأولين صدق حادث في أمر خاص غير مصحح لنظمهم في سلك الصادقين وأن

1)الآلوسي، روح المعاني، ج10ص78.

ما صدر من الآخرين وإن كان كذبا حادثا متعلقا بأمر خاص لكنه جار على عادتهم المستمرة ناشيء عن رسوخهم في الكذب"[1].

وقد جاء -كذلك -التعبير عن الحدوث بالاسم الموصول في قوله ﷻ: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[التوبة:61].

قال الآلوسي: "[للذين آمنوا منكم] أي للذين أظهروا الإيمان حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف أسرارهم ولا يهتك أستارهم وظاهر كلام الخازن أن المراد من الذين آمنوا المخلصون وذكر منكم باعتبار أن المنافقين كانوا يزعمون أنهم مؤمنون والحق حمل ذلك على المنافقين وإسناد الإيمان إليهم بصيغة الفعل بعد نسبته إلى المؤمنين المخلصين بصيغة الفاعل على المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للإيذان بأن إيمانهم أمر حادث ما له من قرار ولعل العدول عن رحمة لكم إلى ما ذكر للإشارة إلى ذلك"[2].

قوله ﷻ:﴿وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[التوبة:90].

فقد وقع" الاختلاف في أن هؤلاء الجائين هل كانوا صادقين في الاعتذار أم لا؟ وعلى القول بصدقهم يكون المراد بالموصول في قوله سبحانه:﴿ وَقَعَدَ الَّذِينَ

1)المصدر السابق، ج10ص108.

2)المصدر نفسه، ج10ص127.

كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ غيرهم وهم أناس من الأعراب أيضا منافقون، والأولون لا نفاق فيهم، وعلى القول لكذبهم يكون المراد به الأولين والعدول عن الإضمار إلى الإظهار إظهار لذمهم بعنوان الصلة والكذب على الأول بادعاء الإيمان وعلى الثاني بالاعتذار ولعل القعود مختلف أيضا وقرأ أبي كذبوا بالتشديد"[1]

أما أسماء الإشارة، فقد بلغ عددها في السورة:29 اسمًا موزعة للدلالة على المفرد البعيد: -(ذلك):12مرة، والجمع البعيد: (ذلكم):مرتان، و(أولئك):9مرات، والإشارة إلى المفرد المذكر القريب: -(هذا):4مرات، والمؤنث القريب:-(هذه):مرتان.

إن أسماء الإشارة رغم قلّتها في السورة فإنها أضفت على السورة طابع الواقعية، وأفسحت للخيال أن يتصور مشاهد المنافقين، وهم يشار إليهم عن قرب تارة، ويشار إليهم من بعيد تارة أخرى، فرادى وجماعات، ذكورا وإناثا، فلا يملك المتدبر حينها إلا أن يرى المنافقين في جميع الصور التي رسمتها لهم السورة بجميع أطيافهم، فيتخيلهم وقد أشيرت إليهم أصابع الاتهام بالنفاق والإجرام، وهم يتوارون من سوء أعمالهم، وقبائح أفعالهم.

1)ينظر:المصدر نفسه، ج10ص157-158.

ثانيا ــ مباني التقسيم[1]

تمهيد:

إنه من خلال الإحصاء والاستقراء للصيغ الصرفية في سورة التوبة، يدرك الدارس أنها تشتمل على صيغ ومشتقات ذات أثر أسلوبي بليغ، ووظيفة فنية بالغة في تصوير النماذج الإنسانية، وأكثرها ذكرًا نموذج المنافقين.

ولتحديد المقاصد الدلالية لهذه الصيغ والمكونات اللغوية، وكشف بعض خصائص النظام الصرفي للسورة، فإنه لا مناص من تحديد الصيغ الأكثر شـــيوعا وتواترا والتي قد تمثل بروزا أسلوبيا، يفيد في التعرف على صور المنافقين.

وإذا كانت الكلمة عند علماء العربية تشمل الاسم والفعل والحرف، فإن دراسة الصيغ في البحث الصرفي الحديث لا تعني بالدراسة إلا الاسم المتمكن والفعل المتصرف، ومعنى ذلك أنه لا يدرس الحرف، باعتباره من مباحث علم الأصوات اللغوية، ولا الاسم المبني، ولا الفعل الجامد، فإنهما لا يخضعان للميزان الصرفي [2].

لقد بيَّن الإحصاء الكامل لسورة التوبة، وجود 1176 اسما و618 فعلا، وهي نسبة متباعدة، ويمكن تفسير هذا الفرق الكبير بين عدد الأسماء وعدد الأفعال، أن السورة غلب عليها الطابع الوصفي التشخيصي، فهي تتحدث عن النماذج الإنسانية المحيطة بالمجتمع المسلم، أو المشكلة له، من المؤمنين الصادقين أو

---

1)مباني التقسيم :هو تعبير حديث عن التعبير الشائع عند المتقدمين بأقسام الكلام، ينظر:د.أحمد محمد قدور، مبادئ اللـــسانيات، ص156.

2) ينظر :د.عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص6-9

الأعراب المستسلمين، أو اليهود والنصارى الغادرين، أو المشركين المحاربين، أو المنافقين الكائدين، إذ يشكل الصراع بين قوة الخير الصاعدة التي يمثلها المجتمع المسلم، وبين قوى الشر المحاربة أو المنافقة، محور السورة المستقطب لكل الدلالات، بحيث تقوم الأسماء بوظيفة الإخبار والتقرير، ومن ثم فهي بنية قارة ثابتة، بينما تقوم الأفعال بوظيفة تجدد الفعل وحدوثه، وإضفاء عامل الزمن عليه، ممّا يكسب الحركية والفاعلية للأخبار والصفات التي تصوغها الأسماء..

ولعلّ أكثر الأبنية الصرفية بروزا في سورة التوبة بنية الأسماء على اختلاف صيغها، وبنية الأفعال في صورتيها الافرادية والتركيبية.

ولنبدأ بالبنى الصرفية للأسماء لكثرة ورودها، وتعدد صيغها، مما يوقفنا على جوانب كثيرة من صور المنافقين، من خلال معرفة دلالات تلك البنى.

أولا: بنية الأسماء

بدأنا بدراسة الأسماء قبل الأفعال لأن المقرر عند أهل اللغة والنحو أن الاسم أصل للفعل والحرف، و"لأن الكلام المفيد لا يخلو من الاسم أصلا ويوجد كلام مفيد كثير لا يكون فيه فعل و لاحرف... وأيضا فإن الاسم يخبر به ويخبر عنه، والفعل لا يكون إلا مخبرا به، والحرف لا يخبر به ولا يخبر عنه، فلما كان الاسم من الثلاثة هو الذي يخبر به ويخبر عنه دون الفعل والحرف دلّ ذلك على أنه أصل في الكلام دونهما "[1].

1)السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ج1 ص80

تشكل الأسماء في سورة التوبة مادة صرفية ثرية، إذ تَرِد في سياقات متباينة وفي وحدات صرفية مختلفة كالنكرة والمعرفة وغيرهما مما يؤدي إلى اختلاف المعاني التركيبية.

لقد خصَّ علماء العربية الاسم بأساليب ثمانية: الجامد والمشتق، المجرد والمزيد؛ المقصور والمنقوص والصحيح، المفرد والمثنى والجمع؛ المذكر والمؤنث، التعريف والتنكير، المبني والمعرب، المنون وغيْر المنون.

ويعد أسلوب التعريف والتنكير أحد الأساليب الخاصة بالاسم دون غيره ؛ وما يفيده الاسم في حال التعريف لا يفيده في حال التنكير تبعاً للمتكلم والمخاطب والمقام والموضوع.

ونحن إذ نختار في بحثنا هذا باب (التعريف والتنكير) فلأنه كان الأبرز في تلك الأساليب من جهة دلالته الصرفية والمعنوية والبلاغية.

أ ــ التنكير (النكرة):

الأصل في الأسماء التنكير وأما التعريف فهو فرع عن التنكير[1]، ولذلك بدأنا بالتنكير قبل التعريف.

والتنكير تشترك فيه الأفعال مع الأسماء، بل الأفعال لا تكون إلا نكرات " لأنها موضوعة للخبر، وحقيقة الخبر أن يكون نكرة لأنه الجزء المستفاد، ولو كان الفعل معرفة لم يكن فيه للمخاطبة فائدة، لأن حد الكلام أن تبتدئ بالاسم الذي يعرفه المخاطب كما تعرفه أنت ثم تأتي بالخبر الذي لا يعلمه ليستفيده"[2]

فالوظيفة التي يقوم الاسم النكرة بها سواء وقع مسنداً إليه أم مسنداً في الجملة أو النّص اللغوي لا يمكن أن يقوم بها الاسم المعرفة؛ فهي تنفرد بخصائص تنبثق من مفهوم التنكير ذاته، ومن طبيعته الجمالية.

وحين نتحدث عن الطبيعة الجمالية إنما نعني بذلك التفاوت بين درجات الجمال من جهة التعريف والتنكير، دون أن يكون التفاوت واقعاً في درجات القبح الناتج عن الاستعمال.

ولهذا يصبح لزاماً أن نوضح مفهوم النكرة أو ما سمي بـــ (التنكير).

فالتنكير: هو كل اسم لا يفهم منه أمر محدد، ولا يقصد بالتعيين، فهو لفظ مطلق ومتحرر من التخصيص كقولنا: رجلٌ، امرأة؛ شجرة، فالألفاظ تدل على مطلق الجنس من كل نوع[3].

---

1) ينظر: المصدر نفسه،ج2ص46، وينظر أيضا : ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين، شرح قطر الندى،الــشركة المتحدة للتوزيع، القاهرة،ط11، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، 1383هــ، ص93

2)السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو، ج1 ص114

3) ينظر : السيد أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، ص 77

وكل اسم نكرة يختلف وضعه في الإفراد عما هو عليه في الاستعمال من جهة التركيب تقديماً وتأخيراً ومن جهة الدلالة، فالدلالة عن النواحي النفسية والفكرية والموضوعية هي التي تستدعي بناء التركيب واستخدام الكلمة المطلقة من كل قيد أو المقيدة بأحوال وصفات معينة، وتصبح الكلمة الحرة في ائتلاف اللفظ والمعنى ذات طبيعة جمالية متباينة ومثيرة.

ويعد التنكير من الصيغ الصرفية التي تعتمدها سورة التوبة للتعبير عن موضوعاتها العامة ومنها الحديث عن المنافقين، وقد استعملت النكرة في سياقات مختلفة أكثر من 250مرة، تحمل دلالات متعددة، لعل أبرزها:

ـ التعميم:

يرتبط معنى التعميم أو الاستغراق في سورة التوبة، في الغالب، عند الحديث عن المنافقين أو بعض أعمالهم كقوله ﷻ:

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[التوبة:16]، جاءت وليجة هنا نكرة، على وزن : فعيلة في معنى مفعولة، والمراد منها ما يشمل معنى الخديعة والوقيعة، قال ابن عاشور:"و(الوليجة) فعيلة بمعنى مفعولة، أي الدخيلة، وهي الفَعلة التي يخفيها فاعلها، فكأنّه يُولجها، أي يُدخلها في مكمن بحيث لا تظهر، والمراد بها هنا: ما يشمل الخديعة وإغراء العدوّ بالمسلمين، وما يشمل اتّخاذ أولياء من أعداء الإسلام يُخلص إليهم ويفضَى إليهم بسر المسلمين، لأنّ تنكير وليجة في سياق النفي يعمّ سائر أفرادها."[1]

1)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص 139

والخديعة وإغراء العدو بالمسلمين، لا يمكن أن تصدر تحقيقا إلا ممن لم يكن إيمانه خالصا لله عزوجل، ولذلك جاءت اللفظة نكرة عامة، لتعمّ كل من كان يحسب في الصف الإسلامي من المنافقين أو من ضعاف الإيمان من المسلمين، يقول سيد قطب:" لقد كان في المجتمع المسلم – كما هو الحال عادة – فئة تجيد المداورة، وتنفذ من الأسوار. وتتقن استخدام الأعذار. وتدور من خلف الجماعة، وتتصل بخصومها استجلابا للمصلحة ولو على حساب الجماعة، مرتكنة إلى ميوعة العلاقات ووجود ثغرات في المفاصلة بين المعسكرات. فإذا وضحت المفاصلة وأعلنت قطعت الطريق على تلك الفئة، وكشفت المداخل والمسارب للأنظار.

وإنه لمن مصلحة الجماعة، ومن مصلحة العقيدة، أن تهتك الأستار وتكشف الولائج، وتعرف المداخل، فيمتاز المكافحون المخلصون، ويكشف المداورون الملتوون، ويعرف الناس كلا الفريقين على حقيقته..."[1]

ويعم هذا اللفظ بصيغته كل ما يمكن أن يوصف بالخديعة والإغراء، فيكون النفاق ألزم الأسماء بهذا الوصف وأحقها به، ففي الآية تحذير من النفاق وأهله، وفي الوقت تحريض المؤمنين على ترك موالاة المنافقين المخادعين..

ومن الألفاظ النكرة التي تفيد العموم، كلمة "كافة" الواردة في قوله ﷻ: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة:36] أي جميعا.

1)سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3ص1613.

قال الآلوسي:"ونقل أن المعنى هنا: قاتلوهم كافين لهم كما يقاتلونكم كافين لكم وقيل: معناه جماعة وقيل للجماعة الكافة... ثم إنهم تصرفوا فيه واستعملوه للتعميم بمعنى جميعا وعلى ذلك حمل الأكثرون ما في الآية قالوا: هو مصدر كف عن الشيء وإطلاقه على الجميع باعتبار أنه مكفوف عن الزيادة أو باعتبار أنه يكف عن التعرض له أو التخلف عنه وهو حال إما من الفاعل أو من المفعول فمعنى قاتلوا المشركين كافة لا يتخلف أحد منكم عن قتالهم أو لا تتركوا قتال واحد منهم وكذا في جانب المشبه به..."[1]

وقد أفاد عموم النكرة في هذه الكلمة، وجوب قتال جميع المشركين، فيدخل فيهم ضمنا المنافقون الذين يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، كما قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [التوبة:73].

ـــ التكثير:

وهو من المعاني والدلالات التي تتولد عن التنكير، فيؤتى باللفظ أحيانا نكرة لغرض الإيحاء بكثرته، ومن ذلك ما جاء في قوله ﷻ: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة التوبة:101]

1) ينظر : أبو الفضل محمود الآلوسي، روح المعاني ، ج10 ص92-93، وينظر-أيضا-في معاني كافة واستعمالاتها في القرآن الكريم ولسان العرب ماذكره العلامة محمد رشيد رضا في تفسيره المنار، ج10ص415-417.

جاء في هذه الآية التنصيص على وعيد الله بالعذاب للمنافقين من الأعراب أو من أهل المدينة، ونعت العذاب بكلمة "مرتين" دلالة على تكثير العذاب، قال الآلوسي: "وجُوّز أن يراد بالمرتين التكثير كما في قولـــه ﷻ:﴿ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾[الملك:4] "[1]

ومثل هذه الآية قوله ﷻ: ﴿ أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [سورة التوبة:126].

ويبعد أن يكون اللفظ إنما جيئ به هنا فقط ليثبت العدد قال الآلوسي: "والمراد من المرة والمرتين على ما صرح به بعضهم مجرد التكثير لا بيان الوقـــوع علـــى حسب العدد "[2]

ـــ المبالغة:

وقد تستعمل النكرة لإرادة المبالغة، مثل كلمة: "شيئا" فقد وردت نكرة في السورة ثلاث مرات كما جاء في قوله ﷻ:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [ســـــــورة التوبة:4].

1)الآلوسي، روح المعاني، ج 10 ص 150

2)المصدر نفسه، ج11ص51

قال ابن عاشور: " وذكر كلمة [شيئاً] للمبالغة في نفي الانتقاص، لأنّ كلمة «شيء» نكرة عامّة، فإذا وقعت في سياق النفي أفادت انتفاء كلّ ما يصدق عليه أنّه موجود."[1]

ووردت أيضا في قوله ﷻ:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[التوبة:25]

وقوله ﷻ:﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[التوبة:39]

وفي الآيتين عتاب للصف الإسلامي بجميع أطيافه، المسلمون الصادقون، والمنافقون، وضعاف الإيمان، فذكرهم الآية بما حدث لهم يوم حنين من انكسار، رغم أنه لم تكن تنقصهم عُدّة ولا عدد، ولعلَّ الهزيمة أصابتهم بسبب تلك الكثرة المشوبة بالمنافقين وأصحاب الأطماع الدنيوية العاجلة؛ ولذلك جاءت النكرة باتساع دلالاتها، لتبلغ الذروة العالية في تصوير موقف الانكسار والتردد، فلا ينفع العبدَ شيء بعيدا عن الله، ولا يضرُّ اللهَ شيءٌ إن بعُد العبد عن الله.

ـ قصد الإفراد:

وتأتي النكرة في سورة التوبة ـأحياناـ لتظهر معنى الإفراد وتقتصر عليه، ومثاله قول اللهﷻ:

---

1)ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج**10**ص**113**.

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾[التوبة:83]

قال ابن عاشور: "... و[أول مرة] هي غزوة تبوك التي تخلّفوا عنها، وأفعل التفضيل إذا أضيف إلى نكرة اقتصر على الإفراد والتذكير ولو كان المضاف إليه غير مفرد ولا مذكر لأنّ في المضاف إليه دلالة على المقصود كافية."(1)

ـ التعظيم:

تأتي دلالة التعظيم إذا اقتضى السياق في الآيات الحديث عن رفعة الشأن وعلو الطبقة، ولا يورد هذا الأسلوب في النكرة إلا إذا تعلق الأمر بالله عزوجل أو جاء الإسناد إليه سبحانه، ومثاله في سورة التوبة:

-قوله ﷻ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ ﴾ [التوبة:72]

قال ابن عاشور: " والتنكير في [رضوان] للتنويع، يدلّ على جنس الرضوان، وإنّما لم يقرن بلام تعريف الجنس ليتوسّل بالتنكير إلى الإشعار بالتعظيم فإنّ رضوان الله تعالى عَظيم."(2)

1) ينظر : المصدر السابق، ج10ص 282 .

2)ابن عاشور : التحرير والتنوير، ج10ص264

وعلى قدر بشارة الله للمؤمنين وللمؤمنات برضوانه الأكبر، فإن سخط الله عز وجل عظيم وأكبر أيضا على الكفار والمنافقين بجاهدهم والغلظة عليهم، وهو ما تدعو إليه الآيات التالية في هذا السياق نفسه.

ـــ النوعية:

دلالة النوعية من سمات الأسلوب القرآني، إذ ترد في سورة التوبة بعض الألفاظ نكرة، متضمنة دلالة النوعية، فيكون القصد من إيرادها نوعا من أفرادها، وذلك نحو: (قوما) في:

-قوله ﷻ:﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [التوبة:39]

قال ابن عاشور: " وتنكير [قوماً] للنوعية إذ لا تعيّن لهؤلاء القوم ضرورةَ أنّه معلَّقٌ على شرط عدم النفير وهم قد نَفَروا لمّا استُنفروا إلاّ عدداً غيرَ كثير وهم المخلّفون. "[1]

لقد جاء سياق الآية يحمل لغة التهديد والوعيد، المترتب على عدم النفير في سبيل الله، فقصد إيراد كلمة (قوم) نكرة، للإشارة إلى أن (قوما) المعنيون هم أولئك المخلفون من المنافقين، فهم الذين سيستبدلون بغيرهم، لمخالفاتهم الكثيرة، أظهرُها هو عدم امتثالهم الأمر بالنفير إلى غزوة تبوك.

ـــ التحقير أو التصغير:

يعتبر التحقير أو التصغير من دلالات التنكير في بنية الأسماء وله دور تصويري متميز، ممزوج بالسخرية والتهكم، وللتمثيل على ذلك، فإننا نجد في

1) ينظر:المصدر السابق، ج10 ص200

سورة التوبة بعض النكرات لها دلالات تصويرية، تثير في النفس الاشمئـــزاز، وفي الوقت نفسه تبعث فيها روح الفكاهة والسخرية.

ومن ذلك ما جاء في وصف المنافقين، حيث نعتهم النص القرآني بأحقر الأوصاف، مما يبعث على الاشمئزاز والتقزز، نحو: كلمة "رجس" فقـــد وردت نكرة مرتين في موضعين من السورة، في قوله ﷻ:

﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[التوبة:95]

وقولـــه ﷻ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة:125]

والرجس في اللغة:النتن والقذر[1]، فلم يكتف التوجيه الرباني بإصدار أمر الإعراض عن المنافقين المتخلفين عن الغزو المتعذرين بأعذار كاذبة، بل أصدر وصفا صادقا عليهم، يوجب الابتعاد عنهم بالكلية، فهم أنتان أقذار، قال سيد قطب:"...ثم يوجهه ربه إلى الإعراض عنهم فعلاً، لكن لا بمعنى العفو والصفح ؛ إنما بمعنى الإهمال والاجتناب. معللاً ذلك بأنهم دنس يتجنب ويتوقى، (فأعرضوا عنهم، إنهم رجس)، وهو التجسيم الحسي للدنس المعنوي. فهم ليسوا رجساً – أي دنساً – بأجسادهم وذواتهم ؛ إنما هم رجس بأرواحهم وأعمالهم. ولكنها

1)ينظر : ابن عطية، المحرر الوجيز، ص73

الصورة المجسمة أشد بشاعة وأبين قذارة، وأدعى إلى التقزز والاشمئزاز، وإلى الاحتقار كذلك والازدراء ! "[1]

ب ــ التعريف:

أ-مفهوم التعريف (المعرفة):

هو كل ما دل على شيء بعينه[2]، وقد يكون تعريفُ اسم ما أحقَّ بالتعريف من غيره، فالمسند إليه أولى بالتعريف لأنه المحكوم عليه الذي ينبغي أن يكون معلوماً، ليكون الحكم مفيداً. فالاسم في كل أنماطه يتمكن بتعريفه من اسميته الدالة على معنى مجرد من الزمان، وسبيلنا في رصد الأسماء المعرفة في سورة التوبة هو تقسيم علماء العربية المتقدمين، فهم يقسمون المعارف باعتبار قيمتها الأسلوبية إلى خمسة أنماط: الضّمير والأعلام وأسماء الإشارة والموصول، والمعرف بأل، فالمضاف إلى معرفة مما تقدم؛ ثم المنادى ثم النكرة المقصودة [3].

ونظرا للقيمة الأسلوبية للمضمرات وكثرة شيوعها في سورة التوبة، فإننا سنقتصر في هذه المباحث على الضمير بمختلف دلالاته وأشكاله. فهــو وإن دل على عَلَم بقرينة تكلُّم أو خطاب أو غيبة؛ بينما يدل العَلَم بنفسه على معــين، ويقدم الضّمير في أبحاث علماء العربية ؛ لأنه أعرف المعارف ولأن الخطاب فيه لمعين بعينه.

---

1)سيد قطب، في ظلال القرآن، ج3ص1696

2) ينظر:الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ)، المفصل في صــنعة الإعــراب،دار ومكتبــة الهــلال، بــيروت، 1993،ط1،تحقيق:د.علي بوملحم ص245

3) المصدر نفسه، ص245

الضَّمير:

الضّمير: هو ما وضع لمتكلم أو مخاطب، أو غائب؛ وهو أعرف المعـــارف؛ وسنحاول العدول عن الدلالات الأصلية للضمير لنتناول دلالات تمييزية أخرى لعلاقتها بموضوع دراستنا لصور المنافقين في سورة التوبة، وأهمها:

1-إضمار الاسم لتقدم ذكره: هذا هو الأصل في وضع الضمير، فإنـــه لا يذكر الضمير في الأصل إلا بعد تقدم ما يفسره[1]، وقد يعدل عن ذلك، فيقدم الضمير لأغراض كثيرة، سنذكر بعضها في حينه.

إن التعبير القرآني في سورة التوبة يميل إلى حذف الاسم المعاد إذا تقدم ذكره أو أشير إليه، على وفق الأصل في الوضع، ومثاله:

-قوله ﷻ:﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[التوبة:39]

قال ابن عاشور: " والضمير المسْتتر في [يعذبكم] عائد إلى الله لتقدّمه في قوله: [في سبيل الله](التوبة: 38)... والضمير في [تضروه] عائد إلى ما عاد إليه ضمير [يعذبكم]"[2]

-الإظهار بعد الاضمار:

جاء ذلك في قوله عزوجل:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم

1)الهاشمي، جواهر البلاغة، ص 109-110

2)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص200

مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة التوبة:26-27]

ذكر الضمير (الجمع المخاطب) من غير إظهار؛ لتقدم ذكره، ثم عطف عليه أسماء ظاهرة تنويها بشأنها، وتعظيما لقدرها، وتقدير خصوصيتها، قال ابن عاشور:" ألا ترى أنه قال أولا (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) فذكر مضمرا تقدم الكلام فيه ثم عطف المظهر الذي هو له وهو قوله (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) وكان العطف لو أضمر كما أضمر الأول لقيل:(ثم أنزل الله سكينته عليكم وأنزل جنودا لم تروها) وفائدة الإظهار ههنا للمعطوف بعد إضماره أولا التنويه بذكر رسول الله وذكر المؤمنين أو لأن الأمر عظيم وهو الانتصار بعد الفرار فأي الأمرين قدر كان لإظهار المعطوف مناسبا وهكذا يكون عطف المظهر على ضميره فإنه يستند إلى فائدة يهم ذكرها فإن لم يكن هناك مثل هذه الفائدة وإلا فلا يحسن الإظهار بعد الإضمار "[1]

الإظهار في مقام الإضمار:

يوضع الاسم الظاهر مكان الضمير سواء كان علماً أو صفة أو إشارة، لأغراض كثيرة؛ منها:

1-التنبيه إلى علة الحكم:

وقد جاء هذا الغرض في سورة التوبة في آيات منها:

1)محمد بن سلام الجمحي،(ت231هـ)،طبقات فحول الشعراء، دار المدني، جدة، تحقيق:محمود محمد شاكر، ج2ص23

-قوله ﷻ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾[التوبة:49]

فقد " وضع الظاهر موضع الضمير للنص على أن عقابهم هذا بسبب كفرهم الذي حملهم على هذا الاعتذار." [1]

لقد تم توظيف الاسم الظاهر بدل الضمير في الآية، والمتوقع حسب السياق أن يؤتى بالضمير الدال عليهم، ولكن النص عدل عن ذلك، ليستدل بالاسم الظاهر على حكم الله عزوجل في المنافقين، وأنهم من زمرة الكافرين الذين لا مفر لهم من جهنم، فهي محيطة بهم إحاطة السوار بالمعصم، بسبب كفرهم الظاهر أو الخفي.

قال ابن عاشور: " ووجه العدول عن الإتيان بضميرهم إلى الإتيان بالاسم الظاهر في قوله: [لمحيطة بالكافرين] إثبات إحاطة جهنّم بهم بطريق شبيه بالاستدلال، لأنّ شمول الاسم الكلي لبعض جزئياته أشهر أنواع الاستدلال."[2]

-قوله ﷻ: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[التوبة:47]

قال عبد الفتاح لاشين: " (والله عليم بالظالمين) وضع الظاهر موضع المضمر ـــ والمقام له ـــ للتسجيل عليهم بالظلم، والتشديد في الوعيد، والإشعار بترتب هذا

1)د. عبد الفتاح لاشين، لغة المنافقين في القرآن الكريم، ج1 ص189

2)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص221

الوعيد على الظلم، ثم إن هذه الفاصلة متمكنة في محلها، وصدرت بلفظ الجلالة لتكون مستقلة بنفسها، قائمة بذاتها "[1]

2-**التعميم**: وذلك في قوله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ [التوبة:37]

فقوله: [القوم الكافرين]، هو إظهار في مقام الإضمار، فقد ذكر أعمالهم وما زين لهم، فكان المنتظر أن يقول: والله لايهديهم، ولكنه عدل عن ذلك إلى الإظهار ليفيد أن هذا الحكم عام في كل الكافرين، وأنهم جميعا بفعلهم هذا كافرون، قال ابن عاشور: "والإظهار في مقام الإضمار بقوله: [القوم الكافرين] لقصد إفادة التعميم الذي يشملهم وغيرهم، أي: هذا شأن الله مع جميع الكافرين."[2]

1-الاختصاص:

قوله ﷻ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾[التوبة:51].

لقد" وضع لفظ المؤمنين موضع ضمير المتكلم (فليتوكلوا) ليؤذن بأن شأن المؤمنين اختصاص التوكل بالله تعالى." [3]

---

1)عبد الفتاح لاشين، لغة المنافقين في القرآن الكريم، ج2ص188

2)ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص195

3).عبد الفتاح لاشين، لغة المنافقين في القرآن الكريم، ج1 ص 190

4-التلذذ باستخدام الظاهر مكان الضَّمير:

وذلك في مثل قوله ﷻ: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة:51]

"وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لإظهار التبرك والاستلذاذ به "[1]، وهذا أسلوب عربي معروف، كقول الشاعر (يا حبذا نجد) في قوله:

ويا حبذا نجدٌ على القرب والبُعْدِ ** سقى الله نجداً والسلام على نَجدِ

وفي الختام فإن الضَّمير في استعمالاته كلها في سورة التوبة قد استخدم ليجعل النص القرآني مجاوزا الزمن، ومن خلال الصور الكثيفة التي أبرزها، وبذلك يسمو النص القرآني على أي نص آخر فنيا وجماليا، فاستخدام الضمير كأحد المعارف قد أضفى على النص القرآني امتداداً واسعاً في الدلالة فضلاً عن اكتنازه لمهمة التعريف المخصص، وهو الذي تَمثَّل في الصور السابقة كلها.

تقدم الضمير:

فالأصل في الضمير الدلالة على المخاطب، والتأخر عن المرجع الذي يفسره ويشير إليه؛ ولكنه قد يتقدم عليه؛ وقد يحذف المذكور لأمر بلاغي، ووجوه ذلك كثيرة منها:

أغراض تفهم من السياق والقرائن:

ويستعمل الضَّمير لأغراض بلاغية غير محددة ولا معينة بالقصد؛ وإنما يفهم المراد منها أو المقصود بالتعيين من السياق والقرائن، منها:

1-تصدير الجملة بالضمير:

---

1) المرجع السابق، ج1 ص 190

قد يتصدر الضمير الجملة أو الآية، ويكون الغرض تأكيد المعنى الوارد في السياق، ومن ذلك قوله :

قال عبد الفتاح لاشين: " وتصدير الجملة بالضمير (هم) مما يؤكد معنى التـــردد والتحير "[1]

2-الضمير يعود على مصدر الفعل أو الوصف:

قال ﷻ: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ..﴾ [التوبة:3]، ففي الآية يمكننا أن نلحظ أن الضمير: (فهو) يعود على المصدر المفهوم من الفعل (تبتم)، فيكون تقدير المعنى: فإن تبتم، فالمتاب أو التوب، أو التوبة..[2]

ونجد الضمير يعود على المصدر أيضا في قراءة لابن أبي عبلة لقولـــه ﷻ: (لـــو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا)[التوبة:47]، قرأها: (ما زادكم) بالإفراد، فيؤول عود الضمير على المصدر خروجهم، ليتسق المعنى، ويتعادل التركيب.[3]

3-إجراء الضمير مجرى اسم الإشارة:

ويمكنا التمثيل لذلك بالضمير: الهاء المتصلة بحرف الجر الباء في قوله ﷻ:﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ

---

1)المرجع السابق، ص185.

2) ينظر : محمد عبد الخالق عضيمة،دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ق3ج1ص27.

3) ينظر : المرجع نفسه ، ق3ج1ص38

إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[التوبة:120]، فقد "أفرد الضمير في (به) إجراء له مجرى اسم الإشارة، كأنه قيل: إلا كتب لهم بذلك." [1]

4-عود الضمير على أحد القسمين المذكورين:

قد يعود الضمير على أحد المذكورين السابقين له، كأنهما شيئ واحد، ومثال ذلك في سورة التوبة، قوله ﷻ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[التوبة:62].

فقد جاء "إفراد الضمير في (يرضوه) مع أن المراد يرضوهما... والغرض الدلالة على أن كلا منهما أحق بأن يرضوه من محاولتهم إرضاء المؤمنين بالحلف الكاذب، وعليه يكون الكلام من قبيل عطف الجمل، فتأخذ كل جملة حقها من الدلالة المستقلة "[2].

وفي الآية تقديم لفظ الجلالة الله على الرسول للدلالة على التعظيم والتبرك، وهذا أسلوب القرآن في كل أمر ذي شأن. [3]

"وقوله جل وعز ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾[التوبة:64]، المعنى عند سيبويه: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه ثم حذف كما قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما** عندك راض والرأي مختلف

---

1) ينظر : المرجع السابق، ق3ج1ص47

(2)د.الميداني، ظاهرة النفاق و خبائث المنافقين في التاريخ،، مرجع سابق ج2 ص286

3) ينظر : د.العربي قلايلية، التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية ،رسالة دكتوراه، ص 253

وقال أبو العباس: هو على غير حذف والمعنى (والله أحق أن يرضوه ورسوله) وقال غيرهما: المعنى ورسول الله أحق أن يرضوه "[1]

قال الزجاج في معاني القرآن [2]: " و لم يقل يرضوهما ؛ لأن المعنى يدل عليه، فحذف استخفافا "

وقال الزمخشري: " وحد الضمير ؛ لأنه لا تفاوت بين رضاء الله ورضاء رسوله ﷺ ، فكانا في حكم رضى واحد ؛ كقولك إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني "[3]

وذهب الزمخشري إلى تأويل آخر، وهو أن في الآية تقديما وتأخيرا فيكون التقدير: " والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك "[4] وهذا مذهب المبرد[5] أيضا، وعلى هذا التأويل يكون تقديم لفظ الجلالة فيه دلالة على التعظيم والتبرك [6].

5-الضمير يعود على مصدر الفعل:

قوله ﷻ: فإن تبتم فهو خير لكم " [التوبة:3] (فهو) عائد على المصدر المفهوم من الفعل، أي المتاب أو التوب، أو التوبة "[7]

---

1) ينظر : النحاس،أبو جعفر، معاني القرآن،جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ، تحقيق :محمد علي الصابوني، ج 3 ص228

2)ينظر :معاني القرآن للفراء ج1ص445، ينظر : ينظر : محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ق3ج1ص62

3) ينظر : الزمخشري، الكشاف، ج2 ص199.

4) ينظر:المصدر نفسه،ج2ص199.

5) ينظر :المصدر نفسه، ق3ج1ص63.

6) ينظر :د. العربي قلايلية، التقديم والتأخير، ص 253.

7) محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج1 قسم 1 ص 27.

6-ضمير الجمع:

قال الله ﷻ :

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾[التوبة:36]

الضمير في (فيهن) عائد على (الاثنا عشر)، كما هو قول ابن عباس[1] فالضمير يرجع إلى جميع الشهور، وقيل: الضمير يعود على الأربعة، لأنها أقرب مذكور، وفيها مناسبة لتعظيم الظلم وتجريمه فيها خاصة [2].

ويؤيد الرأي الثاني " كون الضمير جاء بلفظ (فيهن) و لم يجئ بلفظ (فيها) كما جاء (منها أربعة حرم) لأنه تقرر في علم العربية أن الهاء تكون لما زاد على العشرة، وتعامل في الضمير معاملة الواحدة المؤنثة ؛ فتقول الجذوع انكسرت، وأن النون والهاء والنون للعشرة فما دونها إلى الثلاثة، تقول: الأجذاع انكسرن، هذا هو الصحيح، وقد يعكس قليلا، فيقال: الجذوع انكسرن، والأجذاع انكسرت." [3]

---

1) أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله {إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله} ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرم وعظم حرماتهن، وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم، {فلا تظلموا فيهن أنفسكم} قال: في كلهن" ينظر :جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، 1993ج4ص187.

2) ينظر: التبيان في إعراب القرآن،أبو البقاء محب الدين عبدالله بن أبي عبدالله العكبري (ت616هـ)، ج 2 ص 14-15، وينظر : تفسير القرطبي، ج8 ص134.

3) ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ق3ج1ص65

قال الألوسي:" والضمير راجع إلى الأشهر الحرم وهو المروي عن قتادة واختاره الفراء وأكثر المفسرين وقيل هو راجع إلى الشهور كلها أي فلا تظلموا أنفسكم في جميع شهور السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات أو لا تجعلوا حلالها حراما وحرامها حلالا كما فعل أهل الشرك ونسب هذا القول لابن عباس رضي الله تعالى عنهما." (1)

7-ضمير الشأن:

قوله جل جلاله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾[التوبة:63]

" الضمير في (أنه) ضمير الشأن الخطير العظيم"(2)

قوله عز وجل: ﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:117]

قال الألوسي تعليقا على هذه معاني هذه الآية: "...وفي كاد ضمير الشأن و قلوب فاعل يزيغ والجملة في موضع الخبر لكاد ولا تحتاج إلى رابط لكونها خبرا عن ضمير الشأن وهو المنقول عن سيبويه... » (3)

1) ينظر : الآلوسي، روح المعاني، ج10ص91

2) ينظر : الميداني، ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، مرجع سابق ج2 ص287

3) ينظر : الآلوسي، روح المعاني، ج11 ص40، وتفسير النسفي، ج2ص113.

ثانيا: بنية الأفعال

تمهيد: لقد قرّر علماء العربية قديما بأن الأفعال أثقل من الأسماء [1]، وعلّلوا ذلك بأن الأسماء أكثر استعمالا من الأفعال، والشيء إذا كثر استعماله على الألسنة خفّ، وقد حكى هذا الرأي عن ابن النحاس[2]. ولعلّهم لهذه الغاية اعتنوا بتصريف الأفعال ووضعِ ميزانٍ يرجعونها إليه، فلم يخرج عن موازينهم إلا ما ندر، فجعلوه من قبيل ما لا يقبل القياس، وأن مرده إلى السماع، وقد قال ابن مالك في مقدمة لامية الأفعال[3]:

وبعد فالفعل من يُحكم تصرفه يحز من اللغة الأبواب والسُّبُلا

ولّما كانت الأفعال تدل على الحدث، فقد جاءت سورة التوبة حبلى بالأفعال، بمختلف صيغها، لأن المحور الأساس لموضوعها، هو رصد الأحداث التي وقعت بمناسبة غزوة تبوك، وكشف أفعال المنافقين الظاهرة والخفية. فلا غرابة أن نجد السورة قد اشتملت على 618 فعلا بالمكرر من مجموع كلمات سورة التوبة، البالغ عددها: 2505 [4]وهو ما يعني أن الأفعال تمثل نسبة 24.67%، وهي تمثل ربع كلمات السوة بالتقريب، وهو ما يدل على الحركية في تصوير الأحداث، مرتبطة بأزمنتها، مما يضفي على السورة طابع الحيوية، وإثارة الانتباه.

---

1) ينظر: السيوطي،جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، ج1 ص324

2) ينظر:المصدر نفسه، ج1 ص324

3)ينظر:شرح يحرق اليمني الكبير على لامية الأفعال، ص7.

4)أسقطت في الحساب بعض حروف المعاني كالواو والفاء العاطفة والباء واللام من حروف الجر، ونحوها من الحروف التي تلتصق بالكلمات وليست من أصولها ولا من زوائدها، ويصعب فصلها عنها وعدّها.

1ــ الصيغ الصرفية البسيطة:

لما كانت أكثر الكلمات العربية يتكون من ثلاثة حروف، فإن علماء العربية وضعوا مقياسا يعرفون به أحوال بنية الكلمة، سموه الميزان الصرفي، وهو مكون من ثلاثة أصول: (ف ع ل)، فالفاء تقابل الحرف الأول من الكلمة، والعين تقابل الحرف الثاني، واللام يقابل الحرف الثالث من الكلمة. ويسمون الحرف الأول: فاء الكلمة، والثاني عين الكلمة، والثالث لام الكلمة [1].

والأفعال لها صيغ وأوزان توزن بها، ولها وظيفة فنية ؛ "فهي أوزان موسيقية أي أن كل بناء منها ذو نغمة موسيقية ثابتة، تدركها بسهولة ويسر"[2]وتتلخص مباحث تصريف الأفعال في: التجرد والزيادة، والصحة والإعلال، وكيفية اشتقاق المضارع والأمر من الماضي، وعكسه، وفي الجمود والتصرف وفي التعدي واللزوم، وفي البناء للفاعل أو البناء للمفعول، ومن حيث كونه مؤكدا أو غير مؤكد [3]..

وهذه الدراسة لا تتسع هذه المباحث كلها، ولذلك وجب الاقتصار على أكثرها تداولا في سورة التوبة.

فمن خلال دراسة إحصائية لجميع أفعال السورة، وجدنا أن أكثرها تواترا الفعل المضارع 305 مرة، ثم الفعل الماضي 276مرة، أما الأمر فقد جاء55 مرة. ولقراءة هذه الأرقام قراءة تفسيرية، يمكننا القول أن السورة هيمن على

---

1) ينظر : محمد سالم محيسن، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1، 1987،ص 28 وينظر:د.عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، ص 10، وينظر أيضا : شرح ابن هشام الكيلاني على التصريف العزي، ص3.

2)ينظر:د. أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992، ص230.

3) ينظر: يحق اليمني الكبير، شرح لامية الأفعال لابن مالك، دار رحاب، الجزائر، (د.ت)، ص 8–9.

أسلوبها الخطاب الواقعي، الذي يبحث أو يسائل غيره ويناقشه أو يوبخه فيما هو واقع حادث، أو وقع في الماضي، ولكنه مستمر في الأداء.

ولما كان من الصعب الممتنع، دراسة هذه المباحث جميعا وتطبيقاتهـــا في القرآن، وفق طبيعة هذا البحث ومنهجه في هذه المرحلة، تعين أن تكون الدراسة قاصرة على أكثر صيغ الأفعال شيوعا في سورة التوبة.

وهذه بعض الصيغ التي وظفت في السورة لإبراز هذا الجانب الفني في تصوير المنافقين:

1-أبنية الثلاثي المجرد:وهو ما كان على هذه الصيغة: [ف ع ل] مـــن الفعل الماضي الثلاثي المجرد وله في سورة التوبة الأبنية التالية:

الأول: صيغة [فَ عَ ل] بفتح العين:

وقد جاء في سورة التوبة من هذه الصيغة مما أصله من الماضي الثلاثي الأفعـــال الآتية: (اقْعُدُواْ [2]، انْفِرُواْ[2]، أَجَعَلْتُمْ، تُتْرَكُـــواْ، تَحْـــذَرُونَ، تَخْرُجُـــواْ، تَزْهَقَ[2]، تَظْلِمُواْ، تَفْتِنِّي، تَكْنِزُونَ، تَنصُرُوهُ، تَنفِرُواْ[2]، جَعَـــلَ، خَرَجُـــواْ، خَلَطُواْ، رَجَعْتُمْ، رَّجَعَكَ، رَجَعُواْ، سَقَطُواْ، صَدَقُواْ، طُبِعَ، طَعَنُواْ، ظَهَرَ، فَاقْتُلُواْ، فَاقْعُدُواْ، فَيَقْتُلُونَ، قَعَدَ، كَتَبَ، كُتِبَ[2]، كَذَبُواْ، كَفَـــرْتُم، كَفَـــرُواْ[11]، كَنَزْتُمْ، لِتَحْمِلَهُمْ، لَخَرَجْنَا، لَعَنَهُمُ، لَيَحْلِفُنَّ[2]، لِيَظْلِمَهُمْ[2]، لِيَعْبُـــدُواْ[2]، لِيَنفِرُواْ، مَرَدُواْ، نَصَحُواْ، نَصَرَكُمُ، نَصَرَهُ، نَّظَرَ، نَقَمُواْ، نَّكَثُواْ، وَطَبَعَ، يَجْمَحُونَ، يَحْذَرُ، يَحْذَرُونَ، يَحْلِفُونَ[4]، يَظْلِمُونَ، يَظْهَرُوا، يَعْمُرُ، يَعْمُرُواْ، يَغْفِرَ، يُفْتَنُونَ، يَقْبِضُونَ، يُقْتَلُونَ، يَقْطَعُونَ، يَكْذِبُونَ، يَكْسِبُونَ[2]، يَكْنِزُونَ، يَلْمِزُكَ، يَلْمِزُونَ، يَنصُرْكُمْ، يَنقُصُوكُمْ سَيَحْلِفُونَ، سَيَحْلِفُونَ].

ومن دلالات هذه الصيغة:

-**الاتخاذ:** كَتَبَ، كُتِبَ[2]، وَطَبَعَ،

-**الاستقرار واللزوم:** اقْعُدُواْ[3]، صَدَقُواْ، قَعَدَ، مَرَدُواْ، لَيَحْلِفنَّ[2]، يَحْلِفُونَ[4]، سَيَحْلِفُونَ[2]،

-**الامتناع:** تُتْرَكُواْ، تَحْذَرُونَ، يَجْمَحُونَ، يَحْذَرُ، يَحْذَرُونَ، يَقْبِضُونَ،

-**الإصابة:** لَعَنَهُمُ، يَكْسِبُونَ[2]،

-**الإيذاء:** تَفْتِنِّي، طَعَنُواْ، فَاقْتُلُواْ، فَيَقْتُلُونَ، يُفْتَنُونَ، يُقْتَلُونَ، يَلْمِزُكَ، يَلْمِزُونَ،

-**التجاوز:** يَظْلِمُونَ، نَّظَرَ، لِيَظْلِمَهُمْ [2]،

-**التحول:** انْفِرُواْ[2]، تَخْرُجُواْ، تَنفِرُواْ، خَرَجُواْ، رَجَعْتُمْ، رَّجَعَكَ، رَجَعُواْ، سَقَطُواْ، لِتَحْمِلَهُمْ، لَخَرَجْنَا، لِيَنفِرُواْ،

-**الستر والخفاء:** تَكْنِزُونَ، كَذَبُواْ، كَفَرْتُم، كَفَرُوا[11]، كَنَزْتُمْ، يَغْفِرَ، نَقَمُواْ، يَكْذِبُونَ،

-**الجمع:** خَلَطُواْ، يَعْمُرُ، يَعْمُرُواْ، يَقْرَبُواْ، يَكْنِزُونَ،

-**الإنالة:** لِيَعْبُدُواْ[2]،

-**التحويل:** أَجَعَلْتُمْ، جَعَلَ، طُبِعَ،

-**التفريق:** نَّكَثُواْ، يَقْطَعُونَ،

-**الدفع:** تَزْهَقَ[2]، الإعطاء، نَصَحُواْ.

وما يمكن ملاحظته أن بعض المعاني من هذه الصيغة، يبرز على غيره، من حيث عدد التكرار والتواتر، وما ذلك إلا بسبب سياق السورة، الذي يضع في أولوياته تصوير نموذج المنافقين، ولذلك نجد أن معنى التحول جاءت به 12

صيغة، ومعنى الاستقرار واللزوم تكرر12مرة، ومعنى الستر والخفاء تكرر18مرة، ومعنى الإيذاء تكرر مع الصيغة 8مرات، ومعنى الامتناع 6مرات.

وفي هذه المعاني كلها تصوير لما كان عليه المنافقون من الإيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، وامتناعهم عن الإقرار بالحق، وتسترهم وإخفائهم لكفرهم، ولزوم الكفر لهم بقعودهم عن الجهاد وحلفهم واعتذارهم بالأيمان الكاذبة التي هي صفة لازمة لهم، كما أنهم يأبون التحول عماهم عليه من النفاق والتخلف عن الجهاد.

الثاني:[فَ عِ ل] بفتح الفاء وكسر العين:

وما كان أصل ماضيه الثلاثي بهذه الصيغة، فقد جاء على النحو الآتي: [اعْلَمُواْ[2]، اعْلَمُواْ، اعْمَلُواْ، أَذِنتَ، بَخِلُواْ، تَحْزَنْ، تَعْلَمَ، تَعْلَمُهُمْ، تَعْلَمُونَ، تَعْمَلُونَ[3]، تُقْبَلَ، حَبِطَتْ[2]، حَبِطَتْ، حَسِبْتُمْ، رَضُواْ[5]، رَّضِيَ، رَضِيتُم، سَخِرَ، سَيَرْحَمُهُمُ، فَاعْلَمُواْ، فَرِحَ، فَلْيَضْحَكُواْ، فَنَسِيَهُمْ، فَيَسْخَرُونَ، كَرِهَ[3]، لِتَرْضَوْاْ، لِيُؤْذَنَ[2]، نَعْلَمُهُمْ، نَلْعَبُ، وَاعْلَمُواْ، وَكَرِهُواْ، يَخْشَ، يُرْضُونَكُم، يُرْضُوهُ، يَرْضَى، يَرْغَبُواْ، يَرْقُبُواْ، يَرْقُبُونَ، يَسْخَطُونَ، يَسْمَعَ، يَشْهَدُ، يَعْلَمِ[3]، يَعْلَمُواْ[4]، يَعْلَمُونَ[3]، يَعْمَلُونَ[2]، يَفْرَقُونَ، يَفْقَهُونَ[3]، يَقْبَلُ، يَلْقَوْنَهُ، يَقْرَبُواْ، يَلُونَكُم].

وللتمثيل نذكر الفعل (رضي)، قال ابن عاشور:" واختير فعل {رَضيتم} دون نحو آثرتم أو فضّلتم: مبالغة في الإنكار، لأن فعل (رضي بكذا) يدلّ على

انشراح النفس، ومنه قول أبي بكر الصديق في حديث الغار «فشرب حتّى رضيت»"[1]

الثالث: [فَ عُ ل] بفتح الفاء وضم العين:

وما كان أصل ماضيه الثلاثي بهذه الصيغة، فقد جاء على النحو الآتي: [بَعُدَتْ، رَحُبَتْ، رَحُبَتْ].

الرابع: صيغة [ف ع ل] المعتل:

جاءت صيغة [ف ع ل] المعتل، في سورة التوبة في الأفعال الآتية:

(بَنَوْا، تَابَ[3]، تَابُواْ[2]، تُبْتُمْ، تَجْرِي[3]، تَخْشَوْنَ، تَخْشَوْهُ، تَرْضَوْا، تَرْضَوْنَهَا، تَرَوْهَا[2]، تَفِيضُ، تَقُمْ[2]، تَقُومَ، خَاضُواْ، خُضْتُمْ، ضَاقَتْ[3]، عَفَا، فَتُكْوَى، فَذُوقُواْ، فَزَادَتْهُمْ[2]، فَسِيحُواْ، فَقُل[2]، قَالَتِ[2]، قَالُواْ[5]، قُل[10]، قُلْتَ، قِيلَ[2]، كَانَ[9]، كَانُواْ[11]، كُنَّا، كُنتُم[7]، كُونُواْ، لَنَكُونَنَّ، لْيَبْكُواْ[2]، لِيَتُوبُواْ[2]، لِيَجِدُواْ[2]، لِيَجْزِيَهُمُ[2]، لِيُرْضُوكُمْ[2]، لَيَقُولُنَّ، مَّاتَ، مَاتُواْ[2]، نَخُوضُ، نَسُواْ، نَّعْفُ، نَكُن، هَدَاهُمْ، وَعَدَ[2]، وَعَدَهَا، وَعَدُوهُ، يَبْغُونَكُمُ، يَتُوبُ[4]، يَتُوبُواْ، يَتُوبُونَ، يَجِدُواْ، يَجِدُونَ[3]،

---

1)ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج10ص198، وينظر: حديث: «فشرب حتّى رضيت» في صحيح البخاري(رقم:2259)، كتاب الأطعمة، باب: من عرف اللقطة ولم يدفعها إلى السلطان ،ونصه: " عَنْ الْبَرَاءِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ انْطَلَقْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ يَسُوقُ غَنَمَهُ فَقُلْتُ لِمَنْ أَنْتَ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ فَسَمَّاهُ فَعَرَفْتُهُ فَقُلْتُ هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ فَقَالَ نَعَمْ فَقُلْتُ هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لِي قَالَ نَعَمْ فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِهِ ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ ضَرْعَهَا مِنْ الْغُبَارِ ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ فَقَالَ هَكَذَا ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالْأُخْرَى فَحَلَبَ كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ وَقَدْ جَعَلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَةٌ فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ فَأَتَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ"

يُحْمَى، يَدينُونَ، يَزَالُ، يَزِيغُ، يَشْفِ، يُضِيعُ، يَغِيظُ، يَقُولُ[3]، يَقُولُواْ، يقُولُونَ، يَكُ، يَكُونُ، يَكُونُواْ[3]، يُمِيتُ، يَنَالُواْ، يَنَالُونَ، يَنْهَوْنَ[2]، وَجَدتُّمُوهُمْ، يَهْدِي[5]).

فالمعتل في أوله ويسمى المثال[1]: (لِيَجِدُواْ[2]، وَعَدَ[2]، وَعَدَهَا، وَعَدُوهُ، يَجِدُواْ، يَجِدُونَ[3]، وَجَدتُّمُوهُمْ). أما المعتل الوسط، ويسمى الأجوف[2]، فقد جاء منه:104 فعلا، وأما المعتل الآخر، ويسمى الناقص، فقد جاء منه في السورة:30 فعلا.

خامسا: الفعل الثلاثي المهموز:

جاء منه في السورة الأفعال الآتية:

(ائْذَن، أَتَتْهُمْ، أَتَوْكَ، أَخَذْنَا، أُمِرُواْ، بَدَؤُوكُمْ، تَأْبَى، جَاء[2]، جَاءكُمْ، سَاء، سَأَلْتَهُمْ، سَيَرَى، شَاء، فَسَيَرَى، وَيَأْبَى، يُؤْفَكُونَ، يَأْتِهِمْ، يَأْتُونَ، يَأْتِيَ، يَأْخُذُ، يَأْمُرُونَ[2]، يَرَاكُم، يَشَاء[2]، يَطَؤُونَ، خُذْ، خُذُوهُمْ، أَخَذْنَا، أَذِنتَ، أُمِرُواْ، أَيَّدَهُ، أَتَتْهُمْ، أَتَوْكَ، بَدَؤُوكُمْ، تَسُؤْهُمْ، لَيَأْكُلُونَ، لَيَأْكُلُونَ، جَاء[2]، جَاءكُمْ، خُذْ، خُذُوهُمْ، لِيُؤْذَنَ[2]).

2-أبنية الثلاثي المزيد:

أ ــ صيغة أفعل:

---

1)سمي بذلك لأن ماضيه مثل السالم في الصحة، وعدم الإعلال، ينظر: محمد سالم محيسن، تصريف الأسماء والأفعال في ضوء أساليب القرآن، ص**105**

2)وسمي بذلك لخلو جوفه، أي وسطه من الحرف الصحيح، ينظر:المرجع السابق، ص**106**.

أكثر ما جاءت له صيغة (أفعل) هو للدلالة على التعدية، وجاءت في أفعال كثيرة للدلالة على اللزوم، وتعتبر هذه الصيغة من أكثر صيغ الزوائد وقوعا في القرآن.[1]

وقد تجسدت صيغة (أفعل) في سورة التوبة من خلال الأفعال الآتيـــة: (آتانَا، آتاهُم[2]، آتوْاْ[2]، آتى، آمَنَ[2]، آمَنُواْ[12]، أَخْرَجَهُ، أَخْلَفُـــواْ، أَرَادُواْ، أَرَدْنَا، أَرْسَلَ، أَسَّسَ [2]، أُسِّسَ، أَعْجَبَتْكُمْ، أَعَدَّ[2]، أُعْطُواْ، أَغْنَاهُمُ، أَقَامَ، أَقَامُواْ[2]، أَنزَلَ[2]، أُنزِلَتْ[3]، أَنفقُواْ، أُوتُواْ، اغْلُظْ، تُعْجِبْكَ[2]، تُغْنِ، سَيُؤْتِينَا، سَيُدْخِلُهُمُ، سَيُصيبُ، فَأَتمُّواْ، فَأَعْرِضُواْ، فَأَعْقَبَهُمْ، فَيُحِلُّواْ، لأَعَـــدُّواْ، لأَوْضَعُواْ، لتُعْرِضُواْ، لِيُظْهِرَهُ[2]، لِيُنذِرُواْ، نُّؤْمِنَ، وَأَنزَلَ، يُؤْتُونَ، يُؤْذُونَ[2]، يُؤْمِنُ[3]، يُؤْمِنُونَ[3]، يُتِمَّ، يُحِبُّ[3]، يُحِبُّونَ، يُحِلِّونَهُ، يُحْيِـــي، يُخْـــزِهِمْ، يُذْهِبْ، يُرِيدُ[2]، يُرِيدُونَ، يُصِيبَكُمُ، يُصِيبَنَا، يُصِيبُهُمْ، يُطْفِؤُواْ، يُطِيعُونَ، يُعْطَوْاْ، يُعْطُواْ، يُغْنِيكُمُ، يُقِيمُونَ، يُنفِقُ[2]، يُنفِقُونَ[4]، يُنفِقُونَهَا، فَأَجِرْهُ، يُـــشْرِكُونَ، يُهْلِكُونَ، تُصِبْكَ[2]).

وقد جاءت هذه الصيغة للدلالة على معان عدة منها:

1-الدلالة على التعدية، نحو: أخرجه، أخلفوا أجبتكم، أعدّ، أقام، أقاموا، أنزل، ونحوها.

2-الدلالة على ما اشتق منه الفعل، نحو: آمن، أي صار ذا إيمان، ونحو: فأجره أي صارفي إجارة، ونحو: يشركون، ويهلكون، أي صاروا كذلك.

---

1)ينظر:محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج1ص38-39

وقد جاء من معاني (أفعل) الوصول إلى المكان، كأنجد وأعرق، والدخول في الوقت كأصبح وأمسى، والسلب، كأعجمت الكتاب بمعنى أزلت عجمته، والتعريض، وكل ذلك استعمل في القرآن الكريم.[1]

ب ــ صيغة فاعل:لقد جاءت صيغة (فاعل) على النحو الآتي: (بَايَعْتُم، تُقَاتِلُواْ، تُقَاتِلُونَ، جَاهَدَ[2]، جَاهِدُواْ[3]، جَاهَدُواْ[4]، حَارَبَ، عَاهَدَ، عَاهَدتُّم، عَاهَـــدتُّم، عَاهَـــدتُّمْ، فَقَاتِلُواْ، قَاتَلَهُمُ، قَاتِلُواْ[3]، قَاتِلُوهُمْ، لِّيُوَاطِؤُواْ، هَـــاجَرُواْ، يُجَاهِـــدُواْ[2]، يُحَـــادِدِ، يُضَاهِؤُونَ، يُظَاهِرُواْ، يُقَاتِلُونَ، يُقَاتِلُونَكُمْ).

ومن دلالات هذه الصيغة في سورة التوبة ما يأتي:

1- الدلالة على المفاعلة، نحو: تُقَاتِلُواْ، تُقَاتِلُونَ، جَاهَـــدَ[2]، جَاهِـــدُواْ[3]، جَاهَدُواْ[4]، حَارَبَ.

2-الدلالة على التكثير، نحو: يحادد، يظاهروا، يُضَاهِؤُونَ

والملاحظ أن جميع أفعال هذه الصيغة، محورها القتال والجهاد، ولعلّ السبب في ذلك، أن سورة التوبة، نزلت بسبب غزوة تبوك، وما لازمها من تخلف المتخلفين من المنافقين، فناسب ذلك كله أن يكون الحث على القتال والجهاد، وفي الوقت نفسه تصوير تخاذل المنافقين وتآمرهم، وأن يكون بعض ذلك بريشة المفاعلة التي تفيد المشاركة، وللدلالة على أن كل طرف في المجتمع الإسلامي يؤثر في غـــيره ويتأثر به..

1)ينظر:محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج1ص38-39

ج ــ **صيغة فعّل**:أكثر استعمال صيغة (فعَّل) و ما تصرف منها في القرآن الكريم كان للتعدية والتكثير[1]، وكذلك الحال في سورة التوبة، وقد تأتي هذه الصيغة لأغراض فنية ودلالية أخرى.

وتأتي المضاعفة للدلالة على قوة الفعل، كما في كلمة "قلّبوا" في قوله ﷻ: ﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ ﴾[التوبة:48]، والكلمة بهذه المضاعفة والمبالغة تُصوِّر المنافقين وقد أكثروا التقليب وترددوا في آرائهم وأعملوا المكائد والحيل للإضرار بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين.[2]

وتحتمل هذه الكلمة "قلّبوا" أن تكون مبالغة في قلب الأمر إذا أخفى ما كان ظاهرا منه وأبدى ما كان خفيّا، كقولهم: (قَلب له ظهر المجن)"[3].

وتأتي صيغة فعّل لتستعمل في جعل المفعول متصفا بمصدر الفعل، ومن ذلك ما جاءت به صيغة:"حرّم"في قوله ﷻ:﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التوبة:29] قال ابن عاشور:"وقوله: ﴿ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله﴾. بمعنى لا يجعلون حراماً ما حرّمه الله فإنّ مادة فعَّل تستعمل في جعل المفعول متّصفاً بمصدر الفعل، فيفيد قوله: ﴿ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله﴾ أنّهم يجعلونه غير

---

1)ينظر:المرجع نفسه، ج1ص250.

2)ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص219.

3)ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص219،ومعنى (قلب له ظهر المجن) أي انقلب عما كان عليه من وده والمجن الترس ينظر: أبو هلال العسكري،كتاب جمهرة الأمثال، دار الفكر، 1988،ط الثانية، محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش،ج: 2 ص: 125.

حرام والمراد أنّهم يجعلونه مباحاً، والمقصود من هذا تشنيع حالهم وإثارة كراهيتهم لهم بأنهم يستبيحون ما حرمه الله على عباده"[1]

وقد تجسدت صيغة (فعّل) في الأفعال الآتية:

(أَيَّدَهُ، بَشِّر[2]، تُرَدُّونَ، تُزَكِّيهِم، تُصَلِّ، تَضُرُّوهُ، تُطَهِّرُهُمْ، تُنَبِّئُهُمْ، تُنَزَّلَ، حَرَّمَ، حَرَّمَ، حَرَّمَ، خُلِّفُواْ، سَنُعَذِّبُهُم، صَلِّ، ظَنُّواْ، عذَّبَ، فَبَشِّرْهُم، فَتَبَّطَهُمْ، فَخَلُّـــواْ، فَيُنَبِّئُكُم، فَيُنَبِّئُكُم، قَلَّبُواْ، لَّوَلَّوْاْ، لَّوَلَّوْاْ، لِيُضِلَّ، لِيُضِلَّ، لِيُعَذِّبَهُم، نَبَّأَنَا، نُعَذِّبْ، نُفَصِّلُ، وَلَّيْتُم، يُبَشِّرُهُمْ، يُبَشِّرُهُمْ، يُبَيِّنَ، يُحَرِّمُـــونَ، يُحَرِّمُونَـــهُ، يُـــرَدُّونَ، يَصُدُّونَ، يُضَلُّ، يُعَذِّبْكُمْ، يُعَذِّبَهُم، يُعَذِّبْهُمْ، يُعَذِّبْهُمْ، يُعَذِّبْهُمْ، يُعَـــذِّبَهُم، تُصَلِّ).

د ــ صيغة انفعل:

يأتي بناء "انفعل" للدلالة على المطاوعة، وأكثر ما يكون مطاوعة للفعـــل الثلاثي المجرد"فَعَل"، نحو: انسَلَخَ، انصَرَفُواْ، انقَلَبْتُمْ، انهار.

وقد تضمنت هذه الصيغة، معنى المفارقة والتبدل من حال إلى حال في كل من: انسلخ وانصرفوا، انقلبتم، وانهار.

قال في البحر المحيط:" الانقلاب: الانصراف والارتجاع، وهو للمطاوعة، قلبته فانقلب"[2]

أما "انهار" هنا، فهي لغير المطاوعة كانطلق؛ لأنه "لا يستعمل(انفعل) في المطاوعة إلا إذا كان فيه علاج وانفعال مثل كسرته فانكسر"[1]، قال

---

1) ينظر:المصدر السابق، ج10ص165

2)ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج1ص418.

الزمخشري:" لما جعل الجرف الهائر مجازاً عن الباطل قيل: فانهار به في نار جهنم، على معنى: فطاح به الباطل في نار جهنم، إلاّ أنه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف، وليصور أنّ المبطل كأنه أسس بنياناً على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها. والشفا: الحرف والشفير. وجرف الوادي: جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهياً. والهار: الهائر وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط. ووزنه فعل، قصر عن فاعل، كخلف من خالف. ونظيره: شاك وصات، في شائك وصائت. وألفه ليست بألف فاعل، إنما هي عينه. وأصله هور وشوك وصوت."(2)

هـ. صيغة افتعل:

إن هذه الصيغة لها دلالات مختلفة، منها:

1-الدلالة على المطاوعة: فإن (افتعل) يطاوع الفعل الثلاثي(فعل)، وذلك نحو: ابْتَغَوُاْ:[يطاوع بَغَوا]، تَعْتَذِرُواْ:[يطاوع:عذر]، اعْتَرَفُواْ:[يطاوع:عرف]، يَعْتَذِرُونَ، تَعْتَذِرُواْ:[يطاوعان:عذر]، يَنتَهُونَ:[يطاوع:نهى]، يَتَّقُونَ:[يطاوع:وقى]، اشْتَرَوْاْ، اشْتَرَى:[يطاوعان:شرى]، اتَّخَذُواْ[2]يطاوع معنى:أخذ.

2-الدلالة على الاتخاذ: نحو: تَتَّخِذُواْ، يَتَّخِذُ[2]، يَتَّخِذُواْ، يَتَّقُونَ.

---

1)ينظر: أحمد بن محمد بن علي المقري(ت770هـ)، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت)، ج 1 ص 57.

2)ينظر:الزمخشري، الكشاف، ج2 ص215.

3-الدلالة على التصرف والاكتساب باجتهاد ومبالغة، نحو: ابْتَغَوُاْ، "يقال: بغيت الشيء: إذا طلبت أكثر ما يجب، وابتغيت كذلك"[1]. ونحو: اقْتَرَفْتُمُوهَا، ففيها معنى التصرف والاجتهاد في الاكتساب، قال في البحر المحيط:"وأموال اقترفتموها أي اكتسبتموها، لأن الأموال يعادل حبها حب القرابة، بل حبها أشد، كانت الأموال في ذلك الوقت عزيزة، وأكثر الناس كانوا فقراء"[2].

و- صيغة تفعّل:

وأمّا(تفعّل) فمن دلالاتها في سورة التوبة ما يلي:

1-الدلالة على المطاوعة، وهو يطاوع (فعّل) المضعف، نحو: تَقَطَّعَ: يطاوع الفعل(قطّع)، لِّيَتَفَقَّهُواْ: يطاوع الفعل:(فقّه)، يَتَخَلَّفُواْ:يطاوع الفعل:(خلّف)، يَتَطَهَّرُواْ: يطاوع الفعل:(طهَّر).

2-الدلالة على التكلف، نحو: لِّيَتَفَقَّهُواْ[2]، يَتَطَهَّرُواْ، يَذَّكَّرُونَ.

3-الدلالة على الطلب، نحو: تَبَرَّأَ، تَبَيَّنَ[2]، تَرَبَّصُونَ، لَنَصَّدَّقَنَّ، لِّيَتَفَقَّهُواْ[2]، يَتَبَيَّنَ، يَتَخَلَّفُواْ، يَذَّكَّرُونَ.

ز- صيغة استفعل:

فالألف والسين والتاء تكون في صيغة (استفعل)، وهي تأتي لمعاني عدة منها[3]:

1-الطلب:

---

1) ينظر:محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج1ص489

2) ينظر:أبو حيان، البحر المحيط، ج2 ص391.

3)ينظر:د.عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، (د.ت)، ص40-41، وينظر أيضا:محمد سالم محيسن، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، ص83، وينظر:عبد الحميد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، 135.

ومثاله " اسْتَغْفِرْ " في قولـــه ﷻ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة:80] ومنه قوله:﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّـــنَ الْمُـــشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ﴾[التوبة:6].

قال ابن عاشور:"والاستجارة: طلب الجوار، وهو الكون بالقرب، وقد استعمل مجازاً شائعاً في الأمن، لأنّ المرء لا يستقر بمكان إلاّ إذا كان آمناً، فمن ثم سمّوا المؤمِّن جاراً، والحليفَ جاراً، وصار فعل أجَار بمعنى أمَّن، ولا يطلق بمعنى جعَلَ شخصاً جاراً له. والمعنى: إنْ أحد من المشركين استأمنك فأمنه."[1]

ومنه قوله: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُـــل لَّـــن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة:83]

وقوله: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُـــواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:86]

ومنه قوله:﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:114]

---

1)ينظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج **10**ص**118**.

2-**التأكيد**: وذلك في قوله ﷻ: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[التوبة:39]، فقوله [يستبدل] أي يبدل، فالسين والتاء للتأكيد.[1] والكلمة فيها دلالة على معنى التحول، أي ويحول أمركم وعزكم إلى غيركم، فيكونون بدلا عنكم، وهو المعنى الذي أظهرته حروف(الألف والسين والتاء) وذلك نحو قولهم في المثل:"إن البغاث بأرضنا يستنسر"[2].

ومنه قوله: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:42].

"وقد زيدت عوضا في اسطاع وفي هذه الكلمة أربع لغات أطاع وأسطاع بقطع الهمزة واسطاع بوصلها واستطاع بالتاء ولغة خامسة استاع..."[3]

3-**التحول**: ومن ذلك قوله:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة:23]

---

1) ينظر : المصدر السابق، ج **10**ص**200**.

2)البغاث ضرب من الطير وفيه ثلاث لغات الفتح والضم والكسر، والجمع بغثان، واستنسر صار كالنسر في القوة عند الصيد بعد أن كان من ضعاف الطير يضرب للضعيف يصير قويا وللذليل يعز بعد الذل. ينظر: أبو الفضل النيسابوري(ت**518**هـ)، مجمع الأمثال، دار المعرفة، بيروت، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد، ج **1** ص **10**.

3)ينظر:أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين(ت**616**هـ)، اللباب في علل البناء والإعراب، دار الفكر، دمشق، ط**1**، **1995**، تحقيق:غازي مختار طليمات، ج**2** ص**277**.

قال أبو حيان: "وقرأ عيسى بن عمران: استحبوا بفتح الهمزة جعله تعليلاً، وغيره بكسر الهمزة جعله شرطاً. ومعنى استحبوا: آثروا وفضلوا، استفعل من المحبة أي طلبوا محبة الكفر. وقيل: بمعنى أحب. وضمن معنى اختار وآثر، ولذلك عـــديَ بعلى. "[1]

قال الراغب الأصفهاني:"وحقيقة الاستحباب: أن يتحرى الإنسان في الشيء أن يحبه، واقتضى تعديته ب (على) معنى الإيثار، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت:17]"[2]

4-**الكثرة والقوة والمبالغة**: ومنه قوله:﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة:69]

1)ينظر: أبو حيان(ت754هـ)، البحر المحيط، ج5ص 391.

2)ينظر:محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج2ص231.

قال ابن عاشور:"والاستمتاع: التمتّع، وهو نوال أحدٍ المتاعَ الذي بـــه التـــذاذ الإنسان وملائمه وتقدّم عند قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ في [سورة الأعراف:24]، والسين والتاء فيه للمبالغة في قوة التمتّع."[1]

والمقام هنا مقام تصوير مبالغة الكافرين والمنافقين في التمتع بالدنيا، فجيئ بصيغة الاستفعال في (استمتعوا) لتفيد الاستزادة والاستدامة في التمتع، "وهذه الجملة ذم لهم باستمتاعهم بحظوظهم من الشهوات الفانية، وتمهيد لذم المخاطبين المنافقين، بمشابهتهم، واقتفاء آثارهم"[2]

ومن ذلك قوله:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[التوبة:23]

قال ابن عاشور:"ومعنى {استحبوا الكفر} أحبّوه حبّاً متمكّناً. فالسين والتاء للتأكيد، مثل ما في استقام واستبشر."[3]

5-المطاوعة[4]:وهو لمطاوعة وزن (أفعل)، ومن ذلك قولـــه:﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة:7]

---

1)ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص258.

2)ينظر:د.عبد الفتاح لاشين، لغة المنافقين في القرآن، ج1ص213.

3)ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص151.

4) ومعنى المطاوعة:"حصول فعل قاصر عن فعل متعد"، ينظر:شرح يحرق اليمني الكبير على لامية الأفعال لابن مالك، ص113.

قال ابن عاشور:"والاستقامة: حقيقتها عدم الاعوجاج، والسين والتاء للمبالغة مثل استجاب واستحبّ، وإذا قام الشيء انطلقت قامته و لم يكن فيه اعوجاج، وهي هنا مستعارة لحسن المعاملة وترك القتال، لأنّ سوء المعاملة يطلق عليه الالتواء والاعوجاج، فكذلك يطلق على ضدّه الاستقامة."[1]

ومنه قوله:﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[التوبة:111].

قال في البحر المحيط: "وليست استفعل هنا للطلب، بل هي بمعنى أفعل كاستوقد وأوقد."[2]

أو لمطاوعة الفعل الثلاثي (فَعَل): ومنه قوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾[التوبة:64].

ح ــ **تفاعل**[3]: لم يرد في سورة التوبة من هذه الصيغة إلا فعل واحد، وهو(اثَّاقَلْتُمْ)، وفيه دلالة على التكلف، وإيحاء بالإخلاد إلى الأرض، وعدم الرغبة في الخروج للجهاد[4].قال أبو حيان:"وقرأ الأعمش: تثاقلتم وهو أصل قراءة الجمهور اثاقلتم، وهو ماض بمعنى

1)ينظر: المصدر السابق، ج10ص122-123.

2)ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج5ص510.

3) ينظر:محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ج1قسم 2ص599وما بعدها.

4)ينظر:د.تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص287.

المضارع، وهو في موضع الحال، وهو عامل في إذ أي: ما لكم تتثاقلون إذا قيل لكم انفروا".[1]

ودلالة التقاعس والتباطؤ ظاهرة من اللفظ، حيث ينحبس النفس ويثقل النطق، بمجرد تهجي هذه الكلمة، وهذه الكلمة لو كانت وحدها لوسعت بصيغتها دلالة التقاعس وعدم الرغبة في الخروج، فكيف إذا قرئت في سياقها، وروعيت كل الصيغ الواردة في الآية؟!

وقال الزمخشري:" تثاقلتم.... أي تباطأتم وتقاعستم. وضمّن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى. والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه، ونحوه:﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ [الأعراف: 176] وقيل: ملتم إلى الإقامة بأرضكم وديياركم."[2]

2ـ الصيغ الصرفية المركبة:

إن التصوير القرآني في سورة التوبة للمنافقين، لم يقتصر على التصوير بالصيغ الصرفية بسيطة، بل استعان على التصوير ببعض الصيغ المركبة، فمن ذلك تصويره للمعاني والحالات بإضافة أداة ذات وظيفة دلالية مساعدة للفعل، وأبرزها: صيغة(قد+فعل)، وصيغة: (كان+يفعل).

1)ينظر:أبو حيان، البحر المحيط، ج5ص419.

2)ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج2 ص189.

أـــ الصورة الأولى: قد + فعل:

قال ابن جني: "والفعل ما حسن فيه قد..."[1]، وقد جاءت هـــذه الـــصيغة في المواضع الآتية من سورة التوبة:

-قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة:25].

-وقوله ﷻ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:40].

-وقوله ﷻ:﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾[التوبة:48].

-وقوله ﷻ: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة:50].

---

1)ينظر: ابن جني(ت392هـــ)، أبو الفتح عثمان بن جني، كتاب اللمع في العربية، دار الكتب الثقافيـــة، الكويـــت، 1972، تحقيق: فائز فارس، ص8.

-وقوله ﷻ: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة:66].

-وقوله ﷻ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ۚ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة:74].

-وقوله ﷻ: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [التوبة:94].

-وقوله ﷻ: ﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة:117].

-وقوله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة:128-129].

و ما يمكن ملاحظته هو أن الآيات السابقة كلها، قد جاءت فيها الصيغة المركبة: (قد+فعل)، حيث أفادت [قدْ][1] مع كل فعل منها، الدلالات الآتية:

1-دلالة التكثير: وذلك في قوله ﷻ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾، أي كثيرا ما نصركم الله، بدليل ذلك المواطن بصيغة الجمع، ووصفها بالكثرة.

وقوله ﷻ:﴿لَقَدِ ابْتَغَوُاْ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ الأُمُورَ ﴾أي: أن المنافقين طلبوا الفتنة باجتهاد وكثرة، ودلّ على ذلك صيغة الجمع:الأمور، وصيغة:قلّبوا، وهو فعل مضعف العين، والتضعيف يفيد الكثرة.

قوله ﷻ: ﴿ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ﴾، أي: نبأنا الله (كثيرا) من أخباركم، ودلّ على ذلك وجود صيغة:نبأنا، وهو فعل، مضعف العين، الذي يفيد التكثير، ووجود صيغة الجمع:أخباركم، وكلها تفيد معنى الكثرة.

2-دلالة التقريب: أي تقريب الماضي من الحال، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ﴾أي نصره قريبا، يوم أنجاه من المشركين وهو في الغار لا جند معه ولا أتباع، غير صاحبه، الذي شعر بالحَزَن، فأنزل الله سكينته، وأذهب عنه خطر الكافرين، من غير جند ولا سلاح.

وقوله ﷻ: ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهِ عَلَىٰ ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلأَنصَـٰرِ ﴾أي: تاب الله عليهم قريبا، بدليل ذكر ساعة العسرة، وهو الزمن الذي خرجوا فيه إلى غزوة تبوك، وقد كان ذلك في وقت شدة الحر، وحين طابت الثمار، ولذلك شق الخروج على فريق منهم، حتى تخلف من غير عذر ولا نفاق.

---

1)[قد]:تأتي على ثلاثة أوجه، حسب موقعها في السياق، فقد تأتي:-اسم فعل، نحو:قدْك أي:كفاك،-وتأتي: اسما بمعنى :حسب، نحو: قدْ زيد ابتسامة، أي: حسب زيد ابتسامة،-وتأتي:قد حرفا له عدة معان تعرف من السياق، نحو:التوقع، والتقريب، والتقليل، والتكثير، والتحقيق.ينظر:إميل يعقوب، معجم الإعراب والإملاء، دار اشريفة، الجزائر،(د.ت)ص312—315 بتصرف.

وقولهﷻ: ﴿ لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾أي: جاء رسول من وقت قريب، هذه أخلاقه فيكم.

3-دلالة التوقع: وذلك في قوله ﷻ: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾[التوبة:50]؛ فإن (قدْ) في:﴿ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾ أفادت التوقع، حيث إن المنافقين، لشدة غيظهم وتربصهم بالرسول والمسلمين، يتوقعون في كل غزوة أن لا يعود الرسول ﷺ بعدها سالما، كما قال ﷻ:﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾[الفتح:12]

4-دلالة التحقيق: وذلك في قوله ﷻ:﴿لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾[التوبة:66]..

وقوله ﷻ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلاَ أَنْ أَغْنَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ [التوبة:74]..وكما في قولهﷻ: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾، فقد أكد بـ"قد"، لتحقيق النصر، قال ابن عاشور: " وأكّد الكلام بـ{قد} لتحقيق هذا النصر لأنّ القوم كأنّهم نسوه أو شكّوا فيه فنُزِّلوا منزلة من يحتاج إلى تأكيد الخبر."[1]

1)ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص155.

ب ــ الصورة الثانية:(كان + يفعل)

جاءت هذه الصيغة في الآيات الآتية:

-قوله ﷻ: ﴿ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[التوبة:9].

-قوله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾[التوبة:17].

-قوله ﷻ: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[التوبة:70].

-قوله ﷻ: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾[التوبة:75-77]..

-قوله ﷻ: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾[التوبة:81].

-قوله ﷻ: ﴿ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلاً وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[التوبة:82].

-قوله ﷻ: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[التوبة:95].

-قوله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَـانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[التوبة:113].

-قوله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[التوبة:115].

-قوله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَـن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّـيْلاً إِلاَّ كُتِـبَ لَهُـم بِـهِ عَمَـلٌ صَـالِحٌ إِنَّ اللّـهَ لاَ يُـضِيعُ أَجْـرَ الْمُحْسِنِينَ﴾[التوبة:120]

-وقوله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّـنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُـمْ يَحْـذَرُونَ ﴾[التوبة:122].

من خلال الآيات السابقة يمكننا أن نستخلص الاستنتاجات والدلالات الآتية :

1-الدلالة على الجمع:جاءت الصيغة المركبة (كان+يفعل) للدلالة على الجمع إلا في موضع واحد من السورة، وهو قوله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[التوبة:115]، وكل جمع قصد بهذه الصيغة و لم يفصل بين جزأيه، باسم ظاهر، فإنما يقصد به جمـع المتخلفين من أهل المدينة ومَن حولهم من الأعراب بغير عذر.

2-الدلالة على الاستمرار التجددي: فإن صيغة [كان+يفعـل] تـدل علـى الاستمرار في الفعل من الزمن الماضي إلى الحاضر والمستقبل، وفي ذلك إشارة إلى

الثبات على الأمر والاستمرار فيه دون تغيير في الأعمال أو العوائد والطبائع كما جاء ذلك في الآيات الآتية:

-قوله ﷻ: ﴿وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[التوبة:121]، فيه دلالة على ثبات أعمالهم الصالحة.

قال ابن عاشور:" وفي ذكر {كانوا} والإتيان بخبرها مضارعاً إفادةُ أن مثل هذا العمل كان ديدنهم."[1]

-قوله ﷻ:﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾[التوبة:75-77]، أي أصابهم الذي أصابهم، بسبب استمرارهم في الكذب، واتخاذه طبعا لا يحيدون عنه..قال الآلوسي: "والجمع بين صيغتي الماضي والمضارع للإيذان بالإستمرار أي بسبب إخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبسبب كونهم مستمرين على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور."[2]

-قولهﷻ:﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾[التوبة:81]، أي أن حالهم الدائمة التي كانوا عليها أنهم لا يفقهون.

-قوله ﷻ:﴿جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[التوبة:95]أي بسبب أعمالهم التي كانوا يقترفونها على الدوام والاستمرار. قال الآلوسي : " أي من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي"[3].

-قوله ﷻ:﴿وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[التوبة:70].

---

1)ينظر: المصدر السابق، ج10ص58

2)ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج10ص145.

3)ينظر: المصدر نفسه، ج10ص152.

قال الآلوسي:"حيث عرضوها[1]- بمقتضى استعدادهم -للعقاب بالكفر والتكذيب والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار"[2]. وقال ابن عاشور: "وصِيغَ الظلم الكائن في ذلك الزمان بصيغة المضارع للدلالة على التجدّد والتكرّر، أي على تكرير ظلمهم أنفسهم في الأزمنة الماضية."[3]

3-دلالة التمكن: فمن ذلك الآيات الآتية:

- قوله ﷻ:﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴾[التوبة:75-77]، فالصيغة الصرفية المركبة من: [كانوا+يكذبون]، أفادت أنه هؤلاء المنافقون لم يكذبوا مرة واحدة فحسب، بل الكذب فيهم صفة قديمة متمكنة من أنفسهم، قال ابن عاشور:"وعبّر عن كذبهم بصيغة {كانوا يكذبون} لدلالة [كان] على أنّ الكذب كائن فيهم ومتمكّن منهم ودلالة المضارع على تكرّره وتجدّده. وفي هذا دلالة على وجوب الحذر من إحداث الأفعال الذميمة فإنّها تفسد الأخلاق الصالحة ويزداد الفساد تمكّناً من النفس بطبيعة التولّد الذي هو ناموس الوجود."[4]

--قوله ﷻ:﴿وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[التوبة:70]؛ فقد جاءت الصيغة الصرفية مركبة من فعلين: [كانوا+يظلمون]، وذلك للدلالة على تمكن الظلم من أنفسهم منذ زمن بعيد، قال ابن عاشور: "وأثبت ظُلمهم أنفُسَهم لهم بأبلغ وجه

---

1)أي عرضوا أنفسهم للعقاب بكفرهم وتكذيبهم.

2) ينظر: المصدر السابق، ج10ص135.

3)ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص262

4)ينظر: المصدر نفسه، ج10ص273

إذْ أسند إليهم بصيغة الكون الماضي، الدالّ على تمكّن الظلم منهم منذ زمان مضى."[1]

ج –الصورة الثالثة: (زال+يفعل)

وذلك في قوله ﷻ:﴿لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:110] ، قال الآلوسي: "أي لا يزال بنيانهم ريبة في كل وقت إلا وقت تقطع قلوبهم أو في كل حال إلا حال تقطعها أي تفرقها وخروجها عن قابلية الإدراك وهذا كناية عن تمكن الريبة في قلوبهم التي هي محل الإدراك وإضمار الشرك بحيث لا يزول منها ما داموا أحياء إلا إذا تقطعت وفرقت وحينئذ تخرج منها الريبة وتزول، وهو خارج مخرج التصوير والفرض"[2]

---

1)ينظر: المصدر نفسه.

2)ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج11ص24.

د-الصورة الثالثة: (إن+لا+تفعل)

لقد جاءت صيغة الفعل بهذا التركيب [إن] الشرطية، تليها [لا] النافية، ثم الفعل المضارع مصدرا بتاء المخاطب وذلك للدلالة على معنى التحريض، متضمنا معنى التهديد والتوبيخ، كل هذه المعاني والدلالات مجتمعة تؤديها هذه الصيغة الصرفية التركيبية، وقد اجتمعت هذه الدلالات في قوله ﷻ : ﴿**إِلاَّ** تَنفِرُواْ يُعَذِّبكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ **إِلاَّ** تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:39-40].

قال ابن عاشور: "وكتب في المصاحف {إلا} من قوله: {إلا تنفروا} بهمزة بعدها لامْ ألف على كيفية النطق بها مدغمة، والقياسُ أن يكتب (إن لا) بنون بعد الهمزة ثم لام ألف..."[1]قال:"...كتب في المصاحف {إلاَّ} من قوله: {إلا تنصروه} بهمزة بعدها لام ألف، على كيفية النطق بها مدغمةً، والقياس أن تكتب (إنْ لا) ـــــــ بهمزة فنون فلام ألف ـــــــ لأنّهما حرفان: (إنْ) الشرطية و(لا) النافية، ولكنَّ رسم المصحف سنّة متبعة، و لم تكن للرسم في القرن الأول قواعد متّفق عليها، ومثل ذلك كتب {إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض في سورة الأنفال (73). وهم كتبوا قوله: بل ران في سورة المطففين (14) بلام بعد الباء وراء بعدها، و لم يكتبوها بباء وراء مشدّدة بعدها.

---

1)ينظر:ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10ص200.

وقد أثار رسم {إلا تنصروه} بهذه الصورة في المصحف خشية تَوَهُّم مُتوهّم أنّ {إلاّ} هي حرف الاستثناء فقال ابن هشام في «مغني اللبيب»: «تنبيه ليس من أقسام (إلاّ)، (إلاّ) التي في نحو {إلا تنصروه فقد نصره الله} وإنّما هذه كلمتان (إن) الشرطية و(لا) النافية، "[1]

1)ينظر:المصدر نفسه، ج10ص201-202.



الحمد لله الأول والآخر، والصلاة والسلام على النبي الخاتم وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه من القرن الأول إلى الآخر..

وبعد:

فلقد حاولت في هذا (البحث) إبراز الجانب الجمالي الفني للحرف والكلمة القرآنية، وأن أقف على بعض أسرار الإعجاز للقرآن الكريم؛ فإنه مما لاشك فيه أن تحدي القرآن لم يكن للمعاني التي جاء بها فحسب؛ فإن المعاني القرآنية تجسّدت في السنة النبوية؛ فقد كان النبي ﷺ ترجمان القرآن، وكان يصوغ المعاني التي جاء بها الوحي بأسلوبه البليغ، وقرّر العلماء أن سنته من الوحي، ولكن القرآن ـــ مع ذلك ـــ يبقى شامخا متميزا متحديا، فما السرّ في ذلك؟؟

لعلّ البحث حاول استجلاء بعض ذلك، حين أخذ ينظر في الدلالات الصوتية لحروف القرآن وكلماته من خلال رصد نموذج "المنافقين"؛ باعتباره أخطر النماذج الإنسانية التي عنى القرآن بتصويرها، وحدّد البحث سورة التوبة مساحة لهذا الرصد..

وبالاستعانة بالمنهج الإحصائي والمنهج الوصفي، توصل البحث إلى أن تواتر بعض الحروف وتكرارها له دلالات صوتية تؤدي وظيفة فنية مساعدة في تصوير النماذج الإنسانية.. وأن إيقاع بعض الصيغ للكلمة القرآنية يؤدي نوعا

من (السّحر) الذي حيَّر العرب من قبل، فأخذ القرآن بأسماعهم قبل أن يأخـــذ بألبابهم..

إن القرآن في اختياره لحروف بعينها.. وتكرارها بأعداد بعينها.. لتصوير نموذج بعينه..هو ما يمكن أن نطلق عليه الإعجاز الفني؛ لأنه ليس بمقدور بَشر أن يفعل ذلك، إلا بكثير من التكلف، يفضي إلى افتضاح صاحبه والسخرية منه..

ولقد حاول البحث ـــأيضاـــ دراسة الدلالات الصرفية الفنية في تصوير المنافقين، فقام برصد الوحدات والصيغ الصرفية في سورة التوبة..

وقد لاحظ أن لها دورا فنيا بارزا في تصوير المنافقين، وأن الـــسورة قـــد اختارت بعض الصيغ في الأسماء والأفعال والحروف دون غيرها، لما لهـــا مـــن دلالات فنية وجمالية في سياقها الذي وضعت فيه، وأهملت صيغا أخرى، فلـــم توظفها في السياق نفسه، وإن استعملتها في سياقات أخرى..

وما ذلك إلا لكون المقام، الذي هو تصوير المنافقين، ليس مثل النمـــاذج الإنسانية الأخرى، فإن السورة لم تهتم بتصوير ظواهر المنافقين فحـــسب، بـــل عمدت إلى كشف ما في نفوسهم وتصوير دخائلهم، فقامت بتوظيف وحدات صرفية بعينها، وصيغ صرفية بعينها؛ لتؤدي في مجموعها، ومن خلال ســـياقها، رسم صور واضحة للمنافقين، وقد أخذوا مواقع مختلفة، وإن كانت كلها تمثـــل صورة واحدة.

إنهم يتخلفون عن المواقف المشرفة(غزوة تبوك)، ويتخذون مواقف مذبذبة، ويتمنون السوء للمسلمين، ويتربصون بهم الدوائر، ويتآمرون على قتل النبيﷺ، ويتعللون بالأعذار الواهية، ويؤكدونها بالأيمان الكاذبة، ويبخلون بما آتاهم الله من

مال في سبيله، ويلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، ويسخرون منهم، ويؤذون رسول الله ﷺ بألسنتهم، وينتقصونه، ويوادّون من حارب الله ورسوله، فيبنون له مسجدا ضرار وتفريقا بين المؤمنين، وغير ذلك من المواقف المخزية التي لا تخلو من حقد دفين وكيد وتآمر بالمسلمين أو سخرية وتجاسر على مقام النبوة وأبرياء المؤمنين..

كانت هذه هي سورة التوبة..وكانت هذه هي مواقف المنافقين..وكان هذا هو الأسلوب القرآني في تصوير أشدّ أعداء الإسلام خطرا بأسلوبه الفني المعجز..

وأسأله الله الغفور الرحيم السميع العليم أن يغفر لي ذنبي وإسرافي في أمري، وأن يتقبل منّي هذا العمل على ما فيه من خطأ وتقصير، وأن يحفظنا في مستقبل أعمارنا من تعمد الوقوع في الزلل ومن نفاق العقيدة والعمل، ويصرف عنّا شرّ الكافرين وكيد المنافقين..

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس لأهم المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	الرقم	الصفحة
سورة البقرة ٢		
﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا ﴾	14	25
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ...﴾	185	132
﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ... ﴾	3	12
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ...﴾	34	28–27
﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ...﴾	35	28
سورة آل عمران		
﴿وَلْيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۖ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ﴾	167	17–14
﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ...﴾	78	31
سورة النساء		
﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ...﴾	62	130
﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ...﴾	155–154	33
﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ....﴾	91–88	26–18–25–24
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ...﴾	99–97	26
سورة المائدة		
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ ... ﴾	13–12	33
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ...﴾	41	32–125
﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾	61	12
سورة الأنعام		
﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ...﴾	35	10
سورة الأعراف		
﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾	24	173
﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾	176	170
سورة الأنفال		
	49	17
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ...﴾	72	26

سُورَةُ التَّوبَةِ

﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ..﴾	3	159-158-167-165
﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا...﴾	4	122-157
﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...﴾	5	146-171
﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ...﴾	6	[178-131-124-121]
﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ...﴾	7	181-147-121
﴿ اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ...﴾	9	185
﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ... ﴾	11	115
﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾	13	135-118-47
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ مِنكُمْ ...﴾	16	155-122
﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ... ﴾	17	185-127-122
﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللّهِ...﴾	17	185
﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ...﴾	19	134-122
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ...﴾	23	181-180-136-118
﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَنُكُمْ وَأَزْوَجُكُمْ ...﴾	24	140
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ...﴾	25	182-158-145-139-127-119
﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا...﴾	26	144-118
﴿قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ...﴾	29	176-150-133-122-51-42
﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ...﴾	30	146-127-122
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ...﴾	34	137-122
﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ...﴾	36	167-156-122-118
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾	38	145-142-137-134-133-126-110
﴿إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ...﴾	39	179-162-159-158-118
﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا ... ﴾	40	183-145-143-118-116
﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَلِكُمْ ...﴾	41	118-45
﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ...﴾	42	179-142-133-132-131-129-127-122
﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ...﴾	46	94
﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُواْ...﴾	47	166-163-142-133-126-122
﴿لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ...﴾	48	183-175-123-100-97-56
﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ... ﴾	49	163-117-116-100-55
﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ...﴾	50	185-183-131-129-127-122-119-116

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ . . .﴾	52	142-132-121-118
﴿قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ...﴾	53	109-55
﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ . . .﴾	54	142-127-122-121-120-119
﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا ...﴾	55	139-133-131-116
﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ...﴾	56	124-122-96
﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا...﴾	58	146-131-122-121-110
﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ...﴾	61	151-121-111-62-56
﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ . . .﴾	62	166-121
﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ ...﴾	63	168-121
﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ . . .﴾	64	-181-166-127-121-119-118-116 58
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ...﴾	65	129-122-118
﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً . . .﴾	66	185-183-127-115
﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ . . .﴾	67	122
﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾	68	52-17
﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا...﴾	69	180-127
﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ...﴾	70	188-187-186-127-122
﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن ...﴾	72	159-127-119
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ . . .﴾	73	137-89-1
﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ...﴾	74	101-185-183-132-122-121-61
﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ...﴾	75	174-173
﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ . . .﴾	76	122-14-146
﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ... ﴾	77	14-175
﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ . . .﴾	80	178-124-121-116
﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ...﴾	81	187-186-121-111
﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ...﴾	82	186-121-106
﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن ...﴾	83	179-158-147-131-125-118
﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ...﴾	84	131-116-66
﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ . .﴾	85	115
﴿وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ . . .﴾	86	179-146-131-128-125
﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...﴾	87	147-122-109
﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ...الَّذِينَ ﴾	92	131-129-127-119-116-113-54

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ . . .﴾	93	148-139-131-122
﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا...﴾	94	183-122-118-114-63
﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ...﴾	95	187-186-160-134-119-118-63
﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا...﴾	96	121-118-64
﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ...﴾	97	64-14
﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ...﴾	98	112
﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ...﴾	99	84-111
﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ...﴾	101	122-116-115-64-14
﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا...﴾	102	139-64
﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ.﴾	106	64
﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا ...﴾	107	129-125-121
﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم...﴾	109	109
﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ...﴾	110	188-127-121-119-111
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ...﴾	111	181-121
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ...﴾	113	186-122
﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ...﴾	114	179-125
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ.﴾	115	187-186-145-122-121
﴿لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي . . .﴾	117	184-168-127-121-119
﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ.﴾	118	128-122
﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ...﴾	120	186-166-132-122-121
﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ...﴾	121	187-122
﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً...﴾	122	186-121
﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ﴾	125	160-128
﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ... ﴾	126	157-136-122-100-99
﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم...﴾	127	131-128-121-45
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ...﴾	128	184

سُورَةُ هُودٍ

﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ... ﴾	43	28
﴿يجادلنا في قوم لوط...﴾	74	128

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا... ﴾	27	28

سُورَةُ الحَجِّ

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ..﴾	11	23

سُورَةُ الفُرۡقَانِ

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾	52	1

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ ...﴾	11-10	17-20-29
﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا...﴾	6-1	29
﴿الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا ... ﴾	3-2-1	29

سُورَةُ الأَحۡزَابِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ ...﴾	1	1
﴿وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ... ﴾	15-13	-33
﴿ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ..﴾	62-60	-29
﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ ...﴾	73	18-16

سُورَةُ الزُّمَرِ

﴿فتثير سحاباً﴾	48	120

سُورَةُ صٓ

﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ۝ إِلَّآ إِبۡلِيسَ... ﴾	74-73	27
﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝ ﴾	74	28

سُورَةُ فُصِّلَتۡ

﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾	17	173

سُورَةُ الفَتۡحِ

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ..﴾	6	17-16
﴿ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا...﴾	12	173

سُورَةُ الحَدِيدِ

﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ....﴾	14-13	17-16

سُورَةُ الحَشۡرِ

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	11	31-14

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ...﴾	8-7-1	31-17

سُورَةُ المُلْكِ

﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ. . . ﴾	4	149

سُورَةُ عَبَسَ

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝﴾	36-34	ج

سُورَةُ الفَجْرِ

﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ...﴾	6	56

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	الصفحة
﴿ ...فَيَأْتِي سِبْخَةَ الْجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ وَقَالَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ ﴾	17
﴿ كان الرجل يقدم المدينة فيسلم فإن ولدت امرأته غلاما ﴾	23
﴿ لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم... ﴾	58
﴿آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ﴾	33
﴿...أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي﴾	55-54
﴿إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَيْنَ تَبُوكَ... ﴾	58
﴿يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَاهُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا﴾	58
﴿إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي ويزعم أنه يخبركم... ﴾	61
﴿فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه؟﴾	90
﴿لنترفق به و نحسن صحبته ما بقي معنا.. ﴾	90
﴿لا يتحدّث الناس أنّ محمّداً يقتل أصحابه﴾	100
﴿... فكرر ابن أبي مقالته: أحسن في موالي﴾	34
﴿كذبت لا يدخلها أبدا وقد شهد بدرا والحديبية﴾	16
﴿آخر سورة نزلت براءة.. ﴾	40
﴿وكان رسول الله ﷺ قلّما يخرج في غزوة إلا كنّى عنها و لم يصرح بوجهته﴾	52
﴿أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا... ﴾	58
﴿... أقبلنا عليه نقول ويحك هل بعد هذا شيء قال سحابة مارة﴾	59
﴿هب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم أحد منكم، فمن كان له... ﴾	59
﴿وقام رسول اللّه ﷺ فيهم خطيباً، فخطب خطبة بليغة، أتى بجوامع الكلم﴾	60

فهرس المصادر والمراجع

أولا المصادر:

1. القرآن الكريم.
2. ابن الأثير الجزري: (ت606هـ)النهاية في غريب الحديث، المكتبة العلمية، بيروت(د.ت)
3. ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الموصلي (ت637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، المطبعة البهية بحوش قدم بمصر، (د.ت)
4. ابن الجزري،شمس الدين أبي الخير محمد بن علي(ت833هـ)، تقريب النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت،ط 1423هـ
5. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله (ت751هـ)، الأمثال في القرآن الكريم، مكتبة الصحابة، طنطا، ط1، 1986/1406، تحقيق: ابراهيم بن محمد.
6. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله (ت751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د.ت)
7. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله (ت751هـ)، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،
8. ابن جني(ت392هـ)،أبو الفتح عثمان، الخصائص، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت)، تحقيق: محمد علي النجار.
9. ابن جني(ت392هـ)، أبو الفتح عثمان بن جني، كتاب اللمع في العربية، دار الكتب الثقافية، الكويت، 1972، تحقيق: فائز فارس.
10. ابن حبان، محمد بن حبان أبوحاتم التميمي(ت354هـ)، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2/تحقيق : شعيب الأرناؤوط،1992/1414
11. ابن حجر: أحمد بن علي أبوالفضل العسقلاني (ت852هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل، بيروت،1992-1412هـ طأولى، تحقيق: علي محمد البجاوي
12. ابن حجر: أحمد بن علي أبوالفضل العسقلاني (ت852هـ)، العجاب في بيان الأسباب،دار ابن الجوزي، الدمام،1997،ط أولى، تحقيق،عبد الحكيم محمد الأنيس.
13. ابن حجر: أحمد بن علي أبوالفضل العسقلاني (ت852هـ)، تهذيب التهذيب، دار الفكر، بيروت، ط1، 1404هـ/1984

14. ابن حجر: أحمد بن علي أبوالفضل العسقلاني (ت852هـ)، فتح الباري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1405هـ/1985.

15. ابن حجر: الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت974هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، 1407هـ

16. ابن خالويه، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت370هـ)، الحجة في القراءات السبع، دار الشروق، بيروت 1399 هـ، ط الثالثة، تحقيق :د/عبد العال سالم مكرم

17. ابن رجب الحنبلي(ت795هـ): جامع العلوم والحكم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،تحقيق: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس

18. ابن عبد البر (ت463هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،1401-1981، تحقيق: سعيد أحمد أعراب.

19. ابن عبد البر (ت463هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمود معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ/1995م.

20. ابن عبد السلام الشافعي أبو محمد عز الدين عبد العزيز، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، دار الحديث، القاهرة(د.ت).

21. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ)، الأربعين البلدانية عن أربعين من أربعين لأربعين في أربعين، دار الفكر المعاصر،دار الفكر، بيروت، دمشق،1413هـ ط أولى، تحقيق: مركز جمعة الماجد،قسم التحقيق.

22. ابن عطية الأندلسي(ت542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،2001، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

23. ابن عقيل(ت769هـ)، بهاء الدين أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وضع هوامشه:إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1997

24. ابن فارس (ت395هـ)، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء بن محمد بن حبيب القزويني، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، القاهرة ط 1328هـ/1910

25. ابن قتيبة (ت276هـ)،أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري، تأويل مشكل القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى بابي الحلبي، ط أولى،(د.ت) تحقيق: السيد أحمد صقر

26. ابن قتيبة الدينوري (ت276هـ)، أبو محمد عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، المطبعة البهية بحوش قدم بمصر، (د.ت) (بهامش كتاب: المثل السائر).

27. ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط5، 1405هـ/1984.

28. ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط أولى، 1400-1980

29. ابن منظور(ت711هـ)، جمال الدين الأنصاري محمد بن مكرم، لسان العرب،دار صادر للطباعة والنشر،بيروت،1995

30. ابن ناقيا البغدادي، الجمان في تشبيهات القرآن، منشأة المعارف بالأسكندرية، (د.ت) تحقيق: مصطفى الصاوي الجويني

31. ابن نديم(385هـ):الفهرست، دار المعرفة، بيروت،1978-1398

32. ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت213هـ)، السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت،1411هـ،ط أولى، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد

33. ابن هشام الأنصاري أبو محمد عبد الله جمال الدين، شرح قطر الندى،الشركة المتحدة للتوزيع، القاهرة،ط11، تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، 1383هـ،

34. ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط:2،1969

35. أبو البقاء العكبري(ت616هـ)، إملاء ما من به الرحمن، من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1399-1979.

36. أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت951هـ)، تفسير أبي السعود، دار المصحف، القاهرة، (د.ت)

37. أبو العباس المبرد(ت286هـ)، الكامل في اللغة والأدب، مؤسسة المعارف، بيروت (د.ت)

38. أبو الفضل النيسابوري(ت518هـ)، مجمع الأمثال، دار المعرفة، بيروت، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد(د.ت).

39. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، كتاب الاشتقاق، دار المسيرة، بيروت، ط2،1979، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

40. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف (ت654هـ/754هـ)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، ط1412هـ/1992م،مراجعة الشيخ زهير جعيد

41. أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط7، 1411هـ/1991، تحقيق: لجنة التراث العربي.

42. أبو هلال العسكري،كتاب جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر،ط 2، 1988

43. أحمد بن حنبل(ت241هـ)، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، (د.ت).

44. أحمد بن محمد بن علي المقري(ت770هـ)، المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).

45. الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي(ت1270هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ط رابعة ، 1985
46. الآمدي، أبو الحسن علي بن محمد(ت631هـ)،الإحكام في أصول الأحكام، دار الكتاب العربي ، بيروت، ط1، 1404هـ، تحقيق:سيد الجميلي.
47. البخاري (ت256هـ)، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، المكتبة الثقافية، بيروت(د.ت).
48. البخاري(ت256هـ) أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407-1987، تحقيق:مصطفى ديب البغا.
49. البيضاوي(ت791هـ)، تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت، 1996-1416هـ تحقيق عبد القادر عرفات العشا حسونة.
50. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين(ت458هـ)، السنن الكبرى، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994/1414، تحقيق:محمد عبد القادر عطا
51. الثعالبي (ت876هـ)، عبد الرحمن بن محمد الجزائري، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
52. الجرجاني عبد القاهر(ت471هـ)، أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق:محمد رشيد رضا، دار الفكر،(د.ت).
53. الجرجاني عبد القاهر(ت471هـ)، دلائل الإعجاز، دار الأنيس موفم للنشر، الجزائر،1991
54. جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، 1993
55. جمال الدين القفطي (ت 624هـ)، إنباه الرواة على أنباء النحاة، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1424هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
56. حاجي خليفة (ت1067هـ)، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1413هـ
57. حسن الكفراوي،شرح الكفراوي على متن الأجرومية، دار رحاب، الجزائر،(د.ت)
58. الذهبي (748هـ)، محمد بن أحمد بن عثمان، أبوعبد الله، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط9، 1413
59. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي(ت604هـ)، مفاتيح الغيب(التفسير الكبير)، المكتبة التوفيقية، مصر،
60. الرازي، محمد بن أبي بكر(ت)مختار الصحاح، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ط1990.
61. الرماني والخطابي والجرجاني-ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني-دار المعارف بمصر2-1968--

62. الزركشي (ت794هـ)أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت 1391هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم.
63. الزمخشري (ت538هـ) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت،لبنان،تحقيق عبد الرحيم محمود
64. الزمخشري (ت538هـ) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، دار الفكر، ط 1399-1979.
65. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت538هـ)، المفصل في صنعة الإعراب،دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1993،ط1،تحقيق:د.علي بوملحم
66. السيوطي جلال الدين(ت911هـ)، الديباج على صحيح مسلم، دار ابن عفان، الخبر،السعودية، 1416-1996
67. السيوطي جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن،المكتبة الثقافية،بيروت،1973.
68. السيوطي جلال الدين، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم، بيروت.
69. السيوطي جلال الدين، طبقات المفسرين، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1396هـ، تحقيق: علي محمد عمر.
70. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية،بيروت،1998،طأولى، تحقيق: فؤاد علي منصور
71. السيوطي، جلال الدين، الأشباه والنظائر في النحو، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1404هـ/1984، تحقيق: د.فايز ترحيني.
72. الشريف الرضي(ت406هـ)أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين الموسوي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى بابي الحلبي ط: أولى 1955، تحقيق: محمد عبد الغني حسن.
73. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، عالم الكتب، بيروت، (د.ت)
74. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ/1997
75. الطبراني (ت360هـ)، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط2، 1983/1404، تحقيق:حمدي بن عبد المجيد السلفي.
76. العسكري (ت395هـ)أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة، بيروت ط7، 1411هـ/1991، تحقيق: لجنة التراث العربي.
77. الفارسي (ت377هـ)أبو علي الحسن بن أحمد، التكملة(وهي الجزء الثاني من الإيضاح العضدي)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984

78. الفريابي(ت310هـ) أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن: صفة المنافق وذم المنافقين، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت،1405هـ ط أولى، تحقيق: بدر البدر

79. الفيروزآبادي (ت817هـ)، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، دار المعرفة،بيروت،(د.ت)

80. الفيروزآبادي (ت817هـ)، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، ط:1390ـ1970، تحقيق: عبد العليم الطحاوي.

81. القرطبي(ت671هـ)، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة،1372 ط ثانية، أحمد عبد العليم البردوني.

82. الكيلاني، أبو الحسن علي بن هشام، شرح التصريف العزي للزنجاني(ت655هـ)،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة،ط1355هـ/1936م

83. الكيلاني، أبو الحسن علي بن هشام، شرح التصريف العزي للزنجاني(ت655هـ)،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الاستقامة، القاهرة،ط1355هـ/1936م

84. مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، برواية يحيى بن يحيى الليثي، دار الكتب، الجزائر،(د.ت).

85. المباركفوري(ت1353هـ)محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية، بيروت.(د.ت)

86. محب الدين، أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين(ت616هـ)، اللباب في علل البناء والإعراب، دار الفكر، دمشق، ط1، 1995، تحقيق:غازي مختار طليمات

87. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، تونس، ط:1984.

88. محمد بن سلام الجمحي،(ت231هـ)،طبقات فحول الشعراء، دار المدني، جدة، تحقيق:محمود محمد شاكر،

89. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، لبنان،(د.ت)،

90. مسلم بن الحجاج(ت261هـ)أبو الحسين القشيري النيسابوري، الجامع الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي

91. مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط ثا، 1405، تحقيق : حاتم صالح الضامن.

92. النحاس، أبو جعفر (ت338هـ)، معاني القرآن، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1409هـ، ط1، تحقيق: محمد علي الصابوني.

93. النووي(ت676 هـ)أبو زكرياء يحيى بن شرف الدين، شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،ط2، 1392هـ .

94. النيسابوري، أبو الفضل النيسابوري(ت518هـ)، مجمع الأمثال، دار المعرفة، بيروت، تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد

95. ولي الله أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي(ت 1176هـ)، الفوز الكبير في أصول التفسير، دار البشائر الإسلامية (د.ت)، ترجمه من الفارسية: سلمان الحسيني الندوي.

96. يحق اليمني الكبير، شرح لامية الأفعال لابن مالك، دار رحاب، الجزائر، (د.ت)،

ثانيا: المراجع:

97. **ابراهيم** صحرواي، تحليل الخطاب الأدبي، دراسة تطبيقية، دار الآفاق، الجزائر،1999.

98. **ابن نبي**، مالك، الظاهرة القرآنية، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية،ط3، 1403هـ/1983.

99. **أبو** القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998

100. أبو موسى محمد حسنين، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات القرآنية، دار الفكر العربي، (د.ت)

101. أبو موسى محمود، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، دار الفكر العربي، القاهرة،ط1396هـ/ 1976.

102. **أحمد** أبو زيد، التناسب البياني في القرآن، دراسة في النظم المعنوي والصوتي، كلية الآداب، الرباط، 1992

103. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1420هـ/1999م

104. أحمد الهاشمي، القواعد الأساسية للغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)

105. أحمد حساني، العلامة في التراث اللساني العربي، معهد اللغة العربية وآدابها، وهران، 1998-1999(رسالة دكتوراه)

106. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، ط:1994

107. أحمد حسن فرحات، الذين في قلوبهم مرض، دار البشير، عمان، الأردن،1407-1987

108. أحمد ماهر البقري، أساليب النفي في القرآن، دار المعارف، القاهرة،1985

109. أحمد محمد جمال، القصص الرمزي في القرآن، مكتبة رحاب، الجزائر، ط5، 1407هـ/1987

110. أحمد محمد عساف، خلاصة الأثر في سيرة سيد البشر، دار إحياء العلوم، بيروت، ط4، 1406هـ/1986

111. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط2، 1999،

112. أحمد محمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، مطبوعات جامعة الكويت، ط1، 1403هـ/ 1983

113. **اسماعيل** أحمد عمايره وعد الحميد مصطفى السيد، معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة، ط2، 1988

114. **إميل** بديع بعقوب، معجم الإعراب والإملاء، دار اشريفة، مطبعة الرهان الرياضي الجزائري، الجزائر (د.ت)

115. **أنور** الجندي، خصائص الأدب العربي، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري، لبنان، والقاهرة، (د.ت)

116. **بكري** شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، ط4، دار الشروق، بيروت، القاهرة، 1400-1980

117. **بوهادي** عابد، الدلالة الزمنية لأسلوب النفي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، إشراف سليمان عشراتي،96-97

118. **تسعديت** آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1986

119. **تمام** حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط، أولى، 1413-1993،

120. **جمال** الدين القفطي ت 624هـ، إنباه الرواة على أنباء النحاة، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1424هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

121. **زبير** دراقي، محاضرات في فقه اللغة، ديوان المطبوعات الجامعية، ط ثانية، 1994

122. **زعراط** محمد، الإنسان في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 1998/1997.

123. **زين** الدين مختاري، المدخل إلى نظرية النقد النفسي سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجاً)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق-1998-

124. **سعد** مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1992.

125. **سميح** غنيم، موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي،مكتبة لبنان ناشرون،لبنان،1998

126. **سيد** قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، ط7، 1402هـ/1982.

127. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط9، 1400هـ/1980

128. **الشريف** قصار، حروف المعاني في القرآن الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984،

129. **شوقي** النجار، الهمزة مشكلاتها وعلاجها، دار الرفاعي للنشر، ط1984

130. **الصابوني** محمد علي،، صفوة التفاسير، مكتبة جدة،عالم الكتب، ط1، 1406هـ/1986.

131. **صبحي** الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، ط13، 1981

132. **صلاح** عبد الفتاح الخالدي، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، شركة الشهاب، الجزائر، ط أولى، 1407-1987

133. صلاح عبد الفتاح الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن، دار الشهاب، الجزائر، (د.ت) .

134. صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، شركة الشهاب، الجزائر،(د.ت).

135. **طارق** فوزي، إسرائيل دولة الدمار الشامل (الخطر والمواجهة)، دار الأحمدي للنشر،القاهرة، ط1، 2003.

136. **عائشة** عبد الرحمن،(بنت الشاطئ)، الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق ، دار المعارف، ط2 (د.ت).

137. عائشة عبد الرحمن،(بنت الشاطئ)، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، ط5، 1977.

138. **عالم** سبيط النبيلي، النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي، مطابع الأرز،ط1،1999

139. **عبد الحليم** السيد فوده، أساليب الاستفهام في القرآن الكريم، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، ط 1985.

140. عبد الحليم حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

141. **عبد الرحمن** حسن حبنكة الميداني، ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ، دار القلم، دمشق،ط1،1993-1414.

142. عبد الرحمن لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي (ترجمة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (د.ت)

143. عبد العال سالم مكرم، قضايا قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية، مؤسسة الرسالة،ط1، 1988

144. **عبد العزيز** الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، دمشق، 1998

145. **عبد الفتاح** لاشين، لغة المنافقين في القرآن، دار الرائد العربي،بيروت،ط1، 1405-1985.

146. **عبد القادر** فيدوح، دلائلية النص الأدبي، دراسة سيميائية للشعر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية / طبعة أولى، 1993.

147. **عبد الكريم بكري**، ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1984

148. **عبد الكريم** غلاب،صراع المذهب والعقيدة في القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1973

149. **عبد المتعال** الصعيدي، النظم الفني في القرآن، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، القاهرة، (د.ت).

150. **عبد الحميد** هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان،

151. عبد الحميد محمود طهماز، البلاغ الأخير في سورة التوبة، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت،ط1، 1992.

152. **العربي** قلايلية، التقديم والتأخير في التراكيب اللغوية، دراسة دلالية، جامعة وهران، 2000-2001(رسالة دكتوراه).

153. **عزيز** عدمان، سورة الفرقان، دراسة أسلوبية، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة وهران، 1995/1994.

154. **عفت** الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، دراسة أسلوبية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981

155. **علي** الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة مع دليلها، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية، وهران.د.ت

156. علي الجندي، فن التشبيه، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ، ط 2، 1386 هـ /1967م

157. علي بن جابر الحربي، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1991

158. علي عبد الحليم محمود، التربية الإسلامية في سورة التوبة، دار التوزيع والنشر الإسلامية،ط:1420هـ/2000

159. **عماد** الدين خليل، دراسة في السيرة، مؤسسة الرسالة، دار النفائس، ط 10، 1986،

160. **عمر** السلامي، الإعجاز الفني في القرآن الكريم، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، 1980

161. **فتحي** أحمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف، الأسكندرية،1976

162. **فضل** حسن عباس، قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (نقد مطاعن ورد شبهات)، دار البشير، عمان، ط2، 1989.

163. **المباركفوري** صفي الدين، الرحيق المختوم، دار الوفاء، القاهرة و شركة الشهاب، الجزائر، ط:1408هـ/1987.

164. محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى (القرآن)، دار الفكر العربي، بيروت (د.ت)

165. محمد الخضر حسين، بلاغة القرآن، جمع وتحقيق ونشر: علي رضا التونسي،ط :1391هـ/1971،

166. محمد الدالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية، آمون للطباعة والتجليد، ط1 ،1993

167. محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، دار الشروق، طبعة رابعة، 2000.

168. محمد جابر فياض، التورية وخلو القرآن منها، دار المنارة، جدة، السعودية، ط:2، 1988

169. محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:1996.

170. محمد سالم محيسن، تصريف الأفعال والأسماء في ضوء أساليب القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت،ط1، 1987

171. محمد عبد الخالق عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، ط1 دار الحديث، القاهرة 1392-1972،

172. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ط6، 1997

173. محمد عزة دروزة، سيرة الرسول،صور مقتبسة من القرآن الكريم، طبع عيسى بابي الحلبي وشركاؤه،1384-1965

174. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، 1973.

175. محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط6،1983

176. محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم (الأجزاء العشرة الأولى)،دار الشروق، ط9،1982

177. محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية، بيروت، 1405-1985.

178. مصطفى الصاوي الجويني، التفسير الأدبي للنص القرآني، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر،ط: 1998

179. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مكتبة رحاب، الجزائر (د.ت)

180. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار المنارة للنشر والتوزيع،جدة، السعودية ط1-1409--1988

181. مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، لبنان(د.ت)
182. معروف زريق، علم النفس الإسلامي، دار المعرفة، ط2، 1414-1993
183. منذر الأسعد، براءة الصحابة من النفاق، مكتبة العكيبان،الرياض ط1،1417هـ/1997
184. نذير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنارة، جدة، السعودية، ط:1، 1991
185. نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، 1999

ثالثا: المجلات والدوريات

186. مجلة المنهل، عدد474 السنة56 مجلد 51، 14010-1984.
187. المورد، مجلة تراثية فصلية، تصدر عن وزارة الثقافة والفنون، دار الجاحظ، بغداد، الجمهورية العراقية،عوض محمد الدوري، الكشافات التحليلية للمجلدات الخمس الأولى،1971-1976.
188. تجليات الحداثة، يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران، العدد الثالث، يونيو1994..
189. مجلة الحضارة الإسلامية، عدد خاص بالملتقى الدولي حول: "الإنسان في الكتب السماوية"، يصدرها المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية، وهران، العدد الرابع، شعبان1419هـ/نوفمبر1998م.
190. التبيين، مجلة ثقافية إبداعية تصدر عن الجاحظية، الجزائر، العدد5، 1992.
191. الأزهر، مجلة شهرية جامعة تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، السنة 64 ، الجزء الأول، محرم1412هـ/يوليو1992م
192. فصول، مجلة النقد الأدبي، المجلد:4، العدد:4، يوليو /أغسطس/ سبتمبر/1984، القاهرة .
193. منبر الإسلام، يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد:3، السنة34، ربيع الأول1396هـ.
194. الفرقان، مجلة شهرية إسلامية ثقافية، الدار البيضاء، المغرب، العدد:17، السنة:5، جمادى1409هـ/1988م.

فهرس الموضوعات

مُقَدِّمَة.....■ 4 ■

الفصل الأول

المنافقون في القرآن الكريم

أولا:ــ مفهوم النفاق ونشأته

تمهيد:.....– 13 –
1ـ مفهوم النفاق:.....– 13 –
2–نشأة النفاق:.....– 25 –

ثانيا: المراحل الزمنية لنزول سورة التوبة

تمهيد:.....– 51 –
المرحلة الأولى: في مرحلة الإعداد.....– 65 –
المرحلة الثانية: في الطريق إلى تبوك.....– 73 –
المرحلة الثالثة: في طريق العودة.....– 78 –
المرحلة الرابعة: في المدينة بعد العودة.....– 81 –

الفصل الثاني

صور المنافقين من خلال سورة التوبة

الدلالات الصوتية

تمهيد:..... - 89 -

أولا:ــ الإيقاع في مستوى الأصوات:

تمهيد:..... - 90 -

الإيقاع لغة:..... - 92 -

أ- الأصوات الصوامت..... - 94 -

1-الصوت الانفجاري:..... - 98 -

2-الصوت الاحتكاكي:..... - 100 -

3- الصوت المجهور:..... - 102 -

4-الصوت المهموس:..... - 105 -

5- الصوت المفخم والمرقق..... - 106 -

ب ــ الأصوات الصوائت..... - 111 -

ثانيا:ــ القيمة الدلالية للأصوات:..... - 120 -

1-مستوى الأصوات (الحروف):..... - 122 -

2ـ مستوى الكلمة:..... - 126 -

3ـ مستوى الجملة:..... - 133 -

الفصل الثالث

صور المنافقين من خلال سورة التوبة

الدلالات الصرفية

تمهيد:.....- 139 -

أولاــ الوحدات الصرفية لسورة التوبة

1-دلالة الحركة:.....- 140 -

2-دلالة الحروف الزوائد:.....- 145 -

3-دلالة حروف المعاني:.....- 172 -

4-دلالة اللواحق التصريفية:.....- 195 -

5- السوابق التصريفية:.....- 196 -

6-دلالة الكلمات الجامدة:.....- 197 -

ثانياــ مباني التقسيم.....- 201 -

أولا: بنية الأسماء.....- 202 -

أ ــ التنكير (النكرة):.....- 204 -

ب ــ التعريف:.....- 213 -

ثانيا: بنية الأفعال.....- 224 -

1ــ الصيغ الصرفية البسيطة:.....- 225 -

2ــ الصيغ الصرفية المركبة:.....- 242 -

الخاتمة.....■ 254 ■

الفهارس العامة.....■ 257 ■

فهرس الآيات القرآنية الكريمة ..... - 258 -

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ..... - 264 -

فهرس المصادر والمراجع..... - 265 -

أولا- المصادر: ..... - 265 -

ثانيا- المراجع: ..... - 272 -

ثالثا: المجلات والدوريات..... - 276 -

فهرس الموضوعات ..... - 277 -

